القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

16

حوار: المنسق العام السابق لقوى «14 آذار» فارس سعيد

36

السجرة الفلسطينية: كروم مثقلة بالذكريات

38

الريال وبرشلونة: ماذا تغير بعد كورونا؟

إسرائيل: تزايد التحذيرات من مخطط الضم 02

ثورة السودان: لم تنتصر بعد ولم تهزم 28

كلوروكين: مصالح متوحشة خلف لوبيات الأدوية 44

تونس: مخاطر الحاضر وآمال المستقبل

تشهد الساحة التونسية تجاذبات داخلية محتدمة تشمل معظم المكونات السياسية، سواء تلك الممثلة في البرلمان وفي حكومة الفخفاخ، أو الواقعة خارج المؤسسات الدستورية والمنضوية في إطار «غابة» من التنظيمات والقوى والمجموعات التي يتجاوز عددها 200 من الأحزاب المرخص لهم بالعمل. وهذه الصراعات تدور حول برامج الانتقال الديمقراطي وأشغال الحكومة والسياسة الخارجية، وقد تسفر عن انهيار التحالف الحكومي الراهن الذي ولد بصعوبة أصلاً، مما يؤثر مباشرة على تفاقم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية المستعصية، والتي تمتد إلى انحدار الخدمات في قطاعات الصحة والتعليم والغذاء، وتطلق احتجاجات شعبية متزايدة.

(حدث الأسبوع 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

تزايد التحذيرات في إسرائيل من مخطط الضم: هذا خطأ تاريخي!

أفادت تقارير صحافية إسرائيلية أن نتنياهو سيقوم بضم رمزي داخل الضفة الغربية المحتلة حتى لا يصبح أي فلسطيني مقيمًا في إسرائيل ولن يغير الوضع الحالي على الأرض.

تظاهرات في غزة ضد الضم

الناصرة-«القدس العربي»: وديع عواودة

مع اقتراب الموعد المعلن لتطبيق المخطط الاستعماري الإسرائيلي بضم مناطق في الضفة الغربية المحتلة، يحتدم النقاش داخل إسرائيل وتتسارع الاتصالات بينها وبين الولايات المتحدة بهذا المضمار وسط ترجيحات وتسريبات بأن إحالة السيادة ستقتصر على كتل استيطانية معينة. ووجّه رئيس حكومة الاحتلال المناوب ووزير الأمن بيني غانتس تهديدات لحركة حماس في قطاع غزة، وقال إنها ستدفع الثمن باهظا، وذلك في رده على تهديدها بالرد على أي ضمّ إسرائيلي. واقترح غانتس دونالد ترامب «صفقة القرن» المزعومة التي تتضمن إقامة دولة فلسطينية في صورة أرخبيل تربطه جسور وأنفاق، وجعل مدينة القدس عاصمة غير مقسمة لإسرائيل، والأغوار تحت سيطرة تل أبيب. وتقضي الخطة التي نشرها البيت الأبيض في كانون الثاني/يناير الماضي بفرض سيادة إسرائيل على نحو 30 في المئة من الضفة الغربية المحتلة، بينها غور الأردن و132 مستوطنة، مقابل الموافقة على قيام «دولة» فلسطينية منزوعة السلاح.

ضم محدود

وأفادت تقارير صحافية إسرائيلية أن نتنياهو سيقوم بضم رمزي داخل الضفة الغربية المحتلة حتى «لا يصبح أي فلسطيني مقيمًا في إسرائيل ولن يغير الوضع الحالي على الأرض». وقالت القناة الإسرائيلية 13 إن مدى الضم والتخطيط الجغرافي سيكون ضمن حماية أمن إسرائيل وأيضا يضمن عدم انهيار السلطة الفلسطينية بشكل كامل. وقالت إن الضم الجزئي في هذه الحالة، يضمن عدم تسليم مفاتيح السلطة الفلسطينية من قبل رئيسها، ولن تنهار السلطة الفلسطينية. وتوقعت الإذاعة العبرية أيضا ان الشارع الفلسطيني في الضفة سيرد في هذه الحالة بشكل محدود، مضيفة ان الاحتلال سيزيد من قواته بسرعة وفقًا لخطة تم إعدادها في حال اندلاع مواجهات في الضفة. وقالت إن جيش الاحتلال سيمنح تنفيذ عمليات في الضفة والقدس خلال عملية الضم وسيحاول تجنب التصعيد لضمان تجنب تدهور الأوضاع بشكل أكبر. وحول قطاع غزة، قالت إن جيش الاحتلال أعد خطة كاملة في حال خرجت مظاهرات على الحدود مع القطاع وفي حال إطلاق الصواريخ من غزة، مشيرة إلى أن من ضمن خطط جيش الاحتلال الرد المحدود لضمان عدم التصعيد وهذا ما حصل أمس. في الأثناء وصل آفي بريكوفيتش، مبعوث الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الجمعة إلى إسرائيل، قبل أيام من موعد الضم الإسرائيلي المتوقع لأجزاء من الضفة الغربية. وقال بريكوفيتش في تغريدة باللغة العبرية عبر حسابه على «تويتر»: «أنا سعيد لوجودي في إسرائيل». ويرافق بريكوفيتش، في زيارته، عضو لجنة رسم الخرائط الإسرائيلية - الأمريكية سكوت فيث، حسب ما ذكرت صحيفة «يسرائيل هيوم» العبرية التي نقلت عن مصادر في البيت الأبيض قولها: إن «وصول الوفد إلى إسرائيل يشير أن الحكومة الأمريكية تريد تنفيذ وعدها لإسرائيل وتطبيق السيادة». وأفادت بأن الوفد الأمريكي سيواصل المحادثات مع نتنياهو وغانتس، بشأن الخطوط العريضة المختلفة، واستئناف عمل لجنة رسم الخرائط.

الضم والتضليل

ومقابل تأكيد جهات رسمية وغير رسمية، عسكرية وسياسية على حيوية الضم تحذر أوساط أخرى من خطورة مخطط إسرائيل عليها ومنها رئيس حكومتها السابق إيهود أولمرت الذي اعتبر في مقال نشرته «معاريف» أن الزعم القائل بأن الأغوار الفلسطينية حيوية لإسرائيل لاعتبارات أمنية لا يزال على ما يبدو يعيش مخاوف 1967 أو يحاول ان يبيع للإسرائيليين قصة كاذبة عن خطر ليس قائما، عن حاجة أمنية ليس لها أساس في الواقع، وعن تحدٍ استراتيجي عديم كل قيمة». وتبعته وزيرة الخارجية السابقة تسيبي ليفني التي وصفت مخطط إسرائيل بضم أراض فلسطينية لسيادتها، بـ«الخطأ التاريخي الكبير». وقالت ليفني، في مقابلة مع شبكة «سي إن إن» الإخبارية الأمريكية، إن «ضم نحو 30 في المئة من الضفة الغربية يعني التنازل عن السلام المأمول مستقبلا، وهذا ضد المصالح الإسرائيلية.

وأضافت: «القيام بخطوات أحادية الجانب يعني بالحقيقة أن إسرائيل ستتجاوز نقطة اللاعودة، وهذا أمر ليس فقط لها بل وللفلسطينيين أيضا يعتبر خطأ تاريخيا كبيرا».

حمار المسيح

ويواصل خبير الخرائط الأبرز في إسرائيل الجنرال في الاحتياط شاؤول أرئيلي التحذير من مخطط الضم معتبرا أن جواب السفير الأمريكي ديفيد فريدمان بأنه سيكون بالإمكان البناء بشكل عمودي في الجيوب الاسرائيلية يعكس «عمى هذا السفير الثقافي والسياسي». أرئيلي الناصر لتسوية الدولتين تابع في حديث لصحيفة «هآرتس» أمس: «كل ما تبقى للمخلصين للصهيونية هو الأمل بأن يكون رفض القوميين المتطرفين المسيحانيين لخطة الضم بمثابة حمار المسيح الذي سينقذنا من الحلم المجنون للرئيس ترامب الذي يمكن أن يهدم كل قطعة جيدة في البلاد ويدمر علاقاتها مع الفلسطينيين ومع العالم». وبالتزامن مع هؤلاء حذر مارتين ايندك المبعوث الأمريكي الأسبق للمنطقة من أن الضم يعني بداية نهاية مشروع الصهيونية في البلاد لأنه يدفع نحو دولة غير يهودية وليست ديمقراطية. في المقابل بعث 1000 ضابط إسرائيلي في الاحتياط مذكرة للرئيس ترامب دعوا فيه لصب الماء على طاحونة نتنياهو وتطبيق الضم الحيوي لأمن إسرائيل، وقد كتبت بلغة تاريخية ومصطلحات توراتية تنسجم مع توجهات المسيحيين المتجددين في الولايات المتحدة.

عملاً بسياسة الاحتواء:
هيئة «تحرير الشام» تمنع تشكيل فصائل وغرف عمليات في إدلب

تسعى «تحرير الشام» إلى الظهور بمظهر المحارب للإرهاب والضامن للاتفاقات الدولية والذي تمثل بحماية الدوريات التركية المشتركة للحصول على رضى الدولتين وإبعاد «الجبهة الوطنية للتحرير» المدعومة تركيا.

منهل باريش

في 20 شباط (فبراير) الماضي، وجه قائد هيئة تحرير الشام رسائل عدة للمجتمع الدولي في مقابلة مع مجموعة الأزمات الدولية تحت عنوان «العمل الجهادي في سوريا: حديث مع أبو محمد الجولاني».

نوه قائد هيئة تحرير الشام إلى إنجازاته في ملاحقة «خلايا تنظيم الدولة الإسلامية بشكل منهجي في إدلب» وبنتيجة لتلك الملاحقة «لم نشهد هجوماً لتنظيم الدولة في إدلب على مدى الأشهر الستة الماضية». وأضاف «أننا احتوينا حُراس الدين، الذين تربطنا بهم علاقة معقدة. وأخذنا منهم تعهدا الا يستخدموا سوريا كنقطة انطلاق للجهاد الخارجي والاعتراف بحكومة الإنقاذ [الحكومة المحلية التي شكلتها هيئة تحرير الشام في إدلب] وبمحاكمها [بعبارة أخرى، بعدم إقامة محاكم شرعية خاصة بها]. وحتى الآن، التزموا بهذه التعهدات». وأكد عدم وجود أصوات متشددة داخل هيئة «تحرير الشام» و«الجميع يلتزم بقرار القيادة. أما بالنسبة لأولئك الذين لا يفعلون، فيمكنهم بسهولة الافتراق عنا».

بالنسبة للحزب الإسلامي التركستاني، شدد الجولاني على معيار التهديد الخارجي، مشيرا إلى أنهم «لم يشكلوا تهديداً للعالم الخارجي. إنهم ملتزمون حصراً بالدفاع عن إدلب ضد اعتداءات النظام». ورغم تعاطف الجولاني مع قضيتهم «لكن صراعهم في الصين ليس صراعنا، ولذلك نقول لهم إننا نرحب بهم هنا طالما التزموا بقواعدنا–وكذلك يفعلون». وفي ختام رسائله الدولية طالب المنظمات التي غادرت إدلب بسبب الاعتداء عليها من قبله بالعودة والعمل، وأعطى ضمانة عدم المساس بها.

ويحافظ قائد الهيئة على التوازن الحاصل أعلاه في إدلب، بشكل دقيق للغاية منذ موافقته على دخول القوات التركية إلى إدلب ونشر 12 نقطة مراقبة تركية لتثبيت مناطق خفض التصعيد الأربع التي اقرت في مسار أستانة، والذي ولد انشقاقا داخل تحرير الشام أفضى لخروج أبرز قادة الصف الأول العسكريين والشرعيين الأردنيين وتشكيل تنظيم «حراس الدين» مع أبو همام الشامي أو فاروق السوري (اسمه سمير حجازي) القائد العسكري العام السابق لجبهة النصرة، والذي أشاع التنظيم مقتله في ضربة للطيران الأميركي في آذار (مارس) 2015 شمالي إدلب قرب الحدود التركية السورية، والذي يعتبر أول الخارجين من تنظيم فتح الشام لحظة تأسيسها وفك الارتباط في القاعدة في تموز (يوليو) 2016 ومعه خرج القياديان الأردنيان إياد الطوباسي (أبي جليبيب الأردني) وبلال خريسات (أبو خديجة الشرع).

وترأس الشامي تنظيم «حراس الدين» الذي تكون من عدة مجموعات جهادية صغيرة، أبرزها «جيش البادية» و«جيش الملاحم» و«جيش الساحل» و«سرية كابل» و«جند الشريعة» وبقايا تنظيم «جند الأقصى» المقرب من تنظيم «الدولة الإسلامية». وبلغ تعداد «الحراس» لحظة تأسيسه قرابة 1800 مقاتل، يشكل المقاتلون العرب أكثر من نصفه، حسب التقديرات المتداولة في أوساط الجهاديين. وخاض التنظيم الوليد سجالا مستمرا لم ينته حتى الآن بخصوص أحقيتهم بسلاح وعتاد لم تعطه قيادة تحرير الشام لهم.

في تشرين الثاني (نوفمبر) 2018 أعلنت أربعة تنظيمات جهادية رفضها لاتفاق سوتشي الموقع بين الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين والتركي رجب طيب اردوغان، ومانعت سحب سلاحها الثقيل وتشكيل منطقة منزوعة السلاح الثقيل داخل أراضي المعارضة. وشكل «حراس الدين» و«جبهة أنصار الدين» وجماعة «أنصار الإسلام» وتنظيم «أنصار التوحيد» غرفة عمليات مشتركة باسم «وحرض المؤمنين» وشنت عدة هجمات على قوات النظام في منطقة سهل الغاب. واعتبرت الغرفة تحديا لإرادة تحرير الشام في وقف القتال.

في مطلع أيار (مايو) خرج تنظيم «أنصار التوحيد» من غرفة عمليات «وحرض المؤمنين» نتيجة توجه قادة الفصائل إلى توسيع الغرفة وإنشاء تحالف مع فصائل جديدة منشقة عن هيئة «تحرير الشام» وعلى رأسهم كتيبة الأوزبك وانضمامها بقيادة أبو صلاح الدين الأوزبكي إلى جبهة «أنصار الدين» وكذلك خروج مقاتلي القلمون والغوطة الشرقية وتأسيسهم لـواء «المقاتلين الأنصار».

ويعتبر أنصار التوحيد أحد الفصائل التي تمكنت تحرير الشام من احتوائها تدريجيا والسيطرة على قرارها بسبب الدعم المالي والعسكري الذي تقدمه للجماعة، خصوصا مع شح الدعم الذي تواجهه منذ نحو عامين، والذي ظهر مؤخرا مع إعلان التنظيم عن حملة تبرعات.

وأعلنت غرفة عمليات «وحرض المؤمنين» عن توسيع نفسها من خلال تأسيس غرفة تضم فصيلين جديدين هما تنسيقية الجهاد بقيادة ابي العبد اشداء، الخارج من سجون «تحرير الشام» مؤخرا ولواء «المقاتلين الأنصار» وهو ما حذرت منه قيادة «تحرير الشام» سابقا واستشعرت خطره عليها وعلى وحدة صفها العسكري الداخلي، فقامت مباشرة باعتقال أبو صلاح الأوزبكي وابي مالك التلي. وضع الاعتقال فصائل غرفة عمليات «فاثبتوا» أمام اختبار صعب للغاية، فقرار المواجهة سيكون باهظ الثمن عليها نظرا لسيطرة تحرير الشام الواسعة في إدلب، إضافة إلى خشيتها من دخول الجبهة الوطنية في القتال ضدها إلى جانب «تحرير الشام» بسبب رغبة الوطنية بتطبيق اتفاق موسكو الذي نص على فتح طريق الترانزيت «M4» والذي رفضته «حراس الدين».

وتسعى «تحرير الشام» إلى إظهار نفسها بمظهر المحارب للإرهاب والضامن للاتفاقات الدولية، الذي يعاقب المشاغبين والذي تمثل بحماية الدوريات التركية المشتركة بشكل غير مباشر بهدف الحصول على رضى الدولتين بالاستثمار بحماية الطريق وإبعاد «الجبهة الوطنية للتحرير» المدعومة من تركيا.

وأصدر الجناح العسكري في هيئة «تحرير الشام» الجمعة، قرارا منع تشكيل أي فصيل جديد أو إنشاء غرف عمليات إلا بإشراف غرفة عمليات «الفتح المبين» التي تشرف عليها. وقال القرار «نظرا لما تمر به الساحة من ظرف عسكري استثنائي، يمنع إنشاء أية غرفة عمليات أخرى أو تشكيل أي فصيل جديد تحت طائلة المحاسبة، بحيث تصبح جميع النشاطات العسكرية بإدارة غرفة عمليات الفتح المبين».

من جهتها قالت غرفة عمليات «فاثبتوا» في اليوم نفسه، إن هيئة «تحرير الشام» «غدرت بها بعد اتفاق التهدئة الموقع اليوم بين الطرفين، والذي وقعه ابي حفص بنش عن الهيئة وأبو عبد الله السوري عن فاثبتوا». وأشار البيان «بعد الاتفاق الذي تم في عرب سعيد بين غرفة عمليات فاثبتوا وهيئة تحرير الشام، وما جرى خلال التحضير له من رغبة الطرفين في استمرار الترتيب سوية في باقي المناطق، تفاجأنا بالغدر من قبل هيئة تحرير الشام المتمثل بمداهمة مقرات فرغة عمليات فاثبتوا في سرمدا والساحل» وهددت بنقض اتفاق وقف إطلاق النار الموقع، في حال استمرت «الاعتداءات».

وأشار البيان إلى أنه يحال بعض «الإخوة» المدعى عليهم، إلى التركستان للنظر في أمرهم لدى القضاء، إضافة إلى إغلاق مقر حراس الدين في عرب سعيد، وتعهده بالمقابل بعدم إقامة حواجز في القرية. وكانت غرفة العمليات أعلنت موافقتها على رفع الحواجز التي نصبتها غربي مدينة إدلب عقب الخلاف بينها وبين «تحرير الشام» بضمانة كتيبة «جنود الشام» و«أجناد القوقاز».

وتدرك «تحرير الشام» أن الإقتتال مع فصائل غرفة «فاثبتوا» له عواقب وخيمة عليها إذا اضطرت لحرب من دون مساندة فصائل الجبهة الوطنية المدعومة تركيا، فمقاتلو «فاثبتوا» هم من أكثر المقاتلين تمرساً وصلابة، إضافة لشعور أغلبهم أنهم جزء من تنظيم القاعدة الأم، ويحظى بمباركتها. فمعركة مفتوحة بين الجانبين ستضعف «تحرير الشام» إلى حد كبير ولا تجعلها القوة الضاربة والمسيطرة في إدلب، وهذا ما سيدفعها إلى خيار وسط بين الخيارين تسعى إلى تفكيك «فاثبتوا» وإطلاق القياديين الأوزبكي والتلي بشرط حل عقد فصيلهما، وفرض شروط تعيد فكرة الاحتواء التي تباهى بها الجولاني.

مقاتلون من هيئة تحرير الشام

السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ

اليمن: جدل حول الضغوط السعودية لإجبار الرئيس هادي على قبول مشاركة الانتقالي في الحكومة المرتقبة

قوات المجلس الانتقالي في أبين

بين التصعيد العسكري للمجلس الانتقالي ورفض هادي لمشاركته في الحكومة المقبلة، تلعب الرياض على كل المحاور وتمارس كل وسائل الضغط على الرئيس هادي لإجباره على الاستسلام والقبول بما تمليه عليه.

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

أثارت الأنباء التي تتردد في الأوساط السياسية اليمنية حول ضغوط سعودية على الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي لإجباره على القبول بمشاركة المجلس الانتقالي الجنوبي في الحكومة المرتقبة التي من المقرر أن تشكل وفقا لاتفاق الرياض الموقع بين الحكومة الشرعية والانتقالي الجنوبي نهاية العام الماضي، والذي فشلت الرياض في تنفيذه حتى الآن على أرض الواقع جدلا واسعا.

ومارست الرياض ضغوطا شديدة على الرئيس هادي من أجل القبول بهذا التشكيل الحكومي الذي يتوقع أن يعطي الانتقالي الجنوبي حقائب وزارية هامة، وهو ما يرفضه هادي جملة وتفصيلا، لأنه يعتبر المجلس الانتقالي (انقلابيين) على الشرعية، وأن هذه الضغوط جاءت بعد أيام من احتلال جزيرة سقطرى من قبل ميليشيا المجلس الانتقالي المدعومة من الإمارات ومنح الإمارات العربية المتحدة صلاحيات واسعة للسيطرة على مقدراتها الحيوية. واثير هذا الجدل حول قضية مشاركة الانتقالي الجنوبي في الحكومة المقبلة، لاستحالة توافق الطرفين، والعمل معا تحت مظلة الحكومة، في ظل التمرد العسكري الذي يتصاعد كل يوم من قبل ميليشيا المجلس الانتقالي، في محافظات الجنوب، والذي يسعى بقوة السلاح الإماراتي إلى فرض «إدارته الذاتية» على المناطق الجنوبية التي يتمكن من السيطرة عليها عسكريا. وعلّق السفير اليمني في العاصمة الأردنية عمان علي العمراني، على التوجه السعودي بمشاركة المجلس الانتقالي الانفصالي في الحكومة اليمنية المقبلة بقوله «سيعمل الانتقالي من داخل الحكومة اليمنية على تفكيك الوحدة وتقويض الدولة اليمنية، مثلما فعل ومازال يفعل. أول مرة في التاريخ تفرض مشاركة فصيل في حكومة بأجندة مناوئة للدولة».

وشدد على ضرورة حل الأمور العسكرية العالقة أولا مع الانتقالي الجنوبي وقال «قبل مشاركة المجلس الانتقالي يجب عودة الأمور في سقطرى وعدن إلى ما كانت عليه قبل الانقلاب، وتخلي الانتقالي عن الدعوة لتقسيم اليمن».

وعلمت «القدس العربي» من مصدر حكومي أن السلطات السعودية كثفت أمس عقد لقاءاتها مع هيئة رئاسة مجلس النواب اليمني (البرلمان) ومستشاري الرئيس هادي قبل اجتماعه بهم وذلك من أجل التوصل إلى حل جماعي لحل معضلة تشكيل الحكومة اليمنية المقبلة، التي يرفض هادي مشاركة الانتقالي الجنوبي فيها لأسباب تتعلق باستحالة الانسجام بين أعضاء الحكومة من المجلس الانتقالي وبقية الأعضاء وبالتالي استحالة انصياعهم للالتزام بما تم الاتفاق عليه من ضوابط ومحددات لتسيير عمل الحكومة الائتلافية بين الجانبين، والتي يصعب إطلاق تسمية «ائتلافية» عليها نظرا لتعارض المواقف بين أعضائها.

وقال الرئيس هادي في اجتماعه بهيئة مستشاريه ورئاسة مجلس النواب أمس بالرياض «لقد جاء قبولنا لاتفاق الرياض، وضرورة تنفيذه بشكل كامل كما ورد في آخر مادة فيه بدون انتقاء أو تجزئة، منبثقا من قناعتنا الراسخة بأنه يمثل المخرج الأمن لإنهاء أسباب ومظاهر وتداعيات التمرد المسلح في العاصمة المؤقتة عدن، وبعض المناطق المحررة، وبما يغلب المصلحة الوطنية العليا، ويوحد الجهود لمواجهة الانقلاب الحوثي، واستيعاب الجميع في إطار الدولة ومؤسساتها العسكرية والأمنية والمدنية».

وأوضح هادي أنه «للأسف تعثر تنفيذ اتفاق الرياض لفترة طويلة نتيجة استمرار الممارسات التصعيدية التي كان منها إعلان ما يسمى الإدارة الذاتية (من قبل المجلس الانتقالي) وما ترتب عليه وكان آخرها ما شهدته محافظة أرخبيل سقطرى من تمرد على الدولة ومؤسساتها واعتداءات على مواطنيها الأبرياء المسالمين». موضحا أن الاحتكام إلى السلاح والقوة لتحقيق مكاسب شخصية، أو تمرير مشاريع فئوية، أو مناطقية أو حزبية لن يكون مقبولاً، ولن يحقق لأصحابه هدفاً أو غاية.

في غضون ذلك أعلن المجلس الانتقالي صباح أمس السبت استئناف تصعيده العسكري ضد حكومة هادي في محافظة حضرموت، شرقي اليمن، بعد ثلاثة أيام من تعليق ذلك في انتظار لما ستسفر عنه اجتماعات الرياض.

وأرجع رئيس فرع المجلس الانتقالي بحضرموت، سالم أحمد بن دغار، أسباب استئناف التصعيد العسكري في حضرموت إلى «عدم احترام الحكومة تعهداتها وعدم جديتها في تنفيذ اتفاق الرياض» على حد قوله، في حين تتهمهم الحكومة بالتمرد على اتفاق الرياض وعدم الانصياع لبنوده الملزمة للطرفين. ودعا بن دغار ميليشيا الانتقالي إلى الاستعداد المسلح لمواصلة برنامج التصعيد العسكري للمطالبة بتطبيق الإدارة الذاتية في محافظة حضرموت.

وبين التصعيد العسكري للمجلس الانتقالي ورفض هادي لمشاركته في الحكومة المقبلة، تلعب الرياض على كل المحاور وتمارس كل وسائل الضغط على الرئيس هادي لإجباره على الاستسلام والقبول بما تمليه عليه الرياض فيما يتعلق بتشكيل الحكومة المقبلة وضرورة مشاركة الانتقالي الجنوبي فيها، والذي «يعد طعنة في خاصرة الشرعية التي أصبحت رهينة لإملاءات الرياض» على حد تعبير العديد من المراقبين لـ«القدس العربي».

Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

عندما توفر بغداد مبررات تدخل تركيا في العراق

لا تنوي حكومة بغداد مواجهة تجاوزات حزب العمال، لأنها تستفيد منه في محاربة داعش وتستغله كورقة ابتزاز ضد حكومة الإقليم وتركيا.

احتجاجات في السليمانية ضد الغارات التركية

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

في تطورات مثيرة للقلق، صعد حزب العمال التركي المعارض من مستوى تدخلاته في شؤون العراق، وتحدي السلطات وتعريض أمنه وسيادته للخطر، مستغلا تساهل حكومتي بغداد وأربيل معه، وتركيزهما على إدانة القصف التركي لمقرات الحزب شمال العراق، وسكوتهما عن جعل البلد منطلقا لعمليات إرهابية ضد دول الجوار.

وقبل أيام أقدمت عناصر حزب العمال الكردي التركي المعارض لأنقرة، على رفع إعلامه فوق ثلاثة جسور في مدينة كركوك شمال العراق، قبل أن يهاجموا مقابر شهداء التركمان هناك ويحرقوا الإعلام العراقية والتركمانية، مهددين بمهاجمة مقرات الجبهة التركمانية العراقية. ولم يكتف الحزب بذلك، بل قام بعد أيام بمنع افتتاح مركز شرطة جديد في منطقة القحطانية في سنجار غرب الموصل وطرد منتسبيه بعد تهديدهم بالقتل، في الوقت الذي يمنع الحزب المذكور، عودة النازحين من المخيمات إلى مناطقهم الأصلية في سنجار. وإضافة إلى ذلك، حرك الحزب أتباعه لتنظيم تظاهرة في السليمانية، ضد قيام الطيران التركي بمهاجمة قواعده ومقراته شمال العراق مؤخرا، كما قام بفتح مقرات جديدة له في طوزخورماتو التابعة لمحافظة صلاح الدين.

إلا أن أخطر تصريحات الحزب، كان إعلان القيادي فيه، رضا آلتون، بأن حزبه «سيحول شمال العراق، إلى ساحة حرب ضد تركيا وحلفائها» مؤكدا «لن نعترف بعد الآن بأي حدود، وسنشن حربا مفتوحة على مواقع ومصالح تركيا وحلفائها في إقليم كردستان العراق». علما أن حزب العمال سبق أن استهدف الأنبوب الناقل لنفط شمال العراق إلى تركيا، أكثر من مرة، ما أدى إلى إلحاق أضرار مادية بالعراق قُدرت بملايين الدولارات جراء التوقف المؤقت للصادرات النفطية.

وازاء هذا التصعيد الخطير، ارتفعت الدعوات مجددا، لطرد حزب العمال الكردستاني، المصنف ضمن قائمة المنظمات الإرهابية في تركيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، من شمال العراق، حيث حققت القنوات الفضائية العراقية ومواقع التواصل الاجتماعي، هذه الأيام بلقاءات وتعليقات معارضة لتواجد هذا الحزب في الأراضي العراقية. ومن ذلك، تأكيد عبد الله الياور، شيخ عشائر شمر العربية في نينوى، قيام حزب العمال بانتهاكات وصلت إلى حد تنفيذه مجازر وإعدامات جماعية ضد عشائر عربية في سنجار، مؤكدا أن وجود الحزب هناك هو مخالفة لكل الأعراف العراقية والدولية، داعيا رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي لتصحيح الأوضاع في شمال العراق وإعادة السيادة العراقية على تلك المناطق وطرد حزب العمال منها، متعهدا بدعم الشعب لهذا التحرك. وقال الياور في لقاء تلفزيوني: «لا نستطيع أن نلوم تركيا أو غيرها على مهاجمة العراق مع وجود جماعات مسلحة تهاجم تلك الدول، خاصة أن حكومة بغداد توفر السلاح والمال للحزب التركي».

ونوه النائب أرشد الصالحي، إلى أن «تواجد حزب العمال وأي مجاميع إرهابية على الأراضي العراقية فيه ضرر على العراق وتركيا» كاشفا أن الحزب يقوم بتجنيد الرجال والنساء من أهل السليمانية وسنجار، وأن تواجده في كركوك يخرب الانسجام بين المكونات فيها، داعيا الدولة إلى محاسبة كتل سياسية في مجلس النواب تدافع وتدعم تواجد حزب العمال في العراق. فيما عد النائب حسين العقابي، تواجد حزب العمال الكردستاني في سنجار «خطأ عراقيا جسيما» مشيرا إلى أن «الحكومة ملزمة بإخراج حزب العمال من العراق بقوة السلاح، إذا لم يخضع للتفاوض للخروج منه».

أما محافظ نينوى السابق أثيل النجيفي، فذكر أن بعض عناصر حزب العمال مسجلين لدى الحشد الشعبي، وأن الحزب يتقاضى رواتب من الحكومة العراقية قبل سنتين من ظهور تنظيم داعش عام 2014. وأكد «على العراق أن يمنع جعل أراضيه منطلقا لمهاجمة الدول الأخرى، لعدم فتح الباب للرد التركي».

وسبق لقيادات كردية عراقية أن اتهمت رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي بتقديم المال والسلاح للحزب المذكور لإثارة المشاكل مع حكومة الإقليم، فيما يرفض الاتحاد الوطني الكردستاني (حزب جلال طالباني) اعتبار الحزب إرهابيا بحجة مشاركته في المعارك ضد «داعش».

وخلال زيارتي لجبال قنديل ومدينة سنجار شمال العراق عام 2016 اكد مسؤولون في حزب العمال التركي، أنهم يسعون لـ«إقامة دولة كردستان الكبرى المستقلة» وانهم لا يعترفون بسلطة بغداد وإقليم كردستان على شمال العراق، وأن الحزب سيواصل شن الحرب في المدن التركية. علما بأن تركيا تخوض منذ سنوات، حربا ضد حزب العمال الذي يرفع السلاح ضدها، وتستفيد من اتفاق مع النظام السابق على ملاحقة عناصر الحزب داخل الأراضي العراقي لمسافة بين 10 و20 كلم، حيث أعلنت أنقرة عام 2019 إحباط نحو 328 هجومًا إرهابيا، وحيدت في غاراتها الأخيرة نحو 998 إرهابيا. وردا على الانتقاد الرسمي العراقي للغارات التركية على مواقع حزب العمال، أعلنت أنقرة إنها «تنتظر من العراق التعاون في مكافحة ذلك الحزب، وإن العمليات التي ينفذها الجيش التركي في شمال العراق، تستهدف الحزب الذي يشكل تهديدا لتركيا والعراق».

ولا يختلف الخبراء الأمنيون على أن قدرات حزب العمال التركي العسكرية، أقل من قدرات القوات المسلحة العراقية بالتأكيد، إلا أن حكومة بغداد لا تنوي مواجهة تجاوزات حزب العمال، لأنها تستفيد منه في محاربة داعش ولترتيب أوضاع شمال العراق، إضافة إلى استغلاله كورقة ابتزاز ضد حكومة الإقليم وتركيا، رغم مخاطر تلك العلاقة على مصالح وسيادة البلد واستفزاز الجيران ودفعهم لمهاجمة مقرات الحزب في العراق. كما يعتقد البعض، أن تصعيد تحركات حزب العمال الآن، يأتي ضمن توجه الدولة العميقة، لخلق المزيد من الأزمات لحكومة مصطفى الكاظمي والضغط عليها لعرقلة مساعيها في تنفيذ برنامجها الإصلاحي الذي يهدد مصالح أحزاب السلطة في الهيمنة على مقدرات الدولة.

عون لم يعد «بيّ الكل»؟

لبنان: ألغام في لقاء بعبدا تهدّد الطائف تحت عنوان تطوير النظام

اللقاءات مهما كانت تسميتها وطنية أو غير وطنية لا تعني المواطنين الذين لا يعيرون اهتماماً لها، وكل ما يعنيهم هو حلول فعلية لأزمة الدولار وللأزمة المعيشية.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

سيبقى «اللقاء الوطني» الذي انعقد في قصر بعبدا إلى فترة غير قصيرة، مادة للتجاذب السياسي والجدل حول جدواه ونتائجه وخصوصاً حول الإصرار على انعقاده رغم غياب مكوّنات سياسية وتجاوز الميثاقية السنّية بغياب الرئيس سعد الحريري الأقوى تمثيلاً في طائفته السنّية إضافة إلى رؤساء حكومات سابقين.

واللافت أنه تحت جنح هذه الطاولة حاول العهد الذي غيّب تماماً أي إشارة إلى الالتزام بتطبيق الطائف ومصالحة لبنان مع محيطه العربي، تمرير فقرة في البيان الختامي حول «تطوير النظام» متحدّثاً عن «التطوير الواجب اعتماده في نظامنا السياسي ليكون أكثر قابلية للحياة والإنتاج وذلك في إطار تطبيق الدستور وتطويره لناحية سدّ الثغرات فيه وتنفيذ ما لم يتحقق من وثيقة الوفاق الوطني». وهذا ما يفسّر مسارعة «تيار المستقبل» إلى إصدار موقف اعتبر فيه «أن أخطر ما في البيان الصادر عن لقاء بعبدا دعوته للتأسيس على اللقاء للانطلاق من بحث توافقي من بدون عقد أو محرّمات لمعالجة مفاصل الخلافات الكبيرة»، وسأل «ما هو الشيء الذي يؤسّس له لقاء بعبدا؟ وهل أن اللقاء اتخذ قراراً من جانب واحد بفتح الباب أمام تعديلات دستورية بذريعة التطوير الواجب اعتماده في نظامنا السياسي؟» محذّراً من «مجموعة ألغام سياسية ووطنية في البيان تستدعي المراقبة والتنبيه».

أما أوساط «التيار الوطني الحر» فركّزت على أهمية ما ورد في بيان بعبدا حول تطوير النظام، معتبرة «أن اللقاء شكّل فرصة أطاحت بعُقَد ومحرّمات وهمية كثيرة، سيحاول كثيرون إثارة غبار التضليل حولها».

وكان العديد من القيادات ووسائل الإعلام سجّلوا ملاحظات على لقاء بعبدا على الشكل الآتي:

أولاً: انتقاد اجتماع أهل السلطة للبحث في الأوضاع المتردّية الذين هم أنفسهم من أوصلوا البلاد إليها نتيجة سياساتهم وغياب إصلاحاتهم وخرقهم لمبدأ النأي بالنفس، مستسهلين القتال خارج الحدود والبهورة على الناس والتجييش الطائفي والمذهبي ضد ثورة 17 تشرين الأول/أكتوبر والتلويح بقلب الطاولة على الداخل بعدما سدّوا أبواب الانفتاح على الدول العربية وتحديداً الخليجية.

ثانياً: لقاء بعبدا ليس لم ينجح فقط في تعويم العهد بل أساء إلى صورة رئيس الجمهورية ميشال عون الذي يُفترض به أن يكون رئيساً جامعاً بصفته رمز وحدة الوطن، وبدلاً من نزول عون عند رغبة البطريرك الماروني الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي لتأجيل الاجتماع، وكذلك عند دعوة الرئيسين السابقين أمين الجميّل وميشال سليمان لمزيد من التحضير والتشاور مع القيادات إنطلاقاً من مقولة أنه «بيّ الكل» أصرّ على الاستماع إلى بعض مستشاريه والمقرّبين منه الذين اعتمدوا سياسة المكابرة بتشجيعه على تجاهل كل الدعوات، فظهر أخيراً كأنه «بيّ فريق المانعة» فقط.

ثالثاً: مسألة الفتنة بات يستخدمها أهل السلطة كفزّاعة شبيهة بـ «فزّاعة التوطين» فلا أحد في الداخل إلا ويرفض هذه الفتنة وتوليد أي شكل من أشكال العنف، ويؤيّد البعض في قوى 14 آذار/مارس ما ذهب إليه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع بإتهامه المجموعة الحاكمة بتهديد الاستقرار وحلفاء العهد بإرسال الدراجات النارية إلى عين الرمانة.

رابعاً: ربط بيان بعبدا بين الحرية والحقيقة بقوله «إن حرية التعبير مصانة في مقدمة الدستور ومتنه، على أن تمارس هذه الحرية بحدود القانون الذي يجرّم الشتيمة والتحقير والمسّ بالكرامات وسائر الحريات الشخصية» هو أمر خطير ويفتح الباب على استمرار الملاحقات البوليسية وتوقيف الناشطين الغاضبين وخنق أصواتهم الرافضة ما آلت إليه الأزمة الاقتصادية والمالية والمعيشية والتي تُتوَجَم بتوجيه إهانات إلى العهد والحكومة وبدعوات إلى رحيل الطبقة السياسية الفاشلة.

في المقابل، فإن أوساط «التيار الوطني الحر» تُدرج كل هذه الملاحظات على لقاء بعبدا في إطار «التشويش السياسي المفتعل» وتعتبر «أن بعبدا نجح في إيصال رسالته الوحدوية إلى جميع اللبنانيين» مؤكدة «أن السلم الأهلي يبقى مسؤولية الجميع الحاضرون منهم والمتغيّبون، وهذا خط أحمر عبّر عنه رئيس الجمهورية الذي رأى في أحداث طرابلس وبيروت وعين الرمانة إنذاراً لنا جميعاً للتنبّه من الأخطار الأمنية».

يبقى أن اللقاءات مهما كانت تسميتها وطنية أو غير وطنية فهي لا تعني المواطنين اللبنانيين الذين لا يعيرون اهتماماً لأي اجتماعات، وكل ما يعنيهم هو حلول فعلية لا وهمية لأزمة الدولار وللأزمة المعيشية. وقد جاءت صورة البرّادات الخاوية التي نشرها مصوّر «وكالة الصحافة الفرنسية» لتظهر حجم الأزمة الخانقة ومعدلات البطالة والفقر في لبنان والتي لن تطول الأيام قبل أن تنفجر في وجه العهد والحكومة.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ

الأردن وتركيا إلى «خلاف مكتوم» وتعارض «مصالح» يغذيه الجنرال حفتر

ترى النخبة الأردنية أن عمان كان يتوجب عليها أن تعلن تأييدا لمبادرة الرئيس المصري في المسألة الليبية بالرغم من أنها لا تخفي تحالفها مع البرنامج المصري والإماراتي في العمق الليبي.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

لا يحتاج المشهد الخلافي أصلا بين تركيا والأردن إلى محطة جديدة يقف عندها الطرفان.

قبل أزمة كورونا الأخيرة كان النقاش الأردني التركي صاخبا بعد قرار عمان تجميد اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين.

طوال أكثر من عشرة أشهر وقفت «القدس العربي» على تفاصيل حوارات صاخبة تستهدف إنقاذ ما يمكن إنقاذه من ملف الاتفاقية التي ألغاها وزير الصناعة والتجارة الدكتور طارق الحموري وهو يؤكد لـ«القدس العربي» مباشرة وعدة مرات بأن المصالح التجارية الأردنية لديها ملاحظات ومطالب وبأن المراجعة متاحة إذا ما مال الجار والشقيق التركي إلى إعادة التوازن المطلوب.

لا يزال الحموري ورفاقه في وزارته مصنفون في المؤسسة التركية بالمبالغة في إقصاء اتفاقية وقع عليها الطرفان. لكن الحموري يشير إلى أن المسألة دوما بدون اعتبارات سياسية ومصالح بلاده فوق كل اعتبارات.

في كل حال دخل النقاش حول الاتفاقية الملغية بين عمان وأنقرة إلى الثلاجة قبيل بروز أزمة كورونا التي عطلت كل شيء في مختلف دول العالم عمليا.

بدا ملاحظا وبوضوح بأن حديث عمان المتتابع عن عولمة وأقلمة المواجهة مع فيروس كورونا لاحتواء التداعيات لا يشمل أي مبادرة من الجانب التركي باتجاه التعاون الإقليمي.

الرهانات هنا أخفقت في تقديم أي عروض مساعدة تركية لها علاقة بكورونا إلى الأردن وفقا لما لاحظه أمام «القدس العربي» أحد أبرز منتقدي تجميد الاتفاقية التجارية وهو القطب البرلماني خليل عطية.

عطية ومعه العديد من الشخصيات المهمة مثل وزير التجارة الأسبق الحاج حمدي الطباع حاولا تأسيس مبادرة للتحريك التجاري بين البلدين.

يفترض أن يحصل ذلك على أساس تبادل المنفعة والمصالح.

لكن المستجد الليبي تحديدا فرض نفسه مجددا على إيقاع توتر خافت في العلاقات والاتصالات بين عمان وأنقرة، حيث عاصمتان بمنطق التحالف السياسي والأمني والعسكري في اتجاهين متعاكسين تماما وفي حالة تموقع متناقضة ومتباينة لها علاقة بملف دولي هذه المرة.

يمكن ببساطة ملاحظة أن عمان تتجنب اتهام أو مناكفة الرعاية التركية لحكومة الشرعية في المعادلة الليبية.

وبالدرجة نفسها من البساطة يمكن ملاحظة أن خطاب الخارجية التركية ينتقد بقسوة كل الأطراف الداعمة للجنرال خليفة حفتر في ليبيا من دون التطرق للدعم الأردني العلني الذي قدمه للتحالف المصري الإماراتي مع حفتر في جملة أثارت الكثير من الجدل وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي.

الصفدي وفي كل اتصالاته التي تضمنت استفسارات من «القدس العربي» وهي قليلة، كان يؤكد بأن ما يتبناه ويقوله هو موقف الدولة الأردنية.

اليوم وسط النخبة الأردنية ثمة شكوك في أن عمان كان يتوجب عليها أن تعلن تأييدا حماسيا ومفرطا لمبادرة الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في المسألة الليبية بالرغم من أن حكومة الأردن لا تخفي إعلاميا أو سياسيا تحالفها مع البرنامج المصري والإماراتي في العمق الليبي.

الأهم في المجال الحيوي للعلاقات الأردنية التركية أن الخلاف أكثر من مجرد خلاف في المسألة الليبية بل اصطدام وتعارض مصالح ومواقف، رغم ذلك يحرص الجانبان على عدم إظهار التباين والخلاف أو حتى الصراع.

يبدو هنا واستنادا إلى خبراء دبلوماسيون أن الرئيس التركي رجب طيب اردوغان لا يزال مهتما باستقطاب الأردن ويظهر حرصا شديدا على دبلوماسية كتم الخلافات أو التناقضات وهو حرص يقابله الأردنيون بمثله، الأمر الذي يبرر عملية تواطؤ سياسية برغبة هدفها تجنب إظهار التباين رغم تعارض الاتجاهات والمصالح.

لكن تلك معادلة حكمت الكثير ولعدة سنوات من مؤشرات التباين في العلاقة الأردنية التركية.

وهي أيضا معادلة غير مؤهلة للصمود كثيرا لأن الخلاف السياسي خصوصا في حالة التمحور دفعت ثمنا له اتفاقية التجارة الحرة ولأن عمان دفعت أيضا لإرضاء المعسكر السعودي أو عدم إثارة غضبه ثمنا ذو قيمة وهي تحاول الإفلات من الرغبة التركية في ركوب موجة ملف مدينة القدس.

الارتياب في بعده الأمني والاستراتيجي لا يزال يحكم البوصلة بين العاصمتين ورغم استئناف الاتصالات بين الحين والآخر بنظام القطعة يضيف التباين والتناقض في العمق الليبي تحديدا تعقيدات إلى مشهد معقد أساسا وأصلا على الصعيد السياسي.

يبقي الأردن خيار التباعد أو التقارب مع تركيا رهنا لحسابات الطوارئ.

وتبقي تركيا اتجاهاتها مع الأردن مرهونة في نطاق الاستغراب المستمر من طريقة عمان في التعامل معها خصوصا وأن العاصمة الأردنية تعاني منذ عقود من عقدة الشقيق الأكبر أو الجار القوي الكبير وهي مكتفية بتعقيدات الشقيق الأكبر السعودي وجاره المصري بين الحين والآخر.

لذلك تحتاج مسطرة العلاقات الأردنية التركية إلى تفكيك يبدأ بحسن النوايا وتبادل المصالح ولو بالتدريج، حتى يجد وزير الخارجية التركي شاويش أوغلو مساحة مناورة معقولة ومناسبة له عندما يرغب في التواصل مع الأردن لمساعدته ومساندته في المعركة ضد مشروع الضم الإسرائيلي.

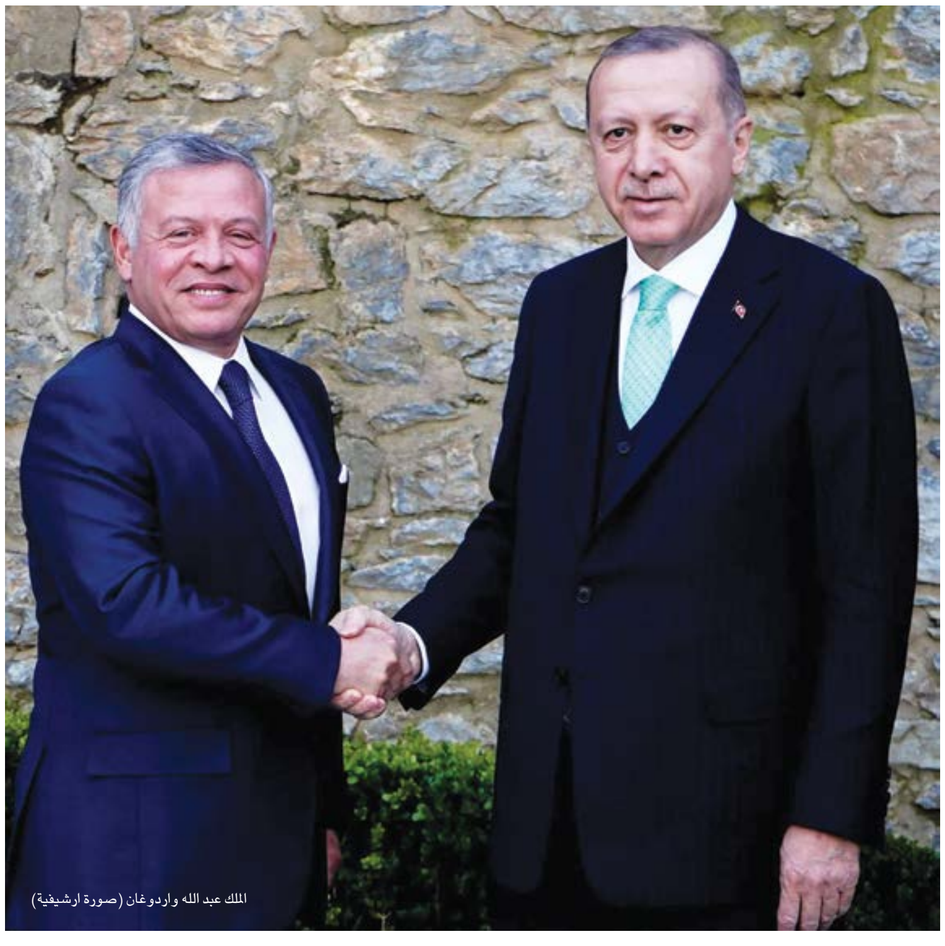
الملك عبد الله واردوغان (صورة ارشيفية)

Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

ليبيا: ضغوط دولية لحرمان «الوفاق» من قطف ثمرة انتصارها

يتجه الوضع العسكري في شرق طرابلس نحو الجمود، فيما تتكثف الاتصالات الدبلوماسية لوضع عملية برلين على سكة التنفيذ.

رشيد خشانة

السراج ولويجي دي مايو

الظاهر أن الضغوط الدولية على حكومة «الوفاق» حملتها على التوقف عن الزحف شرقا والامتناع عن خوض معركة استعادة سرت (450 كلم شرق طرابلس) وإعادة فتح الحقول والموانئ النفطية، التي ما زالت بأيدي قوات الجنرال المتقاعد خليفة حفتر. وحسب مصادر ليبية متطابقة، طلب السفير الأمريكي لدى ليبيا ريتشارد نورلاند، أثناء لقائه الاثنين الماضي مع رئيس حكومة «الوفاق» فائز السراج في مدينة زوارة الليبية، الاحجام عن مهاجمة مدينة سرت وقاعدة الجفرة.

وكان السفير الأمريكي مرفوقا بقائد القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا (أفريكوم) الجنرال ستيفين تاونسند، الذي اجتمع أيضا في تونس مع وزير الدفاع التونسي، وكان المحور الرئيس في الاجتماع مُركزا على الوضع في ليبيا وانعكاساته الإقليمية. ويمكن القول إن القاسم المشترك بين الموقفين الأوروبي والأمريكي هو العمل على تطبيق شامل لوقف إطلاق النار، من أجل إفساح المجال للتقدم على مسارات برلين الثلاثة، ما يؤدي عمليا إلى حرمان حكومة «الوفاق» وداعميها الأتراك من استكمال انتصارهم العسكري على قوات حفتر. وعندما تؤكد العواصم الغربية، وخاصة أمريكا، على الحاجة الملحة إلى «وقف استراتيجي للعمليات العسكرية من قبل جميع أطراف النزاع» فالواضح أن المستهدف هو تركيا. وفيما ساند الأمريكيون في البدء، الدور التركي، انطلاقا من انزعاجهم الشديد من نشر قوات شركة «فاغنر» الأمنية الروسية الخاصة في ليبيا، فإنهم يضعون حاليا خطوطا أمام هذا الدور، كي لا يستحوذ الأتراك على القسم الأكبر من أوراق اللعبة.

معسكر الخاسرين

أما فرنسا فباتت الفرص المتاحة لها للعب دور أساسي في ليبيا ما بعد الحرب، ضئيلة، لكونها راهنت على حصان حفتر الخاسر. وأظهرت معارك طرابلس وقبلها غريان، أن الفرنسيين لا يملكون التقنيات اللازمة لإنتاج طائرات مُسيرة متطورة، بينما باشرت تركيا العمل في هذا المجال منذ عشرين سنة، «مُعتبرة إياه قطاعا يحظى بالأولوية، وهي تحصد اليوم ثمار ما زرعت» حسب نائب رئيس معهد الأبحاث الدولية والاستراتيجية بباريس ديديي بيليون. ويعتبر بيليون المتخصص في الشؤون التركية، أن الدور التركي في شمال العراق وليبيا يشكلان ملفين منفصلين. لكنه يُقِرُّ في الوقت نفسه، بأن النجاحات التي حققتها تركيا في ليبيا أخيرا، زادت من تصميمها على قطف الثمار، واستطرادا شجعتها على التشدد في مواجهة الاتحاد الأوروبي، الذي انتقد بقوة دورها في ليبيا.

لكن إذا كان الحل غير ممكن من دون تركيا، سيكون للفرنسيين أيضا دورٌ في أي حل سياسي، لكنهم سيكونون في صف القوى الخاسرة. وربما سيزداد الموقف الفرنسي تعثرا وحرجا إذا ما وجه مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، أصابع الاتهام إلى قوات حفتر بارتكاب جرائم حرب. وقد اعتمد المجلس الاثنين الماضي قرارا بإرسال بعثة للتحقيق وتوثيق التجاوزات المرتكبة في ليبيا منذ العام 2016. ومن ضمن القضايا التي ستُحقق فيها البعثة المقابر الجماعية التي عُثر عليها في محيط مدينة ترهونة، حيث يُشتبه بأن قوات حفتر ارتكبت مجازر جماعية قبل انسحابها من المدينة.

وخلافا لفرنسا، يقترب موقف إيطاليا من الموقف التركي لكن في دعمه السياسي والدبلوماسي لحكومة الوفاق، وكذلك في حجم المصالح الاقتصادية في ليبيا. لذلك لم يكن مُستغربا أن لويجي دي مايو، وزير الخارجية الإيطالي، هو أول وزير خارجية أوروبي يزور ليبيا منذ حسم معركة طرابلس. وبالرغم من تذبذب مواقف الحكومات الإيطالية المتعاقبة، والتقارب الأخير مع حفتر، شكلت زيارة دي مايو لطرابلس علامة على عودة قوية للمنافسة بين الإيطاليين والفرنسيين على ليبيا. ولم ينس الليبيون الدعم الذي قدمته لهم إيطاليا أثناء عملية «البنيان المرصوص» لتحرير مدينة سرت من قبضة تنظيم «داعش» عام 2015 إلا أنهم انسحبوا من المشهد الليبي في السنتين الأخيرتين. واعتبر بعض المُحللين الإيطاليين أن روما هي أكبر الخاسرين من المنافسة الروسية التركية على النفوذ في ليبيا، مؤكدين أن الأدوات السياسية لم تعد تنفع أمام تطوُّر الحرب التكنولوجية. وأشار آخرون إلى أن إيطاليا، تماما مثل فرنسا، غير قادرتين على إنتاج طائرات مُسيرة أسوة بجيل «بيرقتار» و«أنكا» التركيين، اللذين حسما المعركة في أجواء طرابلس الجنوبية.

بوتين وماكرون

وفي محاولة لمنع الحبل من الإفلات من أيديهم، يعمل الفرنسيون على التنسيق مع موسكو، بعدما كانوا منزعجين من دور مرتزقة شركة «فاغنر» في ليبيا. ومن المؤكد أن الملف الليبي كان المحور الرئيس في اجتماع ماكرون مع نظيره الروسي بوتين، الجمعة عبر الدائرة المغلقة، لكن لم يُعرف محتوى التنسيق المستقبلي بينهما في هذا الملف، وإن كانت مواقفهما متطابقة من دعم حفتر سياسيا وعسكريا ودبلوماسيا.

وبدل الاحتجاجات الحانقة والهجمات الإعلامية الشديدة، التي شنها الرئيس الفرنسي ماكرون على تركيا، سلك الإيطاليون طريقا أخرى بتسخين علاقاتهم مع حكومة الوفاق. ولوحظ أن الوزير دي مايو أمسك عن السفر إلى بنغازي بعد نهاية زيارته طرابلس الأربعاء الماضي، على عكس السفير الأمريكي نورلاند وقائد قوات «أفريكوم» الجنرال تاونسند، اللذين انتقلا إلى بنغازي حيث اجتمعا مع الجنرال حفتر، بعد لقائهما السراج ووزيري الداخلية والخارجية باشاغا وسيالة.

والمؤكد أن إيطاليا استثمرت البرود الأخير في علاقاتها مع غريمتها فرنسا، وتوتر العلاقات الفرنسية الليبية، لتسبقها إلى طرابلس، بعدما دعمت حكومة «الوفاق» سياسيا ودبلوماسيا خلال حصار طرابلس. ووضع الإيطاليون على مائدة الحوار مع السراج خمسة ملفات كبرى، يتعلق الأول بوقف إطلاق النار وتسريع العملية السياسية، في إطار مسار برلين. والثاني بمعاودة تصدير النفط والغاز إلى إيطاليا بعد انقطاع طويل بسبب سيطرة قوات حفتر على الحقول والموانئ النفطية، الثالث بالاستفادة من الخبرة الايطالية في نزع الألغام، التي زرعها عناصر «فاغنر» الروس، في الأحياء الجنوبية لطرابلس. وسبق أن أثبت الإيطاليون مهارة في هذا المجال. والملف الرابع بتعميق الاحتواء المشترك لموجات الهجرة غير النظامية، بتعديل الاتفاقية التي توصلت لها الحكومتان الإيطالية والليبية عام 2017 في هذا الشأن. ويعتقد الإيطاليون أن سيطرة «الوفاق» على كامل الساحل الغربي لليبيا يُؤهلها لضبط حركة الهجرة غير النظامية. أما الملف الخامس فيخص عملية «إيريني» لمراقبة إرسال الأسلحة إلى ليبيا، وقد اشترطت حكومة «الوفاق» في هذا الصدد ألا تقتصر الرقابة على البحر، وإنما أن تشمل أيضا البر والجو، في إشارة إلى تدفق الأسلحة على قوات حفتر برا عبر مصر وجوا من الإمارات. وفي جميع هذه الملفات كان الوزير الإيطالي واضحا في تأكيده على أن بلده «يعتزم حماية مصالحه الجيواستراتيجية» وفقا لما قال.

على مائدة التفاوض

الأرجح، على الرغم من النجاحات التي حققتها قوات حكومة «الوفاق» أن الصراع لن يُحل عسكريا، لأن المعركة لن تُحسم بين الميغ» الروسية و«بيرقتار» التركية، ولن يجلس الروس والترك بمفردهم على مائدة التفاوض، بعد توقف العمليات الحربية، وإنما هناك أطراف أخرى مؤثرة، ليست أمريكا أقلها، ستكون على مائدة التسوية. وهي التي فرضت، على سبيل المثال، على قوات «الوفاق» البقاء على مبعدة من سرت والجفرة، وقد كانت على قاب قوسين من السيطرة عليهما. واستطرادا يميل الخبراء في شؤون ليبيا إلى استبعاد الحل العسكري، والتركيز على تحقيق الأهداف الجيوسياسية لهذا الطرف أو ذاك، من بين القوى التي لها قول في الملف، شريطة أن تكون تلك الأهداف مقبولة من جميع الأطراف المعنية. ومن هذه الزاوية يُفهم البيان الثلاثي لوزراء خارجية ألمانيا وفرنسا وإيطاليا الخميس، الذي حضوا فيه على «الوقف الفوري وغير المشروط للقتال، ووضع حد للحشد العسكري المستمر في جميع أنحاء البلد».

مع ذلك يتردد سؤال أساسي، على إثر تلويح الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بالتدخل في ليبيا، لدعم الجنرال حفتر، عن مدى جدية ذلك التهديد. والواضح أن العواصم الأساسية المعنية بالملف الليبي أكدت رفضها لهذه الفرضية، وإصرارها على استدامة الهدنة غير الرسمية الحالية، فوزير الخارجية الأمريكي بومبيو عبر الأربعاء عن أمل واشنطن جمع كل الذين لديهم مصلحة في ليبيا، على المائدة «لإجراء المناقشات والتوصل إلى حل سياسي». ويتطابق هذا الموقف مع تعبير مجلس الأمن القومي، التابع للرئاسة الأمريكية، الاثنين الماضي عن معارضة واشنطن التصعيد العسكري في ليبيا من جميع الجهات، أي من مصر وغيرها.

مصر والجزائر

بالمقابل جدد الأتراك التزامهم بالوقوف إلى جانب حكومة الوفاق، وأكدوا على لسان وزير الدفاع، خلوصي أكار، استمرار أنقرة في «تقديم كل ما لديها لتثبيت الاستقرار في ليبيا عبر تقديم الدعم للحكومة الشرعية». وبتعبير آخر إذا استنجدت الحكومة الليبية المعترف بها دوليا بتركيا لمجابهة الغزو المصري المحتمل، فإنها ستُنجدها بلا تردد. ويُتوقع أن تهبّ الجزائر أيضا لنجدة الليبيين إذا ما استجاروا بها، لأن الجزائريين لن يقبلوا بتغيير التوازنات في شمال أفريقيا، خاصة أن لديهم حدودا طويلة مع ليبيا. وسبق للرئيس عبد المجيد تبون أن استخدم مصطلح الخطوط الحمر، ليُحذر قوات حفتر من الدخول إلى طرابلس. وعلى إثر إعلان المبادرة المصرية الأخيرة أتى موقف الخارجية الجزائرية أقرب إلى التحفظ إذ اكتفى بالقول إن الجزائر «أخذت علما بالمبادرة السياسية الأخيرة من أجل الوقف الفوري لإطلاق النار والعمل على إيجاد حل سياسي للأزمة الليبية» لكن من دون إيضاح كيف وأين ومتى؟

التزامات أطلسية

أكثر من ذلك، تقضي معاهدة حلف شمال الأطلسي في بندها الخامس بضرورة التضامن مع أي عضو في الحلف يتعرض للاعتداء، وبالتالي فإن سيناريو دخول قوات مصرية إلى ليبيا لملاحقة الأتراك، يُرتب على باقي الأعضاء في الحلف «وضع حد لأي اعتداء مسلح أو إجراء بُني عليه» مثلما نص على ذلك البند الخامس من المعاهدة. وفي جميع الحالات، يبقى التقسيم أخطر سيناريو يُهدد مستقبل ليبيا، وفي هذا الصدد تتساءل نائبة وزير الخارجية الإيطالي مارينا سيريني هل أن قدر ليبيا هو التقسيم إلى غرب عاصمتُهُ طرابلس وشرق عاصمته طبرق؟ الخطر ما زال قائما، وهو النتيجة الطبيعية للتجييش القائم حاليا، بتشجيع معنوي ودعم عسكري ومالي من بعض الدول الخليجية. لكن حسابات الحقل قد لا تُطابق حسابات البيدر، وقد لخص السراج هذا الوضع بقوله «نحن لم نكن المبادرين إلى إشعال هذه الحرب لكننا سنكون نحن من يُنهيها».

حدث الأسبوع

تونس: تجاذبات ومناكفات على صفيح اجتماعي ساخن

رشيد خشانة

ما زالت تجربة الانتقال الديمقراطي في تونس تجابه مطبات مختلفة، جراء توالي الأزمات، وسط شح الامكانات المالية وارتفاع المديونية، ما أدى إلى اندلاع اضطرابات عنيفة في الجنوب، طيلة الأيام الأخيرة. ويجوز القول إن تداخل الأزمات، معطوفا على تراجع الثقة في الأحزاب، قلل من وهج النجاح المؤكد في الحرب على جائحة «كوفيد–19» التي نجح التونسيون في السيطرة عليها، بالرغم من اهتراء البنية التحتية الصحية، وضآلة الامكانات. لكن ما أن بدأ نسق الحياة يعود إلى وضعه الطبيعي حتى اندلعت أزمة سياسية حادة زعزعت الحكومة ووهبت المعارضة منصة مريحة لمهاجمتها، وصلت إلى حد التلويح بسحب الثقة منها وإسقاطها برلمانيا. ووجد المتربصون برئيس الحكومة الياس الفخفاخ فرصة للتشكيك في نظافة يديه، عندما اعترف في مقابلة تليفزيونية بأنه يمتلك 20 في المئة من أسهم شركة خاصة تعمل في مجال البيئة. وفتش الخصوم عن الشركة ليكتشفوا أنها فازت بصفقة مع الدولة، بعد تسمية الفخفاخ في منصبه، في إطار مُجمع شركات تعمل في المجال البيئي.

من احتجاجات تطاوين

مناكفات فجرية

وفيما كان رئيس الحكومة يستعد لعرض حصاد الأيام المئة الأولى من عمل حكومته على أعضاء البرلمان الخميس، تحولت الجلسة إلى ما يُشبه المحاكمة، واستمرت إلى الرابعة فجرا. وأكدت كتلتا حزب «قلب تونس» (يمين) و«ائتلاف الكرامة» (سلفي) المعارضتان، عزمهما على تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في «تضارب المصالح بين تولي رئاسة الحكومة وامتلاك أسهم في شركة تعقد صفقات مع الدولة».

غير أن المعارضين ليسوا أكثر نظافة، فرئيس حزب «قلب تونس» نبيل القروي سبق أن سُجن في قضايا فساد وتهرب ضريبي، كما أن وزراء في الحكومة السابقة برئاسة يوسف الشاهد كانوا يجرون خلفهم ملفات عدة تتعلق بشبهات فساد. من هنا كانت الحملة على الحكومة تستهدف تصفية حساب مع الفخفاخ، الذي اعترض على ضم أعضاء من «قلب تونس» إلى حكومته. وبذلك شكلت الجلسة البرلمانية السخنة فرصة لحزب «النهضة»، الذي يسيطر على أكبر عدد من المقاعد في البرلمان، وأكبر عدد من الوزارات، لـ«تأديب» رئيس الحكومة، بحسب تعبير عضو في الحزب، لإصراره على رفض إدماج «قلب تونس» في حكومته.

والأكيد أن الفخفاخ لم يرد الانصياع لطلب «النهضة» كي لا يصبح رهينة لديها مثلما كان سلفُهُ يوسف الشاهد. بهذا المعنى دلت المداخلات النارية الموجهة للحكومة، في جلسة البرلمان الخميس، على أن قضية امتلاك أسهم في شركة متعاقدة مع الدولة، لم تكن سوى مطية للإطاحة بالحكومة، بعدما تعذر ذلك في جلسة سابقة، إذ شغع للفريق الحاكم نجاحه في السيطرة على جائحة «كوفيد–19». ومن المساهمين البارزين في ذلك النجاح وزير الصحة النهضوي عبد اللطيف المكي، الذي أكد مرارا تمسُّكه بالتضامن بين أعضاء الحكومة.

سحب الثقة وارد

وأقرّ النائب النهضوي سمير ديلو بأن خطوة سحب الثقة من رئيس الحكومة واردة «إذا ما ثبت أنه مورط في ملف تضارب المصالح» فيما أعلن النائب المثير للجدل ياسين عياري أنه تقدم بشكاوى إلى القضاء ضد الفخفاخ، بشبهة «تضارب مصالح» أيضا. أما رئيس الحكومة الذي استغرق خطابه في البرلمان تسعين دقيقة، فركز في جلسة الحوار مع أعضاء البرلمان، على نفي الاتهامات الموجهة إليه، مؤكدا أنه قدم لـ«الهيأة الوطنية لمكافحة الفساد» جردا بممتلكاته إثر منحه ثقة غالبية النواب يوم 27 شباط/فبراير الماضي. وأوضح أنه استقال أيضا من مجلس إدارة الشركة التي كان يمتلك أسهما فيها.

والأرجح أن العلاقة المتوترة بين رئيس الحكومة وحزب «النهضة» وبين الأخير وحزبين آخرين في الائتلاف الحكومي، قد تؤدي إلى إنهاء الشراكة أصلا، لاسيما بعد تفاقم الخلاف على مضمون «وثيقة الاستقرار والتضامن الحكومي» لكن من دون سقوط الحكومة بالضرورة. وكان يُؤمل أن تكون الوثيقة مرجعية لتحقيق التآزر بين أعضاء الحكومة وإخضاعهم لواجب الانضباط. إلا أن الجدل حول الوثيقة أفضى إلى انكسار الجرة بين «النهضة» وحزب «حركة الشعب» (قومي) المشارك في الحكومة، وامتناع «النهضة» عن التوقيع على الوثيقة. وفسر رئيس الحزب راشد الغنوشي رفض التوقيع بقوله «لأننا لسنا متضامنين، في انتظار الوصول إلى تضامن حقيقي قائم على أرضية مشتركة».

والأقرب إلى الظن، وسط توتر العلاقات بين مكونات الحكومة، أن تُحفظ الوثيقة في الأدراج، خصوصا أن رئيس الجمهورية قيس سعيد متفقٌ مع رئيس الحكومة على رفض تغيير مكونات الائتلاف. وفي حال سقوط الحكومة الحالية ستُعاد العهدة، حسب الدستور، إلى رئيس الجمهورية ليكلف شخصية أخرى بتشكيل الحكومة.

صفيح اجتماعي سخن

تجري هذه التجاذبات والمناكفات على صفيح اجتماعي سخن، جراء تفاقم الأوضاع المعيشية، بعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر على تفشي جائحة «كوفيد–19» التي احتاج التصدي لها إمكانات ليست دائما مُتاحة في بلد قليل الثروات الطبيعية. وفي هذا السياق توقع الفخفاخ في خطابه الخميس، أن يزيد عدد العاطلين عن العمل 130 ألفا في الفترة المقبلة، مع تراجع النمو الاقتصادي إلى أكثر من 6 درجات سلبية. وفيما استطاعت الحكومة في الأشهر الأخيرة توزيع بعض المساعدات النقدية والعينية على الأسر المعوزة، فإنها لن تكون قادرة على ذلك مستقبلا، لأنها استخدمت تقريبا جميع مصادر التمويل الذاتي الممكنة.

وفي ظل انحسار الاستثمارات الخارجية وإلغاء الموسم السياحي وصعوبة الحصول على قروض خارجية، لن تتمكن الحكومة من المحافظة على فرص العمل في الشركات الكبرى، أسوة بالناقلة الجوية «الخطوط التونسية» وشركات الفوسفات والأسمدة الكيميائية. ويتوقع خبراء اقتصاديون تكاثر الحركات الاحتجاجية في الفترة المقبلة نتيجة لإجراءات الضغط المختلفة على النفقات الاجتماعية، وصعوبة تأمين رواتب الموظفين والعمال، ومعاشات المتقاعدين.

رفض التداين؟

وكان الفخفاخ تعهد بإنهاء التوجُّه إلى الصناديق الدولية للاقتراض منها، مؤكدا أن الدولة ستعتمد على الموارد الداخلية. غير أن خبراء شككوا في جدوى هذا الخيار، لأن المصارف المحلية محدودة الأرصدة، فيما تلجأ المصارف العمومية إلى الدولة لمعاودة رسملتها عندما تمرُّ بصعوبات وتشح السيولة. ومن أسباب نزف المالية العمومية وجود أكثر من مئة منشأة عمومية مفلسة، تتولى الدولة حاليا دفع الرواتب لعمالها، لكنها لا تستطيع خوصصتها أو إصلاحها، لأن النقابات تعارض تلك الخطوة بشدة. وأبصر البلد في الأيام الأخيرة موجة جديدة من الاضطرابات والمواجهات العنيفة بين الشباب العاطل عن العمل وقوات الأمن في مدينة تطاوين ومدن جنوبية أخرى، ما يدل على توتر الوضع الاجتماعي. ومن غير المستبعد أن تندلع حركات احتجاجية هنا وهناك مع تزايد نسب الفقر وتجميد الانتداب في القطاع العام. وتعهد رئيس الحكومة، على إثر الانتقادات الموجهة للسلطات على التعاطي الأمني مع احتجاجات منطقة الكامور، بأن قوات الامن لن تتدخل لقمع الاحتجاجات، وإنما سيقتصر التدخل على «حماية المؤسسات العمومية وممتلكاتها لتفادي حدوث الفوضى» على ما قال.

التجارة الموازية مع ليبيا

لا يمكن فصل الأوضاع الاجتماعية الملتهبة في صيف الجنوب القائظ عن أوضاع الحرب في ليبيا، وغلق الحدود المشتركة منذ اندلاع أزمة «كوفيد–19». وكانت المناطق الحدودية مصدر عيش لحوالي 1 مليون تونسي، بشكل مباشر أو غير مباشر، قبل إقفال أبواب الرزق في وجوههم، مع أنه ليس لتلك الأسر من بديل سوى التجارة الموازية. وتُقدر نسبة المتعاملين في الأسواق الموازية، التي أطلق عليها التونسيون تسمية «أسواق ليبيا»، بـ50 في المئة من إجمالي المنتوجات المُروجة في السوق. غير أن رجال الأعمال، الذين باتوا أكبر الخاسرين من هذا الوضع، يؤكدون أن حصة السوق الموازية من اقتصاد البلد أكبر من ذلك بكثير. وفي محافظتي تطاوين ومدنين الجنوبيتين تشكل السلع المهربة قطب الرحى في الاقتصاد المحلي، إلى جانب الانتاج النفطي الضئيل. وكثيرا ما أبصرت حقول النفط، وخاصة حقل الكامور حركات اجتماعية لمطالبة الشركات بتوظيف المزيد من أبناء المنطقة، ما جعل بعض تلك الشركات يُفكر في مغادرة البلد.

وتُعتبر السياحة رئة تنفس أخرى للاقتصاد التونسي، ويُؤمل أن تساعد إعادة فتح الحدود البرية والبحرية والجوية أمس السبت، في إنعاش الدورة الاقتصادية وزيادة الاحتياطي من العملة الصعبة. غير أن اشتراط خضوع الوافدين للحجر الصحي قد يُقلل من عدد السياح، وخاصة الجزائريين الذين كانوا يُمضون إجازاتهم السنوية في تونس، ووصل عددهم إلى ا مليون سائح. كما كان يفد عليها أيضا مليون سائح ليبي سنويا. والأرجح أن قسما منهم في الأقل سيعود بالرغم من مُنغصات الخضوع لبروتوكول التوقي من الجائحة. وتعززت الآمال باستئناف تدفق السياح، بناء على شهادة المجلس العالمي للسفر والسياحة الجمعة، التي صنفت تونس «بلدا آمنا وجاهزا على الصعيد الصحي لاستقبال الوافدين والسياح بكل أمان».

موسم هجرة الأطباء

وعلى الرغم من أهمية هذه الشهادة تظل نقطة الضعف في المعركة مع الجائحة متمثلة في تدهور البنية التحتية للمستشفيات، ونقص الدواء، بالنظر لأسعاره الباهظة، وقلة المعدات الثقيلة، ومن بينها أجهزة التصوير المغناطيسي، بالإضافة لتجميد التوظيف في القطاع العام. وحملت هذه الظروف القاسية ما يزيد عن 900 طبيب شاب على الهجرة إلى أوروبا أو الخليج سنتي 2018 و2019 بحثا عن مناخ عمل أفضل. ويتوقع خبراء أن يرتفع عدد الأطباء المهاجرين إلى 1700 طبيب، فضلا عن أساتذة الجامعات والمهندسين وقواد الطائرات. ويعسُرُ احتواء هذه الموجات من المهاجرين، مع تضاعف نسبة التداين الخارجي، التي زادت من 30 في المئة من الناتج المحلي عند اندلاع «ثورة الكرامة» في 2011 إلى قرابة 72 في المئة حاليا، وهي نسبة مرشحة لمزيد من الارتفاع.

ولئن تعهد رئيس الحكومة أمام أعضاء البرلمان الخميس، بأن نسبة التداين الخارجي لن ترتفع في الفترة المقبلة «لأن الحكومة ستعوّل على تعبئة الموارد الذاتية للدولة والتوجه أكثر نحو التداين الداخلي وترشيد النفقات» فإن تلك العبارات أقرب إلى الأماني منها إلى الخيارات العملية، بالنظر لنضوب الموارد الداخلية، خصوصا بعد ثلاثة أشهر من الحرب الشاملة على الجائحة.

انتظار واستعلاء

عبارة قصيرة، أطلقها رئيس الحكومة باللسان المحلي، أثناء إلقاء خطابه أمام البرلمان، سرعان ما وجهت الأعناق بعيدا عن قراءة التحديات الاقتصادية والصحية، لتغرق في تحليل دلالات تلك العبارة. قال الفخفاخ ما معناه إن من يأمل بتشويه سمعته والنيل من نزاهته بحشره في قضايا فساد «يبطي شوية» (أي عليه الانتظار) وهي عبارة لا تُقال في خطاب رسمي. ورأى خصومه في استخدام تلك العبارة استعلاء واعتدادا بالنفس انتقدوه عليهما بكلام لاذع. يبقى أن هذا حديثُ مجالس النخبة ووسائل الإعلام الراكضة خلف القطارات التي لا تصل في التوقيت المحدد لها. أما ما لا يحتمل الانتظار، فهو نقص الغذاء والدواء لدى شرائح اجتماعية واسعة لا تقلّ نسبتها عن 20 في المئة من السكان، وهي مرشحة للزيادة إذا لم يتم إنقاذ القطاعين التجاري والسياحي في «معمعان صيف أضحى يتقد» على ما قال يوما الشاعر عمر بن أبي ربيعة في قصيدة مشهورة.

تونس: هل تتكامل استقالة اليسار مع تنمّر اليمين؟

صبحي حديدي

كأنّ تجربة الانتقال الديمقراطي الوليدة في تونس هي اليوم قليلة الأزمات أو محدودة المآزق، حتى يضيف إليها الرئيس التونسي قيس سعيّد جرعة إضافية من التجاذب، الشعبي والشعبوي في آن معاً؛ على خلفية تصريحاته الإشكالية خلال زيارته إلى العاصمة الفرنسية باريس مؤخراً. كان البرلمان يصطخب بصراعات مألوفة وأخرى طارئة، بين الأحزاب وأجنداتها والأفراد ومصالحهم؛ وكانت تطاوين تحتضن احتجاجات شعبية عارمة، سارعت حكومة إلياس الفخفاخ إلى مجابهة مطالبها عبر الحلول الأمنية؛ فاستكمل سعيّد مشهد الغليان بعجائب الأقوال، حول تنزيه فرنسا عن احتلال تونس (فالاستعمار ذاك، رغم جرائمه التي أقرّ بها سعيّد، كان «حماية» فقط!)؛ ونُصّح الليبيين باعتماد مخرج الـ«ليا جرجا» الأفغاني!

وبمعزل عن أداء سعيّد المثير للجدل، بدا جلياً أنّ المكوّنات الحزبية الكبرى داخل مجلس الشعب التونسي لا تحتاج إلى ذريعة من أيّ نوع كي تنخرط في معارك تصفيات الحساب؛ المقبل منها الذي يخصّ مستقبل حكومة الفخفاخ وآفاق أي استحقاقات دستورية أخرى، أو المتأخر الذي يستعيد نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية وحصيلة ما يُسمّى «توسيع الحزام الحاكم» واستبعاد أو ضمّ هذا الحزب أو ذاك.

وكما بات مألوفاً في العقود الأخيرة، لا يستفيد فريق من حال التأزّم هذه أكثر من استفادة مجموعات اليمين المتطرف، متمثلة اليوم بصفة أساسية في «الحزب الدستوري الحرّ» الذي يحنّ إلى نظام بن علي، تحت قناع كاذب من إحياء البورقيبية؛ و«ائتلاف الكرامة» السلفي، الذي يناهض معظم الحقوق المدنية وكلّ ما هو تقدمي وعصري تقريبا. في المقابل، يتأكد يوماً بعد آخر أنّ استقالة اليسار التونسي العملية، إثر هزيمته النكراء في الانتخابات التشريعية الأخيرة؛ إنما تتكامل، رغم المفارقة المأساوية، مع صعود اليمين المتطرف، وتنمُّر برامجه وخطاباته إلى درجة إطلاق صفة «ربيع الخراب» على انتفاضة الشعب التونسي سنة 2011.

وهذا برلمان يغرق في استقطابات طاحنة لا يفلح طنينها الصاخب في إخفاء خوائها التامّ من أيّ بند يخدم مشكلات الشعب المعيشية، ونقص الأغذية، ومديونية الدولة، واقتصاد البلد شبه القعيد، والبطالة، وتعثر التنمية، وانحطاط البنى التحتية، وتدهور قطاعات الصحة والتعليم والسياحة... وحتى حين تجنح بعض كتل المجلس إلى مساءلة رئيس الحكومة حول احتمالات الفساد الشخصي وتضارب المصالح، فإنّ المحتوى الحقيقي لتلك المحاولات إنما ينهض على تصفيات الحساب تارة، أو الشماتة بالخصم السياسي تارة أخرى؛ هذا بمعزل عن حقيقة أنّ مسائلي الفخفاخ يمكن ألا يقلّوا عنه في احتمالات الفساد، بل إنّ بعضهم على شاكلة نبيل القروي زعيم «قلب تونس» سبق أن سُجن على ذمّة ملفات فساد.

كذلك، وكما بات مألوفاً هنا أيضاً، ينخرط اليمين المتطرف في طراز من المعارك الشعبوية التي تتوسل تهييج الشارع حول مناوشات ثانوية (مثل قيام بعض النهضويين من أعضاء البرلمان بإحياء ذكرى الرئيس المصري الراحل محمد مرسي تحت قبة البرلمان)؛ والامتناع، في المقابل، عن الانخراط في حملة مساءلة رئيس الحكومة بصدد أسهمه في شركة بيئة متعاقدة مع الدولة، بداعي عدم السير في ركاب «التكفيريين». اليسار من جانبه، ممثلاً في شخصيته التاريخية الأبرز حمّة الهمامي الأمين العام لحزب العمال، يمكن أن يدخل في معركة تضامن مع فتاة قلّدت القرآن في نصّ ساخر أسمته «سورة كوفيد» (اختتمتها بعبارة «صدق جيلو العظيم»)؛ فيتلقى الهمامي «الامتعاض» و«الاستنكار» حتى من أشخاص «يعلنون انتماءهم إلى الفضاء اليساري والتقدّمي»، كما أشار بنفسه.

ولعلّ البعض من مراقبي هذه الحال التونسية يفضّل استعادة المفارقة الصارخة بين اتهام الرئيس التونسي بأنه أقرب إلى «حركة النهضة»، التي ساندته خلال الانتخابات الرئاسية؛ وبين المساجلات اللفظية الراهنة التي تضع سعيّد على طرف مواز، إنْ لم يكن النقيض، لمواقف الحركة الراهنة إزاء قضايا محلية وإقليمية.

وفي الغضون، يواصل اليسار استقالته الفعلية، ويمعن اليمين المتطرف في التنمّر أكثر.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ

خلافات عميقة وجوهرية بين مكونات الائتلاف الحاكم في تونس

البرلمان التونسي

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

يبدو أن قدر تونس هو أن تعيش الأزمة السياسية تلو الأزمة وذلك بسبب نظام سياسي وآخر انتخابي خلف الفوضى في ربوع البلد وعدم استقرار الحكومات وسرعة انفراط الائتلافات الحاكمة. ولا يبدو أن لأحد القدرة على تغيير هذا النظام في الوقت الراهن، رغم تسببه في كوارث بالجملة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي وذلك باتفاق جلّ الطيف السياسي في البلاد. وهذا ما يؤدي إلى اشتعال بركان الغضب الشعبي في أي لحظة وفي أول أزمة تعترض البلاد التي – وأن نجحت في انتقالها الديمقراطي – فإن انتقالها الاقتصادي يمر ببطء شديد وهو ما يزيد تأزيم الوضع القائم.

فالنصاب القانوني الذي يفرضه الدستور لتزكية الحكومات وللتصويت على المحكمة الدستورية العليا ولتمرير مشاريع القوانين مرتفع، وهو ما يجعل المكلف تشكيل الحكومة في عملية بحث في كل مرة على أكبر قدر ممكن من الأحزاب لتشكيل ائتلاف حكومي قوي. فيضطر هذا المكلف إلى ترضية هذا الطرف الحزبي وذاك بتعيينات قائمة على الولاء على حساب الكفاءة، كما يضطر أيضا إلى القبول ببرامج وشروط أحزاب الائتلاف حتى تزكيه في البرلمان ويعجز عن تنفيذ برنامجه الذي تم تكليفه من أجله.

خلافات متجددة

وتنهار الحكومات في تونس بمجرد انسحاب أحد الأحزاب من الائتلاف الحاكم، فلا تعمر طويلا ولا تحقق برامجها في مختلف الوزارات، وتتعطل عجلة التنمية في غياب التخطيط والبرمجة والسهر على تنفيذ هذه البرامج. وزادت الخلافات بين مختلف التيارات السياسية والفكرية الطين بلة وذلك في غياب المصالحة الشاملة وفشل منظومة العدالة الانتقالية في تحقيق مبتغاها. ومن مظاهر هذه الخلافات الإيديولوجية والسياسية القديمة سعي المعارضة أي كان لونها، وباستمرار في السنوات الأخيرة، إلى إفشال جهود الفريق الحاكم وتسجيل النقاط عليه غير عابئة بالمصلحة الوطنية العليا.

وتزيد التهم المتبادلة بين مختلف الأحزاب والكتل البرلمانية والسباب المستمر فيما بينها سواء تحت قبة البرلمان أو في المنابر الإعلامية في تأجيج الشارع وتغذي الخلافات بين أفراد الشعب الواحد. فيساهم هذا الجو المتوتر بين السياسيين في توتير الشارع وخلق العداوات بين أنصار الأحزاب الذين ينخرطون في لعبة عرقلة الطرف الآخر وتشويهه وقذفه سواء بعلم أو بدونه، والمتضرر الأكبر من كل هذه «الفوضى الخلاقة» هو الوطن المكلوم الذي يتقاذفه الجميع في صراع عنيف لا يبقي ولا يذر.

وتزيد أيضا شبهات الفساد التي تطال السياسيين الذين هم في الحكم أو في المعارضة من نقمة الشارع على طبقته السياسية وعدم رضوخه للأمر الواقع أي الصبر على الفقر والبطالة والتهميش وغياب التنمية خصوصا في الجهات الداخلية المحرومة منذ عقود. كما لا يجد هذا الشارع نفسه معنيا بالإجراءات الأخيرة للحكومة التي تدخل في باب التقشف، ومنها عدم الانتداب في الوظيفة العمومية وإمكانية التخفيض في الأجور في وقت تنتفخ فيه أرصدة وبطون من هم في السلطة أسوة بسابقيهم ولا أحد يحاسبهم ويقول لهم من أين لكم كل هذا؟

وبالتالي فإن تأثير الأزمة السياسية على الاقتصاد وعلى الاضطرابات الاجتماعية واضح وجلي في تونس سواء من خلال تسبب النظام السياسي الذي أقره دستور سنة 2014 في عرقلة عجلة التنمية الاقتصادية أو من خلال تأثير الخلافات بين السياسيين على المناخ العام في البلد ومساهمته في رفع منسوب العنف بين أفراد الشعب الواحد أو من خلال الغضب من شبهات الفساد التي تطال السياسيين. كما أن انصراف الطبقة السياسية إلى مسائل جانبية وإهمالها لمشاكل المواطن الحقيقية زاد من تأزم الوضع الاجتماعي في البلد في غياب التنمية والحلول طيلة السنوات الماضية.

ولعل في اتهام قياديين من حزب في الائتلاف الحاكم لحزب حليف لهم من هذا الائتلاف بالوقوف وراء اعتصام الكامور وتأجيج الاحتقان في ولاية تطاوين، مقابل انتقاد منتمين إلى حزب حاكم آخر لقمع الحكومة للاعتصامات يجعل الحليم حيرانا من هذا المشهد السياسي الغريب. فما يحصل في تونس يصعب تكراره في بلد آخر بعد أن اختلط الحابل بالنابل وأصبح من الصعب تمييز المعارض من من هو في الحكم، خاصة وأن هناك من مكونات الائتلاف الحكومي من يعيق عمل حكومته ويعارضها، وهناك معارضون في البرلمان دعموا في أحيان كثيرة الحزب الأول المسيطر على دواليب الدولة.

المأزق الحالي

ويتوقع جل الخبراء أن تستمر الأزمة السياسية في تونس ما لم يتم تعديل الدستور لتغيير شكل النظام السياسي ولن تغير الحكومات المتداولة على البلد من الواقع شيئا، وسيواصل هذا الواقع السياسي المرير انعكاسه السلبي على الواقع الاقتصادي والاجتماعي. فمشاريع القوانين واللوائح لا يقع تمريرها في البرلمان نتيجة عدم قدرة أصحاب المبادرات على تأمين ذلك في ظل النصاب المرتفع الذي يجب توفره من جهة، والعراقيل التي تضعها الكتل النيابية لبعضها البعض كلما تقدم أحدها بمبادرة.

وتشترك الحكومات التي تعاقبت على إدارة البلد في السنوات الأخيرة في سوء التعاطي مع الملفات الاجتماعية العالقة وسوء إدارة الأزمات وهو ما جعل البلد في حالة احتقان رغم النجاح في تكريس نظام ديمقراطي حقيقي. فأزمة الكامور التي يسلط عليها المجهر هذه الأيام هي قديمة تفاوضت بشأنها حكومة الشاهد سنة 2017 وتوصلت فيها إلى اتفاق مع المعتصمين برعاية الاتحاد العام التونسي للشغل لكنها لم تف بالتزاماتها بتشغيل أبناء ولاية تطاوين وتخصيص جانب من الثروة النفطية لتنمية الجهة ما فجر الأوضاع مجددا.

ولم تتمكن الحكومات المتعاقبة أيضا من إيجاد حل لمعضلة الحوض المنجمي أين تعطل إنتاج الفوسفات الذي كان يدر على البلد أرباحا هامة من العملة الصعبة باعتبار أن تونس كانت قبل الثورة ثاني أهم منتج في العالم لهذه المادة. وبقيت أيضا أزمة الأساتذة النواب لم تحل وأزمة أعوان الصحة وغيرها وذلك بسبب قلة الخبرة لدى الحكومات وغياب الطرف القادر على الاقناع مع مختلف النقابات المهنية المنضوية تحت راية الاتحاد العام التونسي للشغل.

وتبقى أهم المعضلات التي تهدد بانفراط عقد التحالف الحكومي في كل حين هي مسألة المواقف من القضايا الخارجية وخصوصا الملف الليبي الذي أصبح مادة للتجاذبات السياسية بامتياز. فالبون شاسع في الرؤى في هذا الملف بين حركة النهضة وحركة الشعبة أي الإسلاميين والقوميين العروبيين وينسحب الأمر على الملف السوري الذي من المرجح أن الخلاف بشأنه يفوق بكثير ما هو حاصل حول الملف الليبي.

Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

تونس بين الاحتقان الاجتماعي وانصراف الطبقة السياسية

ماجد البرهومي

توقع جل الخبراء والمحللين أن تندلع الاضطرابات الاجتماعية في تونس بمجرد عودة الحياة إلى سيرتها الأولى بعد رفع الحجر الصحي وحظر التجوال وتجاوز أزمة فيروس كورونا، وهو ما حصل بالفعل. فالحالة الاقتصادية مزرية في موطن ابن خلدون منذ ما قبل ظهور فيروس كوفيد–19 وزاد الأمر سوءا مع انتشار هذا الفيروس الذي اضطر تونس كما أغلب دول العالم إلى شل الحركة الاقتصادية والتوقف تماما عن النشاط.

وانعكس ذلك على الأوضاع الاجتماعية لعموم التونسيين فازدادت نسب الفقر والبطالة وازدادت القدرة الشرائية للمواطن تدهورا وهي المتدهورة أصلا قبل كورونا، وعجزت الدولة التونسية أكثر فأكثر عن الإيفاء بالتزاماتها مع عديد الشرائح والقطاعات. ومما لا شك فيه أن عديد المؤسسات الصغرى والمتوسطة والتي تعتبر أحد أعمدة الاقتصاد التونسي ستضطر لإعلان إفلاسها أو لتسريح عمالها وموظفيها في قادم الأشهر وربما الأيام وهو ما سيخلف أعباء اجتماعية جديدة على كاهل الدولة.

وبالمقابل فإن الحكومة لا يبدو أنها تعير اهتماما لهذه المعاناة الاجتماعية وللشعب الذي يئن منذ فترة، فقد اتخذت جملة من القرارات الغريبة غلبت من خلالها مطالب صندوق النقد الدولي التي تضرب عرض الحائط بالجوانب الاجتماعية ولا تهتم لمعيشة التونسيين ومقدرتهم الشرائية. ومن ضمن القرارات التي تضمنها المشروع الحكومي، غلق باب الانتدابات في الوظيفة العمومية وتأجيل الترقيات، والنزول بالأجور إذا اقتضى الأمر ذلك، وهو ما سيزيد حتما من معاناة الطبقة الوسطى التي يتم تفقيرها منذ سنوات.

وحتى المبلغ المرصود للتنمية في ميزانية سنة 2020 جد زهيد ولا يسمح بإنجاز مشاريع تنموية من شأنها أن تقضي على الفقر والتهميش والبطالة خصوصا في الجهات الداخلية الأقل حظا والتي ينتفض بعضها اليوم محملا بمطالب عديدة بعضها قابل للتحقيق، فيما البعض الآخر لا يمكن للدولة أن تستجيب له. ويبدو أنه لا مفر من خلق موارد جديدة في الميزانية التكميلية للحد من الاحتقان الذي يسود الشارع ويهدد بخروج الأوضاع عن السيطرة خلال الفترة المقبلة خاصة في ظل وجود أزمة سياسية في بلد عجيب يتصارع فيه شركاء الائتلاف الحكومي فيما بينهم من دون الحديث عن المعارضة.

ولا يبدو أن التونسيين سيقبلون بأي إجراءات تقشفية لإنقاذ الاقتصاد أو سيصبرون على الوضع الاجتماعي المزري الذي استفحل بعد أزمة كورونا، أو على القرارات الحكومية المؤلمة، وذلك في ظل غياب الثقة بين الحاكم والمحكوم ووجود شبهات فساد تطال من هم في صدارة الحكم. فما تسمى مثلا بـ«أزمة تضارب المصالح» المتعلقة برئيس الحكومة إلياس الفخفاخ، في علاقة بأسهمه في إحدى الشركات والتي ملأت الدنيا وشغلت الناس، يشعر معها كثير من التونسيين بالإحباط، وتجعل هذه الأسهم شريحة من أبناء الخضراء يفقدون ما تبقى من رصيد الثقة في علاقة بالنخبة الحاكمة.

لذلك يصعب اليوم إقناع المنتفضين في الكامور أو في الكناسي أو في حاجب العيون أو في صفاقس أو النفيضة أو غيرها بالعودة إلى البيوت والحصول على هدنة اجتماعية مطولة من أجل الاقتصاد والاستقرار السياسي. وينطبق الأمر على أعوان الصحة العمومية الذين أبلوا البلاء الحسن خلال أزمة كورونا فتمت مكافأتهم بالاقتطاع من رواتبهم وعدم الاستجابة لمطالب قديمة تخصهم كانوا قد اتفقوا عليها سابقا مع الطرف الحكومي خلال فترة تربع يوسف الشاهد على عرش القصبة.

ويشعر المنتفضون في الكامور من أبناء ولاية تطاوين بالتهميش في ولاية تتوفر على قرابة الـ80 في المئة من الإنتاج النفطي التونسي شأنهم شأن أبناء الحوض المنجمي في ولاية قفصة الذين لا يعود ريع الفوسفات الوفير بالفائدة على مناطقهم. وأينما يولي المرء وجهه في ربوع الخضراء يجد ثروات هامة تستغل إنتاجا واستهلاكا أو تصديرا ولا أحد يدري إلى أين تذهب مداخيلها من العملة الصعبة في غياب انجازات جديدة تعود بالفائدة على البلد وفي ظل الانصراف التام عن صيانة ما تم انجازه سابقا.

وللإشارة فإن اتفاقا أبرم بشأن أزمة تعطيل مضخات النفط في الكامور في عهد حكومة الشاهد بين الحكومة والمعتصمين وبرعاية الاتحاد العام التونسي للشغل، لكن الحكومة السابقة لم تنفذ تعهداتها وعلى نهجها سارت الحكومة الحالية غير عابئة بمبدأ استمرارية المرفق العام. وبالتالي فإن هذه الأزمة مرشحة للاستمرار والتطور خاصة وقد تبين أن لا حلول في جراب رئيس الحكومة إلياس الفخفاخ سوى المعالجة الأمنية، في الوقت الحاضر على الأقل، وذلك بعد الذي حصل في المكناسي من ولاية سيدي بوزيد وفي الكامور من ولاية تطاوين.

ويرى البعض أن الصراع السياسي القائم بين المنتمين إلى الائتلاف الحاكم، وهي ظاهرة تكاد تتميز بها تونس عن باقي دول العالم، سيزيد من تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية خاصة وأن البعض التجأ في هذا الصراع إلى اللعب بالنار من خلال توظيف الاضطرابات الاجتماعية من جهة، والأمن والاستقرار من جهة أخرى. كما يستعمل البعض الآخر ملفات الفساد لهذا المسؤول السياسي أو ذاك ويلوح بتسليط يد القضاء لابتزاز خصمه بعد أن انعدمت جميع المعايير الأخلاقية في هذا الإطار وطغت الميكافيلية وثقافة الغاية تبرر الوسيلة.

وتؤكد الأرقام على أن 60 في المئة من التونسيين لم يتحصلوا على رواتبهم خلال فترة الحجر الصحي، وفي المقابل انهالت عليهم إدارة الضرائب مطالبة بالأداء ولم ترحمهم شركتا الماء والكهرباء فواتيرها المرتفعة المتعلقة باستهلاك الماء والكهرباء والغاز الطبيعي. كما تشير الأرقام إلى أن 80 في المئة من الأسر التونسية الأكثر فقرا لم تتحصل على مداخيل بالمرة طيلة الحجر الصحي وهو ما يفسر هذا الاحتقان الذي يعيشه البلد في وقت يبدو فيه الساسة بمعزل عما يدور في تونس الأخرى التي تئن بالتزامن مع صراعات السياسيين فيما بينهم.

وحتى المنح التي أعلنت الحكومة أنها صرفتها لمستحقيها من الفقراء خلال فترة الحجر الصحي، يؤكد عدد كبير من المعوزين وضعاف الحال أنها لم تصلهم وربما طالتها يد الفساد وذهبت إلى جيوب أخرى غير جيوب من رصدت لأجلهم. حتى أن البعض ومن باب التندر والسخرية يردد مقولة أن من يجد تونسيا نال منحة كورونا فليأت به إلي، وذلك أسوة بما قاله الراحل الباجي قايد السبسي يوما ما بأن من يجد قناصا فليأت به إلي، وذلك جوابا على سؤال في حوار صحافي عن مدى صحة وجود قناصة أجانب قتلوا المتظاهرين في تونس سنة 2011.

وبالتالي فإن تونس مقبلة لا محالة على تحولات كبرى خلال الفترة المقبلة وتغيرات هامة في المشهد السياسي باعتبار أن الاحتقان الاجتماعي قد بلغ مداه في غياب الحلول العاجلة وحتى الآجلة من قبل من يمسكون بالقرار. ويرى البعض الحل في التوافق وتوسعة الائتلاف الحاكم، فيما يراه البعض الآخر في تغيير شامل لشكل النظامين السياسي والانتخابي اللذين كانا من أسباب الانهيار الذي يعيشه البلد اقتصاديا واجتماعيا.

السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ

حركة النهضة: هل دقت ساعة الخيارات الصعبة؟

نزار بولحية

كثيرا ما يقول خصوم حركة النهضة عنها إنها كانت وما زالت تفضل الحكم من وراء الستار، وإن الوضع الذي تطمئن له أكثر من غيره وتجده لائقا بها هو أن تضع رجلا في السلطة وأخرى في المعارضة. وكثيرا ما يردد هؤلاء أيضا أن الحركة لم تعد تميل بعد أن أخذت الدرس واستخلصت العبرة من تجربة الترويكا في السنوات التي تلت هروب الرئيس الراحل المخلوع بن علي إلى المخاطرة بالبروز من جديد في الصورة والظهور بمظهر من يمسك بدفة القيادة أو حتى بالنزول بثقل وراء الحكومات التي تكون شريكة فيها، لعلمها بصعوبة وحساسية الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها تونس وخشيتها من أن تدفع وحدها بالنهاية ثمن أي هزات أو انتفاضات أو ردات فعل شعبية قد تحصل جراء قرارات وسياسات تلك الحكومات، ولرغبتها أيضا في أن تترك هامشا أو نافذة قد تتيح لها في وقت ما فرصة التخلي أو التنصل من الخيارات التي وضعتها أو ساهمت في وضعها.

لكن الحركة ظلت تنفي دائما وأبدا ما تعتبره محض مغالطات وافتراءات وتحامل عليها وتقول بالمقابل إنها وبقدر ما لا تفضل اللعب على حبلين فإنها تعتبر نفسها حزبا للحكم لا يتهرب أبدا من تحمل أعباء المسؤولية لكن على قدر ما يمنحه الناخبون له من أصوات. ولعل ذلك هو مربط الفرس والجزء الظاهر من مصدر اللبس في فهم دور الحركة وموقعها في الساحة السياسية المحلية. فالتشريع الانتخابي التونسي فصل بشكل لا يسمح لأي حزب بالحصول على الأغلبية المطلقة التي تخوله تشكيل الحكومة منفردا. وهذا ما يجعل الحاجة لعقد التحالفات والتوافقات أمرا ضروريا لا مهرب منه. ولأنها تصدرت نتائج تشريعيات العام الماضي، فقد كانت النهضة هي المطالبة قبل غيرها بالبحث عن شركاء. ولم يكن العثور على هؤلاء بالأمر الهين. ولحسابات أو لتقديرات أو حتى لتوجهات معينة، فقد سقطت أو أسقطت تلك الحكومة التي رشحتها الحركة وقبل وقتها إن الترتيب النهضوي لذلك لم يكن جادا أو قويا بما يكفي لتمريرها في جلسة منح الثقة البرلمانية، ووجدت بعض القيادات النهضوية أن رفع السقف عاليا سيكون مفيدا فأعلنت حينها أنها لا تمانع في الدعوة لإعادة الانتخابات إن لزم الأمر وأن يتم الاحتكام مجددا للصناديق إن وصل مسار تشكيل الحكومة لطريق مسدود. ثم لم يعرف بعد كيف وقع اختيار الرئيس قيس سعيد بحكم ما خوله الدستور له عند فشل المحاولة الأولى لعرض حكومة على البرلمان على إلياس الفخفاخ ليكون مرشحا جديدا لتشكيلها. ولكن ذلك ألقى بظلال كثيفة داخل الحركة نفسها. ولم يكن الاختيار وحده هو سبب قلقها وريبتها بل كان كل المسار الذي انتهجته طوال الانتخابات موضع تساؤل وربما حتى تشكيك في الجدوى منه أو محصلته النهائية.

لقد عاد البعض ليشير إلى التسرع وسوء التقدير الذي رافق عملية اختيار الشيخ مرور مرشحا للانتخابات الرئاسية وللجدل الصاخب الذي أثارته عملية اختيار القوائم التشريعية، ثم لحرص رئيس الحركة الشيخ الغنوشي على رئاسة البرلمان والمغزى من وراء ذلك. التي تخوله تشكيل الحكومة منفردا. أو تظهر فيه تشققات بارزة أو تغمره موجة استقالات كبرى. غير أن إعلان أسماء وازنة ومعروفة مثل القيادي المخضرم عبد الحميد الجلاصي وأمين عام الحركة الشاب زياد العذاري في أوقات مختلفة عن الانسحاب من موقعيهما كان مؤشرا قويا على أن هناك حالة من القلق لم يعد ممكنا تجاهلها وأن مياها كثيرة باتت تسري في البيت. ولكن هل كان بإمكان النهضويين أن يفعلوا شيئا آخر غير ما فعلوه منذ فوزهم بتشريعيات العام الماضي؟ وهل كان في مقدورهم أن ينتهجوا خيارات غير التي انتهجوها؟ وحده التاريخ قد يحسم في ذلك. لكن السؤال الآن هو كيف يلوح مستقبلهم؟

ليست التحديات التي تواجههم بالهينة أو بالبسيطة. وهي وعلى قدر تعقدها وتشعبها تبدو متعددة الأوجه والأبعاد. لكن هناك جملة من العوامل قد تتحكم وتحدد وإلى حد كبير قدرتهم على النجاح في كسبها أو قد تجعل حظوظهم في ذلك وعلى العكس ضعيفة ومحدودة. وقد تتلخص بالأساس في عاملين اثنين: أولهما هي حجم الضغوط الاقتصادية والاجتماعية الرهيبة التي سيواجهونها مثلما سيواجهها أي حزب قد يجد نفسه اليوم في موقع الحكم في تونس. فهل يمكن للتونسيين أن يصبروا على الحركة وأن يتفهموا الصعوبات الجمة التي يعانيها اقتصادهم خصوصا بعد أن جعلت تداعيات جائحة كورونا كثيرين يتوقعون أن ينزل معدل النمو هذا العام بست درجات تحت الصفر؟ وهل سيكونون مستعدين بالفعل لإعطائهم فرصة أخرى لإنجاح ما وصفها رئيس الحكومة خطة إنقاذ اقتصادية؟

أما العامل الثاني الذي قد يكون حاسما ومحددا أيضا فهو مدى تفهم القوى الإقليمية والدولية لدور النهضة وموقعها وقابلية تلك القوى واستعدادها للعمل معها. فهل أنها ستكون قادرة وهي التي تملك كثيرا من أدوات الضغط المالية والسياسية على أن تمنح التجربة التونسية فرص النجاح، وهل ستكون على استعداد أيضا لأن تسمح من وراء ذلك للإسلاميين بأن يقدموا نموذجا ناصعا ومشرفا في الحكم وإدارة الدولة قد يتردد صداه في المنطقة ويكون محل محاكاة وتقليد في دول عربية أخرى؟

أن التقاء جملة من الاكراهات والمؤثرات الداخلية والخارجية واضطراب المشهد السياسي المحلي وضبابية أفقه، مع كل ما يحصل الآن من تحضيرات وترتيبات داخل الحركة للمرحلة المقبلة، قد يعطي صورة عن مقدار الخيارات الصعبة وربما الأليمة التي قد يقدم عليها أكبر الأحزاب والكتل البرلمانية في تونس. فغيما لم يحدد بعد موعد للمؤتمر المقبل للحزب والذي من المفترض أن يتم في غضون العام الجاري ليس معروفا بعد ما إذا كان الشيخ راشد الغنوشي سيبقى مجددا على رأس النهضة أم أنه سيترك مكانه لشخصية أخرى التزاما بما ينص عليه قانونها الأساسي من استحالة ترؤس أي شخص لها لأكثر من دورتين انتخابيتين. وتكمن أهمية مثل ذلك القرار في انه سيكون معيارا لقياس درجة التغييرات المقبلة التي قد تطرأ لا فقط على ما يخص مسألة تجديد وتشييب القيادات بل أيضا على خط الحزب وتوجهاته في تكريس نفسه كحزب حاكم. ولعل مثل ذلك الوضع قد يؤثر في حال حسمت الأمور نحو تفرغ الشيخ الغنوشي لرئاسة البرلمان على موقع النهضة داخل المجلس النيابي بشكل يسحب من خصومها ورقة ضغط لطالما استخدموها كلما تعلق الأمر بازدواجية موقع الغنوشي كزعيم ورئيس للحركة ثم رئيس في الوقت نفسه لمجلس النواب، ويقدم النهضة كحركة تؤمن بفصل السلطات والأدوار والغنوشي كرجل دولة ديمقراطي يحترم قرارات ولوائح حزبه ويلتزم بها. والمؤكد أن أي قرار سيأخذه مجلس شورى الحركة في هذا الاتجاه أو ذاك سيكون مفصليا وستتكون له تداعيات وتبعات فورية لا على الداخل النهضوي فحسب بل حتى على المستوى السياسي المحلي في تونس.

لكن الوجه الآخر للصورة والمسألة العاجلة التي يتعين على النهضويين حسمها بسرعة وبوضوح هي تحديد علاقتهم بالرئيس سعيد وبحكومة الفخفاخ. فلم يعد خافيا على أحد أن هناك نوعا من البرود والجفاء حتى لا نقول القطيعة غير المعلنة بين الرئاسات الثلاث، وان التيار لا يمر بينهم بالقوة المطلوبة. وجوهر المشكل هو في مسألة تقاسم الأدوار بينهم وفي رغبة قيس سعيد تغيير النظام السياسي بشكل يعطيه صلاحيات أكبر ويجعل تونس بعيدة عن النظام شبه البرلماني الذي تفضله النهضة وفي حرص الأخيرة على أن لا يتقرر شيء من دونها وأن تكون شريكة فعلية في صنع القرارات والسياسات وفي خشيتها كذلك من أي عملية قد تهدف لاستبعادها بشكل ما من السلطة. ولعل العنوان الأبرز لكل ذلك هو فقدان الثقة التامة بين مكونات الائتلاف الحكومي وضعف أو حتى غياب شروط التضامن والتآزر بين أعضائه لدرجة عجزهم أكثر من مرة عن إمضاء وثيقة رمزية بهذا المعنى واختلافهم حول تفاصيلها وبنودها. ويتضح المظهر الأكبر للاختلاف في رغبة النهضة توسيع الحزام السياسي بتشريك حزب قلب تونس وأحزاب أخرى في الائتلاف الحكومي مقابل رفض أحزاب داخل الحكم كحركة الشعب وقيس سعيد، وهو من يصفه البعض بالرجل الخفي للحكومة لذلك بدعوى انه قد «يفكك الحكومة» الحالية مثلما جاء في حواره الأخير مع قناة التلفزيونية فرنسية. ولعل جلسة الخميس الماضي لمساءلة حكومة الفخفاخ تحت قبة البرلمان كانت جس نبض أولي وبروفة للتحركات والخطوات المقبلة التي ستقدم عليها حركة النهضة في علاقتها لا بالحكومة فحسب بل حتى بالرئيس سعيد نفسه. ولا شك أن الضغوط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي ستتعرض لها ستعجل باقتراب وقت الخيارات الصعبة بالنسبة لها وستجعلها على يقين تام من انه لم يعد هناك من مبرر لتأجيلها. أما كيف ستكون تلك الخيارات؟ فمن الواضح أنها وبغض النظر عن طبيعتها ستجعل كثيرا من خصومها يراجعون وفي كل الأحوال انطباعهم بانها لا تزال تفضل اللعب على حبلين، ووضع رجل في المعارضة ويعتبرونه لاغيا ومنتهيا.

Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

تونس بين صعوبات الدّاخل والتوتّر الإقليمي: الآمال والرهانات

لطفي العبيدي

النظام الذي وضعه أعضاء المجلس الوطني التأسيسي أرهق الدولة ومؤسّساتها، وعمّق ما يطرأ على المشهد السياسي من صعوبات، خاصّة مشكلة غياب التوازن بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية برأسيها. عربية تحتاج التغلّب على التاريخ السّلطوي الذي يبدو صعبا بسبب تجذّر المصالح وتفاعل العائلات السياسية والاقتصادية التي تجمعها رابطة منافع وثيقة تشكّل جوهر الدولة العميقة. ولا بأس أن يتعلّم شعبها في كلّ مرّة، فالمراحل الانتقالية يمكن أن تطول، والأهمّ تفادي الهزّات الكبرى وترسيخ الديمقراطية الحقيقية ووطنية الدستور داخل المؤسسات وفي أذهان الناس بدرجة أولى. ومثل معظم دول العالم تضرّرت تونس اقتصاديا جراء وباء كورونا، ومن المرجّح أن تزيد مخلّفاته في تدهور الوضع الاقتصادي وتفاقم الصعوبات الاجتماعية في الوقت الذي لم تنفرج فيه الأوضاع في ليبيا، الدولة التي كانت تربطها بتونس تعاملات تجارية هامّة وتستقطب نسبة لا بأس بها من اليد العاملة التونسية في كافة المجالات.

ومن العيب أنّ بعض الدول المحورية الفاعلة في الملف الليبي وخاصّة الإقليمية منها دعّمت الفوضى ودفعت للانقلاب على اتّفاق إنهاء المرحلة الانتقالية واجراء انتخابات عامّة، وقوّضت جهود السلام التي قادها غسّان سلامة بما أفضى إلى تقلّص الإحباط. ويزداد شعورهم بتبخّر آمالهم التي تقاسموها أثناء هيْئتهم الشعبيّة التي أسقطت نظام الحزب الواحد، وانسداد الأفق وتفاقم الفقر والبطالة وضعف المقدرة الشرائيّة واستفحال الفساد ينهض دليلا على خيبات الاقتصاد والسياسة وفشل الأحزاب السياسية وعجزها عن تقديم بدائل حقيقية تنزع الأمل بالتغيير. وما يزيد المشهد ريبة أنّ مافيا الفساد ما زالت ترغب في التسلّل من جديد إلى الحكم والقضاء على المسار الديمقراطي بدعم قوى خارجية ومال سياسي فاسد في الداخل ممّن يرفضون الديمقراطية التي فُرضت عليهم فرضا، وغُبنوا بهذا المشروع التحرّري، وبواقعية سياسية مغايرة لأفكارهم التقليدية وما تربّوا عليه طيلة عقود. فهُم لم يعرفوا العدل واحترام القانون والشفافية في تسيير الدولة على نحو مركّب المنفعة والمصالح والانتهازية والتموقع ضمن معسكر الفساد السياسي والمالي والإعلامي، ومناصرة دولة الفئات المتنفّذة والاقطاعية السياسية وواجهاتها الإعلامية التي تلهث وراء الارتزاق والتكسّب.

خارج لعبة المحاور

تونس تستحقّ الأفضل وترجو أن لا يخذلها العالم ولا يدعمها في تجاوز محنها الاقتصادية والاجتماعية. وهي ككلّ دولة والسّلطوي الذي يبدو صعبا بسبب تجذّر المصالح وتفاعل العائلات السياسية والاقتصادية التي تجمعها رابطة منافع وثيقة تشكّل جوهر الدولة العميقة. ولا بأس أن يتعلّم شعبها في كلّ مرّة، فالمراحل الانتقالية يمكن أن تطول، والأهمّ تفادي الهزّات الكبرى وترسيخ الديمقراطية الحقيقية ووطنية الدستور داخل المؤسسات وفي أذهان الناس بدرجة أولى. ومثل معظم دول العالم تضرّرت تونس اقتصاديا جراء وباء كورونا، ومن المرجّح أن تزيد مخلّفاته في تدهور الوضع الاقتصادي وتفاقم الصعوبات الاجتماعية في الوقت الذي لم تنفرج فيه الأوضاع في ليبيا، الدولة التي كانت تربطها بتونس تعاملات تجارية هامّة وتستقطب نسبة لا بأس بها من اليد العاملة التونسية في كافة المجالات.

ومن العيب أنّ بعض الدول المحورية الفاعلة في الملف الليبي وخاصّة الإقليمية منها دعّمت الفوضى ودفعت للانقلاب على اتّفاق إنهاء المرحلة الانتقالية واجراء انتخابات عامّة، وقوّضت جهود السلام التي قادها غسّان سلامة بما أفضى إلى تقلّص الإحباط. ويزداد شعورهم بتبخّر آمالهم التي تقاسموها أثناء هيْئتهم الشعبيّة التي أسقطت نظام الحزب الواحد، وانسداد الأفق وتفاقم الفقر والبطالة وضعف المقدرة الشرائيّة واستفحال الفساد ينهض دليلا على خيبات الاقتصاد والسياسة وفشل الأحزاب السياسية وعجزها عن تقديم بدائل حقيقية تنزع الأمل بالتغيير. وما يزيد المشهد ريبة أنّ مافيا الفساد ما زالت ترغب في التسلّل من جديد إلى الحكم والقضاء على المسار الديمقراطي بدعم قوى خارجية ومال سياسي فاسد في الداخل ممّن يرفضون الديمقراطية التي فُرضت عليهم فرضا، وغُبنوا بهذا المشروع التحرّري، وبواقعية سياسية مغايرة لأفكارهم التقليدية وما تربّوا عليه طيلة عقود. فهُم لم يعرفوا العدل واحترام القانون والشفافية في تسيير الدولة على نحو مركّب المنفعة والمصالح والانتهازية والتموقع ضمن معسكر الفساد السياسي والمالي والإعلامي، ومناصرة دولة الفئات المتنفّذة والاقطاعية السياسية وينفجر مخزون غضبها الذي راكمته لعقود لكن الأهم أن تحافظ على أوطانها من الانهيار التام وأن تتجنّب تفكّك الدولة وتدمير كافة هياكلها. وثمّة ثقافة سياسية جديدة تتطوّر في المنطقة رغم عسر الولادة، وهي حتما ترغب في القطع مع المستبدّين العسكريين والمافيات الأسرية والجماعات الطائفية التي نهبت الأوطان وكرّست التخلف ولم تقدّم ثقافة بنّاءة بمثل ما ينشده الغاضبون في الساحات في لحظة تاريخية عظيمة من تاريخ الأمّة العربية تتكرّر بين الحين والآخر ويتمّ فيها التركيز على القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الكبرى التي تفضي إلى تحقيق التقدّم والنهوض الحضاري على قواعد ادراك ثاقب ووعي جماهيري متقدّم يعلم أنّ مثل هذه الرهانات لا تتحقّق إلّا بكنس مكبّلاتها وطيّ صفحة الأنظمة السياسية العاجزة التي تجنح إلى التقليص من فضاء الحرية في مناخ الفساد والتسلّط. ويبقى استيعاب «مفهوم الدولة» شرطا أساسيا وجوهريا يفضي إلى تمثّل مهمّات الإصلاح الحقيقية بروح وطنية جامعة وتشاركية سياسية لا تتجاوب مع ثقافات ما قبل الدولة مؤشّر التقوقع الطائفي والمذهبي والعشائري، أو أيديولوجيا ما فوق الدولة كالإسلام السياسي والقومية الأيديولوجية وتشكيلات الأممية الشيوعية التي أثبتت جميعها أنّها مجرّد اندفاع دغمائي وراء زعامات انتهازية تسعى لتحصيل مكاسب سياسية. ومثل هذه المطالب تبعث على ضرورة تحويل اهتمام النّاس من التركيز على «الحاكم الفرد» إلى الاهتمام ببرنامج الحكم وكيفية إدارة الدولة، على نحو مداخل فلسفة الحكم وتقييماتها التي تتطلّب مناقشة الأفكار والرؤى والمشاريع وليس جدل الأشخاص وسجال الزّعامات.

وما يهدّد التجربة التونسية التي تحظى باحترام شعوب المنطقة ممّن يتطلّعون للحرّية والتخلّص من الاستبداد والأمنوقراطية ذلك المنحى التصاعدي للأزمة الاقتصادية والمالية التي تنعكس سلبا على الواقع الاجتماعي لفئات المجتمع الواسعة، في وقت لم تضف فيه الأحزاب الحاكمة شيئا يُذكر في ما يخصّ القدرات المؤسّساتية أو كفاءة التسيير الإداري عبر تنظيم مهامها وتطوير آلياتها وفق منطق مغاير لواقع الأمس. وكلّ المعطيات تُشير إلى تراجع مؤشر الإنتاج الصناعي والايرادات الجبائية وارتفاع خدمة الدّيْن الخارجي، وركود النشاط المنجمي وقطاع الطاقة، فضلا عن تراخي الدولة في إيجاد حلّ للاقتصاد الموازي الذي خلق منافسة شرسة للمؤسسات، ينضاف إلى ذلك اختلال الميزان التجاري وتفاقم ظاهرة التوريد العشوائي للمنتجات الصناعية وغيرها وتآكل القدرة التنافسية لأغلب القطاعات وتوقّف جزء هام منها أثناء فترة الحجر الصحّي العام. وما لم تستوعبه أغلب الأيديولوجي والمعارك الهامشية، بل يهمّهم الالتفاف حول القضايا الاقتصادية والاجتماعية باعتبارها الأولويات الجوهرية في ذهن الذين يرغبون في تنمية عادلة وتحقيق مطالب الثورة.

بدل التكامل والانفتاح البيْني تعمّقت المشاكل وغابت البدائل الواقعية لتطوير الحياة السياسية والاقتصادية بما يعيد النبض لمشاريع التنمية والاندماج في المنطقة التي لا تستقرّ على حال منذ عقود. ومن المؤسف أن تتوفّر المقوّمات التاريخية والبشرية والجغرافية والثقافية ويكون العامل السياسي بما يحمله من ضغائن وأزمة ثقة من أبرز العوائق التي تعطّل تجربة التكامل الاقتصادي بين الدول العربية. ورغم امتلاك الوطن العربي الثروات الطبيعية والمالية والكفاءات البشرية والمواقع الجغرافية الاستراتيجية وترابط شعوبه باللغة والدين والتاريخ القومي المشترك تعاني معظم دوله الصعوبات الاقتصادية وتلجأ لصندوق النقد الدولي الذي يكبّلها بإملاءات مجحفة ويصادر قراراها السياسي والدبلوماسي بعد اغراقها بالديون. ومن رحم هذا المشهد وقتامته تتّضح ملامح مرحلة جديدة في الدفاع عن قيم الحرية وحقوق المواطنة ضمن راهن الفعل السياسي والاجتماعي الذي يبدعه المواطن العربي في ساحات الغضب وميادين الرفض والاحتجاج من حاصل امتداد طبيعي ومنطقي بعد حالة الانسداد التي أنتجها النظام الرسمي، الأمر الذي يبشّر بفتح آفاق بديلة كفيلة بتعبيد مسارات جديدة نحو مستقبل أفضل زمام المبادرة. وستكسر بالتّأكيد قيود الوصاية والاستعباد بحثا عن منحى مغاير يتجاوز التخمين والارتجال ويبحث عن اتّجاهات جوهرية وتجذّر مؤسّساتي حقيقي له وزن في الواقع ضمن إرادة واعية يدرك أصحابها أنّ التغاضي عن النقائص والفشل لم يعد مقبولا بعد تردّي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وغياب المشروع النهضوي التحديثي.

من الطبيعي أن تثور الشعوب

السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ

ما الذي حملته أول زيارة لقيس سعيّد إلى فرنسا؟

باريس – «القدس العربي»:
آدم جابر

الرئيسان ماكرون وسعيد

رغم أن الرئيس التونسي الجديد قيس سعيد، كان قد لمّح خلال حملته الانتخابية إلى أن سياسته الخارجية ستركّز على الدول العربية، جاعلاً من القضية الفلسطينية في قلب خطاباتها، إلا أن العلاقات مع فرنسا، المستعمر السابق والشريك الاقتصادي الأول، سُرعان ما فرضت نفسها ضمن أولويات ساكن قرطاج الجديد، كما هو الحال مع جميع أسلافه. وتجسد ذلك في زيارة العمل والصداقة التي قام بها قيس سعيّد إلى باريس يومي الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شهر حزيران/يونيو الجاري، لتكون بذلك ثالث محطاته الخارجية منذ وصوله إلى سدة الحكم في تونس في شهر تشرين الأول/أكتوبر الماضي، أي بعد الزيارة الخاطفة التي قادته إلى سلطنة عمان لتقديم واجب العزاء في وفاة السلطان قابوس، ثم بعد ذلك إلى الجزائر، في زيارة عملٍ وصداقة كان قد وعد بها مراراً وتكرارا خلال حملته الانتخابية.

وزيارة الرئيس التونسي قيس سعيد إلى باريس بداية الأسبوع، بدعوة من نظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون، تعد الأولى له إلى فرنسا بشكل خاص والبلدان الغربية عموماً، منذ أن تولى مهامه على رأس الدولة التونسية في تشرين الأول/اكتوبر الماضي. والحقيقة أن السعي إلى ربط توقيت هذه الزيارة بوضع تونس وفرنسا الاقتصادي والاجتماعي ووضع رئيسي البلدين من شأنه أن يساعد كثيراً، من جهة في بلورة صورة عن الطريقة التي يمكن من خلالها توظيف الزيارة لمنح العلاقات الثنائية دفعة جديدة. ومن جهة أخرى، فإن مواقف تونس وباريس حيال بعض الملفات الإقليمية الساخنة، ولاسيما الملف الليبي، تسمح بإعطاء فكرة حول ما إذا كان تقارب هذه المواقف أو تباينها يخدم مساعي تعزيز التعاون التونسي–الفرنسي، في مجال العلاقات الثنائية، ولكن أيضا في يتعلق بالتنسيق الدبلوماسي والسياسي بشأن عدد من الملفات الإقليمية والعالمية الساخنة.

المطالب الاجتماعية

ففرنسا الغارقة في البحث عن مخرج اقتصادي للأزمة الخانقة الناجمة عن التفشي الكبير لوباء كورونا وقيود الحجر الصحي التي فرضت فيها خلالها نحو شهرين، ما زالت أيضاً لم تتخلص بعدُ من الصورة التي نقلتها حركة «السترات الصفر» عام 2019 عن تعامل طبقتها السياسية مع مشاكل شرائح من المجتمع ليسوا جميعهم من العاطلين، ولكنهم اهتدوا إلى أن ظروفهم المعيشية تسوء بوتيرة متسارعة.

أما بالنسبة لتونس، فزيارة رئيسها قيس سعيد الأولى إلى باريس، أتت في ظل سياق اجتماعي صعب كانت معالمه قد تشكلت حتى قبل بداية أزمة وباء كورونا، حيث ثمة شرائح كثيرة داخل المجتمع التونسي ترى أن أوضاعها قد ساءت بشكل غير مسبوق في ظل عدم اهتمام الطبقة السياسية الحاكمة في البلاد بهمومها اليومية.

ورغم أن هذه الشرائح تقر عموماً بأن الصفحة التي فتحتها ثورة الياسمين في تاريخ تونس تبدو مضيئة في مجال حرية الرأي والتعبير، إلا أنها ترى أن حقوقها الاجتماعية ما تزال مهمشة، في ظل اهتمام الأحزاب السياسية بمواضيع ومسائل بعيدة كل البعد عن مشاكل الناس اليومية.

وأيضاً، جاءت زيارة قيس سعيد إلى فرنسا وسط ظرف اجتماعي وسياسي دقيق جدا تمر به تونس. فالاحتجاجات التي شهدها مؤخراً جنوب البلاد وبالتحديد ولاية تطاوين، تعتبر من ناحية، صدى غير جيد لرسالة دأب الرئيس التونسي على تكرارها خلال وبعد حملته الانتخابية، ومفادها أن إشراك الشباب ضرورة قصوى. ويسعى هؤلاء الشباب الذين احتجوا في ولاية تطاوين إلى تذكير الدولة التونسية بأنها لم توف بالتزامات كانت قد تعهدت بها عام 2017 لتشغيلهم (أي قبل عامين من صول قيس سعيد إلى السلطة). ومن ناحية أخرى، بدأ التصعد يتسرب إلى الائتلاف الحاكم في تونس، ما يثير المخاوف من الدخول في فترة عدم استقرار سياسي قد تكون له عواقب وخيمة. وفعلاً، قدم الرئيس التونسي إلى فرنسا، آملاً في الحصول على مساعدات مالية تخصص أساسا للتنمية في المناطق الداخلية. وبالتالي، يمكن القول إنه لم يخب أمله؛ إذ أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن بلاده قررت منح تونس مساعدة مالية بقيمة 350 مليون يورو، في إطار التزامات كانت باريس قد قطعتها على نفسها تجاه تونس في وقت سابق وتقضي بمنحها مساعدات في شكل هبات وقروض بقيمة مليار وسبع مئة مليون يورو خلال الفترة الممتدة بين عامي 2016 و2022. كما التزمت فرنسا بمساعدة تونس على إصلاح منظومتها الصحية من خلال عدة مشاريع، منها مشروع المدينة الصحية في مدينة القيروان. وكذلك، المساهمة في إطلاق خط سريع للسكك الحديدية يربط شمال تونس بجنوبها.

بين الحاضر والماضي

وإذا كان الجدل حول الجرائم التي ارتكبتها البلدان الغربية خلال فترة استعمارها لعدد من البلدان الجنوبية قد احتد مؤخراً في العديد من مناطق العالم على خلفية وفاة جورج فلويد المواطن الأمريكي ذي البشرة السوداء اختناقاً تحت ركبة شرطي أبيض؛ فإن هذا الجدل ليس بالجديد بالنسبة إلى فرنسا ومستعمراتها السابقة، وقد سبق له أن عاد إلى الواجهة خلال الحملة الرئاسية الأخيرة التي أتت بإيمانويل كرئيس لفرنسا. هذا الأخير، صرّح في شباط/فبراير عام 2017 خلال حملته الانتخابية أن الاستعمار «جريمة» مشددا على ذلك في رسالة موجهة أساسا إلى الجزائريين. لكنه سرعان ما اضطر إلى التراجع عن هذا الموقف، بسبب الجدل الذي أثاره وسيل الانتقادات التي وُجهت إليه من عدة أطراف، بما في ذلك حزب اليمين المتطرف وبعض أولئك الذين ما يزالون يَحنون إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية.

وقبل أن يزور الرئيس التونسي قيس سعيد باريس بيضعة أيام، طَرح حزب ائتلاف الكرامة في تونس مذكرة على مجلس النواب تطالب فرنسا بالاعتذار إلى الشعب التونسي عن الجرائم التي ارتكبتها بحقه إبان حقبة الاستعمار 1881–1956 وبتقديم تعويضات عن الأضرار الناجمة عن هذه الجرائم. ولكن مشروع المذكرة هذا، أجهض انطلاقا من قناعة لدى عدد كبير من النواب في البرلمان التونسي من أنه من ليس من مصلحة تونس الذهاب أبعد بشأن هذا الجدل، لأن فرنسا تبقى شريكها الاقتصادي الأساسي ولأن أكبر جالية تونسية في المهجر تعيش في فرنسا (نحو 800 ألف شخص) ولأن غالبية المهاجرين التونسيين المقيمين في فرنسا يحملون أيضا الجنسية الفرنسية. وقد دافع الرئيس التونسي قيس سعيد بشكل أو بآخر عن هذا الطرح في المقابلات التي خص بها وسائل إعلام فرنسية منها صحيفة «لوموند» وقناة «فرانس 24».

الفخ الليبي

علاوة على العلاقات الثنائية بين باريس وتونس، فإن زيارة الرئيس التونسي إلى باريس وإن كانت تأتي في إطار الدبلوماسية التقليدية التونسية، كما يوضح الكاتب والباحث الأكاديمي عادل اللطيفي لـ«القدس العربي» لكنها جاءت في وقت يفرض فيه الملف الليبي نفسه كأبرز الملفات سخونة بالنسبة للدبلوماسية التونسية الراهنة.

وبقدر ما نجح الرئيس التونسي قيس سعيد في الظهور بمظهر الحريص على تعزيز العلاقات الثنائية بين تونس وباريس، بقدر ما فوجئ العديد من المتابعين بقدرته على اتخاذ موقف مهم جدا من الأزمة الليبية، التي كانت في قلب محادثاته مع مضيفه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون. فرنسا، تتابع عن كثب الأصوات الكثيرة التي تعالت في تونس والتي يأخذ بعض أصحابها على الرئيس التونسي عدم قدرته على تجسيد دبلوماسية تونسية نشطة، على عكس ما كان عليه الأمر خلال فترة سلفه الراحل الباجي قايد السبسي أو حتى ما قبل الثورة التونسية في عام 2011. ويعتبر بعض السياسيين والنواب (تتهم مجموعة منهم بالموالات لدولة الإمارات العربية المتحدة) أن الرئيس قيس سعيد أفسح بشكل كبير المجال أمام راشد الغنوشي رئيس مجلس النواب وزعيم حركة النهضة ذات التوجه الإسلامي، للوقوف موقفاً منحازاً إلى حكومة الوفاق الوطني الليبية المعترف بها من الأمم المتحدة والمدعومة من قبل تركيا التي غير دعمها هذا موازين القوى على الأرض.

ويرى معارضو الغنوشي أن موقفه لا يأخذ في الحسبان مصلحة تونس، التي تقضي بضرورة الحفاظ على موقف يقوم على الحياد من جميع أطراف الأزمة الليبية الداخلية. «فتونس محرجة الآن ولا يمكنها أن تكتفي بمجرد صوت محايد وتعترف بالشرعية» يقول عادل اللطيفي.

والواقع، أن الرئيس التونسي أتى إلى باريس وهو يعلم أيضا أن فرنسا تقف موقفين حيال الأزمة الليبية؛ الأول، معلن وهو دعم حكومة فائز السراج في طرابلس باعتبار أنها تحظى باعتراف الأمم المتحدة. أما الثاني، فهو غير معلن رسميا ويتمثل في دعم الشير خليفة حفتر والذي كشفته تدريجياً معطيات ميدانية منذ عام 2016 كما تحدثت عن ذلك عدة تقارير صحافية، والتي لم تفوت الإشارة إلى اصطفاف فرنسا إلى جانب القاهرة في دعم حفتر، من دوافع اقتصادية، باعتبار أن مصر تعدّ شريكاً مهماً لها في المنطقة المتوسطية.

لكن العديد من المراقبين يَرَوْن أن «ضربة المعلم» التي استطاع الرئيس التونسي قيس سعيّد توجيهها إلى من يأخذون عليه عدم «مهنيته» الدبلوماسية وعدم القدرة على قيادة دبلوماسية تونسية نشطة، تمثلت في تأكيده، أمام الرئيس الفرنسي ولدى وسائل الإعلام الفرنسية، أن حكومة السراج هي الحكومة الشرعية في ليبيا ولكن هذه الشرعية «مؤقتة» لأن الشرعية الحقيقية– بحسبه – هي تلك التي يمنحها الشعب الليبي لهذا الطرف الليبي أو ذاك من خلال انتخابات شفافة ونزيهة تمهد لفتح صفحة جديدة يشارك الليبيون لا غيرهم في كتابتها.

ويتفق مراقبون ومحللون سياسيون على أن زيارة الرئيس التونسي قيس سعيد الأولى إلى باريس، سمحت فعلاً بمنح العلاقات التونسية–الفرنسية الجديدة انطلاقة جيدة بالنسبة إلى مصالح كلا البلدين. كما أن سعيد استغل– وفق بعضهم– أيضاً هذه الزيارة لتوجيه رسالة إلى البلدان الغربية بأنه «شخصية مستقلة وأنه ليس دمية في يد هذا الحزب أو ذاك في تونس».

Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

ليبيا تخلط أوراق النقاش السياسي التونسي وتزيد حرب الاستنزاف بين النخبة

إبراهيم درويش

لم تظهر آثار النزاع الليبي أكثر منها في الجارة التونسية، التي طالما تأثرت وعبر العقود من سياسات الزعيم الليبي المتقلب معمر القذافي، بين الرغبة في الوحدة التامة مع تونس ودعم المتمردين كما بدا واضحا في حادث قفصة في كانون الثاني/يناير 1980.

وتكرر الأمر بعد ثلاثة عقود تقريبا عندما حاول أكثر من خمسين متشددا عام 2016 احتلال بلدة بن قردان القريبة من الحدود الليبية وإعلان إمارة إسلامية تابعة لتنظيم «الدولة» الإسلامية. ولخصت الحادثتان الدور الذي يمكن أن تلعبه ليبيا، تحت ديكتاتورية أو مقسمة بين حكومتين واحدة في الشرق وأخرى في الغرب بخلق حالة من الاستقطاب السياسي التونسي.

وانعكس هذا الوضع في الزيارة الأخيرة للرئيس التونسي قيس سعيد إلى فرنسا واجتماعه يوم الإثنين مع الرئيس إيمانويل ماكرون. وكانت ليبيا حاضرة في حديث الرئيسين، حيث حذر ماكرون تركيا التي باتت تلعب دورا بارزا في الشأن الليبي مما أسماه «اللعبة الخطيرة» في ليبيا فردت عليه تركيا بأنه يعاني من كسوف عقلي ومن فقدان للذاكرة ويتعامى عن دوره في منح الشرعية لأمير الحرب خليفة حفتر ودور فرنسا في الحرب الأهلية بشكل عام. ورغم ادعاء الحياد في الملف الليبي والتأكيد على الحل السياسي للأزمة الليبية وضرورة مشاركة الليبيين أنفسهم بحل الأزمة بعيدا عن التأثيرات الخارجية، إلا أن الرئيس سعيد أدلى بدلوه بالأزمة عندما دعا عددا من ممثلي القبائل في ليبيا وحثهم على عقد «لويا جيركا» ليبية على غرار الأفغانية وكتابة دستور جديد للبلاد.

وفاق أم حفتر؟

فتونس من الناحية الرسمية تعترف بحكومة الوفاق الوطني التي تدعمها الأمم المتحدة، ولديها قنصلية صغيرة في العاصمة طرابلس، إلا أنها من الناحية العملية موزعة في الداخل بين دعم الوفاق وحفتر. فالجرحى في الحرب المستمرة يتلقون العلاج في تونس، سواء من جانب حكومة الوفاق أو من جانب حفتر، حيث يتم وضعهم في مستشفيات منفصلة. ويبدو واضحا الاستقطاب السياسي الليبي على الساحة التونسية، فمن ناحية تدعم حركة النهضة التي يتزعمها الشيخ راشد الغنوشي وائتلاف الكرامة حكومة الوفاق الوطني. بينما تؤيد المعارضة بقيادة الحزب الدستوري الحر، الذي أنشأه مؤيدو الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، حفتر. وأشار تقرير لموقع «المونيتور» (2020/6/21) إلى أن الصراع على ليبيا عمق الانقسام الموجود بين أطراف اللعبة السياسية وزاد عليه. بل ولم يعد الانقسام داخل البرلمان بل ويشارك فيه الرأي العام.

وأدى التدخل التركي إلى جانب حكومة الوفاق لرفع الحصار عن طرابلس وهزيمة قوات حفتر التي تراجعت مئات الأميال إلى سرت في شرق ليبيا. وفي الآن نفسه بدأت الولايات المتحدة تتململ من التدخل الروسي في البلد الجار. فإلى جانب المرتزقة التابعين لشركة «فاغنر» صعدت موسكو بنشر طائرات ميغ–29 وأس يو–24 المقاتلة دعما لقوات حفتر. وقد شجبت القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا في سلسلة من التغريدات. وقال العميد الجنرال برادفور غينرغ، مدير عمليات القيادة المركزية في بيان صحافي: «إن تدخل روسيا المستمر في ليبيا يزيد من العنف ويؤخر حلا سياسيا» واتهم روسيا بـ «الدفع نحو إيجاد موطئ قدم لها في الجناح الجنوبي لحلف الناتو على حساب أرواح الأبرياء الليبيين». وعندما ظهرت الأخبار بأن البنتاغون سيرسل مدربين عسكريين إلى تونس، زادت التخمينات بأن أمريكا تخطط لإنشاء قاعدة عسكرية. ورد وزير الدفاع التونسي، عماد الحزقي قائلا: «نحن لا نسمح لأي قوات أجنبية أن تتواجد في بلدنا». وتلعب أمريكا دورا مهما في مساعدة تونس على تأمين حدودها مع ليبيا ضد اختراق الجهاديين، فقد كانت البلد هدفا لسلسلة من الهجمات الدموية من عناصر مرتبطين بتنظيم «الدولة» و«القاعدة» عبر العديد منهم من ليبيا. وبعد سقوط قاعدة الوطية في 18 أيار/مايو اتصل الشيخ راشد بالسراج مهنئا له وهو ما أثار استياء سعيد لأنه اعتبر المكالمة تعديا على صلاحياته الدستورية. وقال في خطاب تهنئة بعيد الفطر: «يجب على الجميع أن يدرك أن هناك تونس واحدة ورئيسا واحدا على مستوى الوطن والخارج». وبنفس المثابة لام الاتحاد العام التونسي للشغل، والذي تصل عضويته إلى نصف مليون شخص، بالتظاهر ضد التدخل التركي في ليبيا وضد أي زيادة في التواجد الأمريكي، ولكن المتظاهرين لم يقولوا أي شيء عن التدخل الإماراتي. ودعت زعيمة الحزب الدستوري الحر المعادية للإسلاميين، عبير موسي، إلى عقد دورة استثنائية للبرلمان للتصويت على قانون يرفض كل تدخل أجنبي في ليبيا ويرفض استخدام تونس كنقطة انطلاق للعمليات العسكرية هناك. وتم رفض القانون خلال دورة مارثائونية استمرت 20 ساعة في 3 حزيران/يونيو، قامت خلالها المرأة البالغة من العمر 45 عاما بالضغط من خلال أسئلتها على رئيس البرلمان بتهمة تبعيته لتركيا وقطر. والغريب أن الإعلام السعودي والإماراتي نقل الجلسة البرلمانية على الهواء وبعنوان مضلل «مساءلة الغنوشي». وكان الغنوشي قد سافر إلى تركيا في كانون الثاني/يناير والتقى الرئيس التركي، رجب طيب اردوغان خلف أبواب مغلقة. وكان من الواضح أن تلك الزيارة كانت للتعويض عن عدم مقابلته لاردوغان عندما قام بزيارة غير مخطط لها في كانون الأول ديسمبر والتي جاءت حسب التقارير ليطلب من الرئيس التونسي أن تكون تونس نقطة انطلاق للتدخل العسكري التركي في ليبيا، حيث تم رفض الطلب. وأثيرت تكهنات حول منع سعيد لقاء بين اردوغان والغنوشي في تونس. ذلك أن العلاقة بين الغنوشي وسعيد ليست جيدة. وحاول الغنوشي ابتداء كسب سعيد. فقد ساعدت قاعدة النهضة سعيد على الفوز في الانتخابات الرئاسية العام الماضي. وعلى العموم فرضت المعارضة رؤيتها في رفض التدخل الأجنبي حيث استطاع حزب صغير ليس لديه سوى 16 مقعدا حشد 94 صوتا لصالح مقترحه. وصوت لصالحه أعضاء في الائتلاف الحاكم من حركة الشعب وتحيا تونس. وهو ما دعا الغنوشي للمطالبة بتعديلات في الحكومة. وردت المعارضة أن رئيس الحكومة إلياس الفخفاخ هو من يقرر تغيير وزراء لا رئيس البرلمان.

حرب إعلامية

ويأتي الجدل والتناحر بين النخبة الحاكمة في تونس في ظل حملات إعلامية وبلغات متعددة من شبكات موالية للإمارات أو قطر وتركيا بما فيها شبكات في تونس. فمن ذلك زعم الصحف الموالية للحكومة في تركيا أن الإمارات تخطط لانقلاب يطيح بالغنوشي. بينما قام الإعلام المدعوم من الإمارات بنشر ادعاءات دون دليل بأن الغنوشي فاسد. ويجري هذا النقاش وسط أزمات اقتصادية ومستويات من البطالة وإحباط جيل ثورة الياسمين من التغيير، وهو الجيل الذي قرر معاقبة النخبة السياسية نفسها وصوت لرئيس بدون حزب أو قاعدة تقليدية، فيما تراجعت حظوظ الأحزاب التي تسيدت الساحة بعد خروج زين العابدين بن علي من الساحة السياسية. والمشكلة في تونس أن النزاع في ليبيا بين أطراف دولية وإقليمية فاعلة على الساحة التونسية وتقدم الدعم والعون للبلاد. وحتى لو قال التونسيون على اختلاف أطيافهم رأيهم بما يحدث من نزاع عسكري فلن تغير مواقفهم السياسة من ميزان الحرب. وما تحتاجه تونس هي حكومة مستقرة قادرة على حل الأزمات.

ما بعد كورونا

وكان تعامل البلد مع وباء فيروس كورونا محلا للثناء، ومن هنا اقترحت ورقة للمجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية في ورقة بحثية نشرها في حزيران/يونيو 2020 إلى الاستفادة من تجربة مواجهة فيروس كورونا والبدء بإصلاحات بنيوية. فرغم ما أحدثه الوباء من متاعب اقتصادية وتباين اجتماعي، جهوي ترافق مع غياب في العناية الصحية وعدم استقرار سياسي، إلا أنه قد يكون فرصة لإعادة تشكيل أولويات البلاد ومعالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تنتظر منذ عام 2011. فالتأخر في تشكيل حكومة الفخفاخ وعدم منح الثقة للحبيب الجملي، كشفا عن صعوبة بناء اجماع سياسي أبعد من مصالح القوى السياسية. وفي مرحلة ما بعد فيروس كورونا هناك على ما يبدو اجماع حول ضرورة إنهاء حرب الاستنزاف بين القوى السياسية والتشارك في تحمل أعباء الإصلاح. وحتى تتوصل النخبة إلى تسويات فإنها قد تؤدي إلى إضعاف عملية التحول الديمقراطي، وهي الوحيدة بين دول الربيع العربي، وبالتالي تأخير جديد لتحقيق أحلام جيل الثورة. ولن يتم هذا بدون حكومة قوية ومستقرة تستطيع مواجهة التحديات الاقتصادية والصحية. ورغم الخلافات في الهوية والبرامج للأحزاب التونسية في البرلمان والمشاركة في الائتلاف إلا أن الوحدة التي بدت بينها في مواجهة الوباء قد تكون أساسا للتوافق على أولويات الإصلاح. وهذا يعني مشاركة كل الأطراف بخطة الإصلاح وتنسيق الجهود بين الرئاسة والحكومة والبرلمان.

العامل الليبي

وتظل ليبيا مهمة في الإصلاحات الداخلية، فكما يقول فردريك وبهري بورقة نشرتها وقفية كارنيغي للسلام العالمي في آذار/مارس 2020 فليبيا عامل مهم في التنمية الاقتصادية والاستقرار السياسي. ونسب البنك الدولي التراجع بنسبة 24 في المئة من الناتج المحلي العام في الفترة ما بين 2011– 2015 للاضطرابات في ليبيا. وكان تراجع تحويلات العاملين التونسيين الذين عادوا إلى بلادهم بسبب العنف في ليبيا حادا، حيث انخفض بنسبة 32 في المئة وذلك في الفترة ما بين 2010 2014. ومن تبقى من التونسيين هناك يتعرضون لتهديدات الفصل من العمل أو الانتقام حالة اعتقلت السلطات التونسية ليبيين. وفوق كل هذا أدى تدفق اللاجئين من ليبيا إلى زيادة الضغوط على الاقتصاد التونسي. ورغم عودة معظمهم إلى بلادهم إلا أن تونس تحضر لموجة أخرى نظرا لاستمرار الحرب. وفي غياب حكومة مستقرة في الجارة فإن القلق على تأمين الحدود بين البلدين يظل مستمرا، وهذا بخلاف الوضع مع الجزائر، حيث شهدت المنطقة الحدودية تمردا خافتا، وتظل الجزائر شريكا مستقرا لتونس مقارنة مع الوضع في ليبيا الذي تتحكم بحدودها مجموعات مسلحة يضطر الجيش التونسي التعامل معها في تأمين الحدود. وخلقت عملية حفتر في نيسان/إبريل 2019 ضد طرابلس وضعا معقدا لتونس. فقد جلبت العملية معها أسلحة متقدمة مثل جافلين وكورنيت ومرتزقة روس وطائرات مسيرة صينية الصنع وتركية. وكانت تونس موزعة في موقفها «الحايد» بين حكومة ضعيفة وجنرال لا يحترم الديمقراطية. وطالما استمر النزاع في ليبيا فستظل تونس تتأثر به أمنيا واقتصاديا وعسكريا. وهي مضطرة لتأمين حدودها وإمكافحة التسلل والتهريب ومنع الإرهابيين من العبور لتنفيذ هجمات على الأراضي التونسية.

حوار

المنسق العام لقوى «14 آذار» سابقاً فارس سعيد:

لا يمكن أن يُحكم لبنان بالقهر والفقر ولا أتوقع حرباً بوجود «الجنرال جورج واشنطن»

حاورته: رلى موفّق

لا يُهادن المنسق العام السابق لقوى «الرابع عشر من آذار» سابقاً فارس سعيد في السياسة. شهرٌ معارضته بقوة، منذ «التسوية الرئاسية» في العام 2015 التي اعتبرها انتصاراً لإيران في لبنان على حساب أنتمائه العربي وعلاقاته مع الغرب، ولا يزال يُواجه بسقف عال، فيما أصوات «السياديين الآخرين» خافتة. ولا يتوانى عن لوم هؤلاء الذين يسكاتون «حزب الله» خوفاً من الكلفة المرتفعة للمواجهة، داعياً إياهم إلى أن يدركوا حقيقة أنهم إذا لم يواجهوا، سيكونون غير موجودين في المدى القريب.

لا يُخفي أننا سنكون أمام أربعة أشهر صعبة جداً، قد ننشهد خلالها دورة من العنف، لكنها لن تصل إلى اندلاع حرب، ما دام «الجنرال جورج واشنطن» يجفف مصادر تمويل المنظومة الإيرانية بكل أذرعتها في المنطقة ويلحق بها الهزيمة، معتبراً أن أي تفاوض إيراني–أميركي قبل أو بعد الانتخابات سيخضع لشروط الولايات المتحدة وليس لشروط إيران. وحتى لو تبدّلت الإدارة الأميركية، فإن قانون «قيصر» سيبقى ساري المفعول، ولا يمكن شراء الوقت مع الولايات المتحدة.

ما يقلق مؤسس «المركز اللبناني للبحوث والدراسات» أنه في لحظة انهيار النظام العربي القديم، هناك من يظن بأنه قادر على إعادة تموضع العالم العربي في اتجاهات جديدة، معرباً عن اعتقاده أن قضية العرب الكبرى تخطت فلسطين إلى البحث عن كيفية استعادة الهوية العربية، وإعادة بناء نظام مصلحة عربية مشتركة يتفاهم مع الجميع في المنطقة شرط ألا يكون ضحية ومكاناً لتقاسم المغانم على ثقافته ومصالحه ومستقبله. وهنا نص الحوار:

○ بداية، هل هناك من حرب في المنطقة؟

● لا اعتقد أنه ستكون هناك حرب عسكرية. «الجنرال جورج واشنطن» الذي تضع الولايات المتحدة صورته على عملتها هزم المنظومة الإيرانية بكل أذرعتها في المنطقة. هذا الجنرال هو أهم الجنرالات في العالم، فريد من نوعه ولا مجال لهزيمته، لأنه لا يمكن أن تضعي في مقابله جنرال آخر، ولأن صورته على عملة لا يمكن طباعتها إلا في الولايات المتحدة، ولا يمكن أن نضع له سيارة مفخخة، ولا أن نشن حرباً عليه، تُنتجه وتُحرّكه وتُسوّقه الإدارة الأميركية، ومن خلاله تقوم بعملية تجفيف لمصادر أموال إيران وأذرعها، بدليل أن هناك تزامناً في مسار الهبوط المريع لسعر صرف الليرة اللبنانية والليرة السورية والتومان الإيراني. هذا يعني أنه لا يمكن الالتفاف عليه، هو ليس عقوبات تطال أفراداً أو شخصيات أو مواد إنتاجية مُعيّنة فقط، بل إجراءات وتدابير تدخل إلى كل منزل في إيران وسوريا ولبنان، وبالتالي تنعكس أيضاً على المنظومات على المستوى البشري، وهي نتائج تقدم حلولاً، حتى لو لم تتناسب الساعة الأميركية مع ساعات المحور الإيراني.

○ ترى أن لا مصلحة لطرفين الأميركي والإيراني بالتفاوض حالياً، لكن البعض لديه قراءة معاكسة بأن إيران تعوّل على ربح الساعة الأخير قبل الانتخابات لتحسين موقعها، برهانها على أن ترامب المرشح قد يكون بحاجة إلى اتفاق ما؟

● هذه وجهة نظر مقبولة جداً، لكن أي تفاوض إيراني – أميركي، قبل أو بعد الانتخابات، سيخضع لشروط الولايات المتحدة وليس لشروط إيران. على سبيل المثال، قانون «قيصر» صدر عن الكونغرس بتبني الحزبين الجمهوري والديمقراطي، ووقّعه الرئيس. وحتى لو تبدّلت الإدارة الأميركية، فهذا القانون سيبقى ساري المفعول، ولا يمكن شراء الوقت مع الولايات المتحدة والرهان على خلال «الجنرال جورج واشنطن» غير مُكلفة على الأميركيين أنفسهم.

○ ولكن، بدأنا نسمع تهديدات من «حزب الله» بفتح جبهة جنوب لبنان؟

● ليس «حزب الله» الذي يأخذ قرار السلم والحرب، بل إيران. وبالتالي، لا أعتقد أن لها مصلحة في هذه اللحظة بحرب. نحن نعيش مرحلة ما قبل الانتخابات الأميركية، وإيران لا تُريد التفاوض مع دونالد ترامب المرشح، فهي تعتبره ضعيفاً ومحاصراً بـ«فيروس كورونا» وجورج فلويد، ومنغمساً في مواجهته مع الصين. وتنتظر نتائج الانتخابات من أجل التكيّف معها، على المقلب الآخر، الإدارة الأميركية ليس لديها مصلحة في التفاوض مع إيران قبل نتائج الانتخابات الرئاسية. من هنا، سنكون أمام أربعة أشهر صعبة جداً، وصحيح أن لا شيء مستبعداً خلالها، وقد نشهد دورة من العنف، ولكن لا أُرجّح اندلاع حرب لأن النتائج التي يحصدها الجانب الأميركي من إيران مع الولايات المتحدة.

أنا أخشى أن تكون «المحلية» لا تزال تتحكّم بعقول البعض خشية من الاصطدام والمواجهة، نتكلم عن الفساد وسياسة المصارف وحاكمية مصرف لبنان، وعن معابر التهريب التجارية بين لبنان وسوريا، ولا نتكلم عن المعابر غير الشرعية الأمنية والعسكرية والاستراتيجية. نتكلم عن كل شيء إلا عن سلاح «حزب الله»، ولا نربط الأزمة المالية الاقتصادية اللبنانية بأزمة سلاحه. رؤساء الحكومات السابقون الأربعة الذين يُمثلون العمود الفقري الحقيقي لرفع وصاية إيران عن لبنان لا يزال أدبهم السياسي ناعماً، بمعنى أن خطابهم يرتكز على أن يواجهوا ميشال عون ولا يواجهوا سلاح «حزب الله» هذا كلام لن يؤدي إلى أي نتيجة، وبالتالي لن يُخرجنا من هذه «المحلية» القاتلة التي نمارسها منذ 2015.

○ ما المطلوب من قوى «14 آذار» سابقاً؟

● إذا أردنا استعادة صداقة الخليج والعالم العربي والنخب السياسية العربية، فعلينا الخروج من محليتانا السياسية، وصياغة مشروع مع العالم العربي، لإعادة ابتكار نظام عربي جديد، أي أن يساهم اللبنانيون في ابتكار نظام عربي جديد مع عروبة تتّسع للجميع، مع دول مدنية في كل أنحاء العالم العربي، علينا أن نخرج من هذه «المحلية» القاتلة. عندما واجه كمال جنبلاط نظاماً مُنعه من الوصول إلى سدّة رئاسة الجمهورية لأنه من مذهب معين، لم يتصرّف كدروز، بل ذهب إلى فضاء أوسع، تصرّف كعربي وكيساري وكأممي، وبالتالي من خلال «تكبير الحجر»، جلس إلى طاولة الكبار في المفاوضات الداخلية اللبنانية–اللبنانية، ولكنه استشهد وقُتل وانتهى هذا المشروع. الدعوة إلى هذه المرحلة، ليس الانسحاب كما هو الحال، والاكتفاء بتوصيف يتجنّب موضوع السلاح غير الشرعي. علينا أن نخرج من هذه المحلية، وأن نتخرط في مشروع نهضوي حقيقي في المنطقة لمواجهة هذا التقاسم للهوية العربية من قبل مراكز النفوذ الإقليمية.

○ قد لا تختلف قراءتهم كثيراً عن قراءتك، لكن كلفة هذا الخيار بنظرهم قد تكون كبيرة وتزيد من الأكلاف التي دفعوها سابقاً، وفقاً لسردية أن فارس سعيد يستطيع رفع الصوت عالياً، لأن الأثمان عليه أقل كلفة مما هي على القوى السياسية الوازنة التي قد يأتي الثمن على جمهورها وناسها كبيراً؟

● مع تقديري لهذه القامات الوطنية الكبرى، إنما إذا لم يتبنوا مسؤولية رفع وصاية إيران عن لبنان، فلماذا نحن بحاجة للالتحاق بهم، يعني إذا كانت مشاريعهم عبارة عن مشاريع سياسية محلية، فهناك سياسيون محليون أفضل منهم. انخراطنا جميعاً في «14 آذار» كان من أجل قضية وطنية كبرى، اسمها إخراج الجيش السوري من لبنان، وتأمين استقلال وحرية هذا البلد، واليوم إذا أردنا إعادة تجميع هذه القوى السيادية فلا يمكن أن يتم ذلك إلا على هذه القاعدة. مَن نواجهه اليوم هو الذي يؤدي الشخصية اللبنانية ويستخدمنا كرهائن من أجل تحسين ظروف مفاوضاته ولا يتكلم بلغة محلية. على هذه القامات الوطنية الكبرى، التي تقول بأن الكلفة عليها كبيرة إذا واجهت، أن تدرك كيفية أنها إذا لم تُواجه، ستكون غير موجودة في المدى القريب.

○ ثمّة من يعتقد أن مسألة إخراج الجيش السوري ومنظمة التحرير الفلسطينية تختلف عن المواجهة مع «حزب الله» الذي نسيجه لبناني رغم أن مشروعه السياسي وعقيدته مرتبطة بولاية الفقيه؟

● لا، منظمة التحرير لم تكن منفصلة عن النسيج الداخلي اللبناني، كمال جنبلاط الذي دافع عن السلاح الفلسطيني في لبنان، لم يكن فلسطينياً، محسن إبراهيم لم يكن فلسطينياً، القوى اللبنانية التي تكوكبت حول منظمة التحرير واعتبرت أن هناك مصالح مشتركة لم تكن قوى غير لبنانية، وعندما انهزمت منظمة التحرير انهزموا معها، وبالتالي هذا الوصف غير دقيق. كما أن القوات السورية في لبنان لم تكن جيشاً، كانت هناك شريحة واسعة من اللبنانيين تعاملت معها. حين خضنا الانتخابات النيابية الفرعية في العام 2002 بين «لقاء قرنة شهوان» (المناهض للوجود السوري) من جهة ومرشحين مدعومين من بشار الأسد من جهة أخرى، فزنا بفارق ثلاثة أصوات. هذا معناه أن نصف المتن الشمالي – وهي منطقة مسيحية بامتياز – صوتت لصالح بقاء الجيش السوري في لبنان، وأن السلاح السوري كان يتمتع بغطاء لبناني.

سلاح «حزب الله» هو سلاح إيراني وليس سلاحاً لبنانياً، حتى لو حمله لبنانيون، المهم مَن يملك الإمرة على هذا السلاح، هل الإمرة لبنانية؟ أبداً هي إمرة إيرانية. اعتراضنا أولاً على وجود هذا السلاح وثانياً على إمرة هذا السلاح. لو كانت الإمرة بيد حسن نصر الله لما سمعناه يقول «لو كنت أعلم» ولكان فكّر ملياً قبل دخوله المستنقع السوري، لأنه يدرك أن إلصاق طائفته بالنظام المجرم في سوريا سيرتد عليه وعلى طائفته لأجيال مقبلة، إذن هذا السلاح بمنزلة السلاح السوري والفلسطيني، ومن الطبيعي أن تكون هناك شرائح لبنانية تدعمه.

○ ما الفارق بين مشهد اليوم ومشهد العام 2005؟

● في الـ2005 كانت هناك جهوزية داخلية تلاقت مع الجهوزية الخارجية، اليوم ليس هناك من جهوزية داخلية على قاعدة الوحدة الوطنية.

○ هذه الجهوزية التي تتحدث عنها لم تُتح لأكثرية «14 آذار» أن تحكم، فما الذي سيتغيّر؟

● لم تملك قوى «14 آذار» الأكثرية يوماً بذهنية الأكثرية. ملكنا الأكثرية، وذهبنا إلى التسويات لأننا خفنا من الاصطدام مع «حزب الله». أردنا الشيء ونقيضه، أي الدخول إلى السلطة والشراكة مع الآخرين ونحن ندرك أن الكراسي للبنانيين بينما النفوذ لـ«حزب الله». أنا مع أن يتسلّم «حزب الله» السلطة في لبنان بشكل كامل، وأن يفاوض الشيخ نبيل قاووق صندوق النقد الدولي، وأن يفاوض السيد عمار الموسوي الاتحاد الأوروبي، وأن يذهب الشيخ نعيم قاسم إلى الأمم المتحدة، والسيد حسن نصر الله إلى مجلس التعاون الخليجي. لا أريد المساكنة معه، فليستلم إدارة البلد. هو غير قادر على إدارة دولة، هو قادر على تنظيم ميليشيا مسلحة، وعلى خلق حالة من عدم الاستقرار. لنعط الكراسي والنفوذ لحزب الله، وننتقل إلى معارضة بناءة، وعندها دوائر القرار العربية والخليجية ستتكلم معنا وسنُعيد إنتاج ما انتجناه في العام 2005، أي التكامل بين الجهوزية الداخلية والجهوزية الخارجية.

○ في رأيك هل تلاقي الجهوزيتين الداخلية والخارجية هذه المرّة يمكن أن يدفع «حزب الله» إلى التخلي عن مشروعه؟

● لا شيء سيُقنعه بذلك. اليوم إذا ذهبنا لحسن نصر الله وقلنا له أن لبنان لا يمكن أن يكون رهينة في يد إيران، سينظر إلينا ويقول لنا أنتم عملاء إسرائيل. لبنان لا يتحمّل المشاريع الكبرى، لم يتحمّل أن يكون أرض انطلاق للفدائيين، ولم يتحمل السلام النفرد مع إسرائيل، ولن يتحمل أن يكون مخفراً متقدماً لإيران على البحر المتوسط.

○ إذن، نحن ننتظر هزيمة هذا المشروع لتُبدّل الواقع؟

● لا ننتظر شيئاً، نحن هُزمنا في 14 آذار عندما فرّطنا في وحدتنا الداخلية الإسلامية–المسيحية، وانفراط الوحدة الداخلية اللبنانية فوَّت على لبنان فرصة إعادة تكوين هذه الجهورية الداخلية التي يجب أن تتكامل مع الجهورية الخارجية. «الجنرال جورج واشنطن» –أي الدولار–هو الذي سيحدّد الجميع على قراءة سياسية واحدة، لذلك أعتقد أن الجهورية المقبلة لن تكون جهورية سياسية بل ستكون جهورية رجال أعمال، جهورية مشغلي القطاعات، الذين ينهارون الواحد تلو الآخر، هؤلاء مسؤولون عن 400 ألف وظيفة في لبنان، وبالتالي انهيارهم هو انهيار الطبقة الوسطى في لبنان. أنا ابن منطقة ريفية وأزور الناس في قراهم ومناطقهم، اليوم في المناطق المسيحية الفقيرة يجهدون حتى يشتروا عقارات في قبرص واليونان، وهناك انتظار هائل للشباب المسيحي وغير المسيحي لمغادرة لبنان فور فتح الأجواء الجوية العالمية، لكن هذا الجوع لن يؤدي بنا إلى فوضى. الكلام عن حرب أهلية في لبنان هو كلام سخيف، في العام 1914 جاع جبل لبنان، لكن التاريخ لم يذكر أن جندياً عثمانياً واحداً طُعن بسبب الجوع.

ماذا يمكن أن يكون عليه لبنان مستقبلاً؟

● لا أحد يربح في لبنان، ولا أحد يخسر. عندما قتلوا كمال جنبلاط لم تربح «الجبهة اللبنانية»، وعندما قتلوا بشير الجميل لم تربح «الحركة الوطنية». انهيار «حزب الله» الحتمي بتأثير «الجنرال جورج واشنطن» سيكون عليه وعلى سوريا وعلى إيران. الذي يجب أن يربح هي فكرة التماسك الداخلي اللبناني–اللبناني، وفكرة لبنان العيش المشترك، وفكرة لبنان المساهم مع النخب العربية لإعادة تكوين وإنتاج عالم عربي أكثر إنسانية.

لا يمكن لأي مجموعة في لبنان، مهما علا شأنها، أن تحكم لبنان، كمال جنبلاط وبشير الجميل فشلا في فرض وجهة نظرهما على جميع اللبنانيين، وحسن نصر الله وعلي خامنئي سيفشلان حتماً في ذلك أيضاً. فحتى لو عانى اللبنانيون وهاجر بعضهم سيبقى ما يكفي من أجل إعادة تكوين المصلحة اللبنانية الصافية. هناك من ينظر إلى التحوّل الديموغرافي كمصدر قلق، أما أنا فأراه مناسبة حقيقية لطرح الدولة المدنية التي نتجاوز من خلالها عملية العدّ وعملية التوزيع الطائفي لمناصب الدولة. والدولة المدنية موجودة وبند أساسي في اتفاق الطائف.

○ هل يمكن للوضع في لبنان أن ينتظر إلى تشرين الأول/نوفمبر ما دام الكل يسير على ساعة الانتخابات الأميركية، فاللبنانيون خائفون من الجوع؟

● يصعب التنبؤ ما إذا كان اللبنانيون سيصمدون حتى الانتخابات الأميركية، أم لا. لأننا بدأنا نرى علامات حقيقية للتعب اللبناني. فهناك فنادق ومدارس ومستشفيات بدأت بالإقفال، وهناك قطاعات توظف الآلاف بدأت بالانهيار. نحن نتكلم عن فقدان 400 ألف لبناني في القطاع الخاص لأعمالهم حتى أيلول أو تشرين المقبل، ناهيك عما سنشهده من أزمة محروقات وطحين وكهرباء.

إذا أراد السيد حسن نصر الله الذهاب بنا إلى الصين فنحن على كامل الاستعداد للذهاب معه إلى هناك، وأن نترك الولايات المتحدة شرط أن يُعيد سعر صرف الدولار إلى 1500 ليرة، أما إذا أخذنا إلى الصين وأصبح الدولار بمئة ألف ليرة، عندها عليه أن يأتي معنا إلى الدستور والطائف وتنفيذ قرارات الشرعية الدولية. لا يمكن أن يُحكم لبنان بالقهر والفقر، فإما القهر أو الفقر. هو يقهر لبنان لأنه يسلبه من محيطه العربي، ويضعه في مشرقية مُلتبسة، يقهر لبنان لأنه نسف علاقاته مع الخليج ومع المجتمع الدولي. يقهر لبنان لأنه مسبب رئيسي لهذه الأزمة الاقتصادية والمالية ولأنه أطاح بالقطاع المصرفي والسياحي والتعليمي، والفقر الذي يُعانيه اللبنانيون اليوم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا السلاح، بمعنى أن لا حل لأزمة ودائع اللبنانيين لدى المصارف إلا مقابل أن يُسلّم «حزب الله» سلاحه للدولة اللبنانية. لماذا؟ لأنه لن يأتي فلس واحد من الخليج أو من دوائر القرار الخارجية، طالما أن إيران وحزب الله يتحكمان بالمشهد الداخلي اللبناني.

اللوم يقع على القوى السياسية «السيادية»، لأنه عليها أن تقول لنصر الله إن هذا البلد لم يُولد من رحم حزبك، لبنان كان قائماً قبل «حزب الله وسيكون موجوداً بعد. لن يتمكن خطاب «حزب الله» ومعه عهد ميشال عون من سلخ لبنان عن تاريخه وموقعه ودوره الثقافي الريادي العربي وعلاقته مع الغرب، ومن إعادة تموضعه السياسي والاقتصادي والاستراتيجي. «وثيقة الوفاق الوطني» وضعت حداً لإشكاليات تاريخية في لبنان، فبموجبها أقرّ المسلمون كتابة للمرة الأولى بنهائية الكيان اللبناني، وأقرّ المسيحيون كتابة للمرة الأولى بهوية لبنان العربية وانتمائه إلى العالم العربي، فإذا تكلمنا اليوم عن «مشرقية غير عربية» فنحن نتكلم عن نسف العقد الاجتماعي الذي توصل إليه اللبنانيون بعد 120 ألف قتيل.

حريات

العدالة الاجتماعية أهم مبررات اللجوء والتعايش واللغة معوقاته

اللاجئون السوريون في أوروبا:
بحث عن الاستقرار في النصف الآمن من الكرة الأرضية

حسام محمد

جسدت انطلاقة الثورة السورية في ربيع عام 2011 مشهد خروج الشعب من عنق الزجاجة بحثا عن حريته وحقوقه المسلوبة، فكل مقومات الحياة بدت معدومة وأركان الحاضر مع المستقبل قد تخلخلت جراء الفساد والتسلط الحكوميين والحكم بلا قانون ومن دون ضوابط رغم توفرها، ليحول النظام البلاد بحلوله العسكرية إلى بحر من الدماء، وأفواج من الضحايا والمهجرين، وثق التاريخ مشاهدهم الأولى من دون معرفة نهاية الطريق، فترى السوريين اليوم وقد انتشروا في قارات الأرض بحثا عن حياة كريمة وعادلة، فيما كانت أوروبا رغم الملايين التي تعيش في دول الجوار السوري، هي المبتغى لنسبة كبيرة لمن هجرهم الأسد، فمنهم من ركب البحر ووصل ومنهم من ركب البحر واختفى، وبعضهم حالفه الحظ فوصل دول الاتحاد عبر «فيزا اللجوء» وآخرون فشلوا في الوصول لكنهم يحاولون دائما الوصول إلى «النصف الآمن من الكرة الأرضية» وفق ما وصف بعضهم سبب رغبته في الوصول إلى أوروبا.

الوصول إلى أوروبا لأي إنسان تعرض موطنه الأصلي لحرب مدمرة مثلما حصل في سوريا، هو حلم ومبتغى أول، وفق ما يقوله الإعلامي السوري الواصل حديثا إلى أوروبا منار عبد الرزاق، معتبرا، أن اللجوء إلى أوروبا يعود على اللاجئ المهجر قسريا من بلده، ببعض مزايا الاستقرار، منها الاستقرار «النفسي، والاجتماعي، والصحي والتعليمي».

التهجير القسري

لم تكن أوروبا، هي أول محطة لجوء للسوريين، فكل سوري وصل إلى أوروبا، مر بعدة مراحل قبل ذلك، لا يمكن وصفها بأقل من المضنية من التهجير القسري، إلى النزوح مرات ومرات من مدينة إلى قرية ثم إلى الحدود داخل الجغرافية السورية، لتأتي الخطوة الثانية، وهي اللجوء إلى دول الجوار السوري.

سبع سنوات قضاها عبد الرزاق في تركيا، يقول عنها لـ «القدس العربي»: «الحياة هناك تجبرك على إيجاد فرصة عمل بغض النظر عن هويتها، وذلك بهدف تأمين الحاجة المادية، وبالتالي تحقيق استقرار الأسرة التي اتعبتها الحرب، فالسوري هناك – في تركيا– مضطر للعمل تحت أي ظرف كان» في المقابل، كانت تتوفر خدمات صحية وتعليمية تقدم للاجئ السوري من قبل الحكومة التركية، ولكنها لا تضمن الأمن العائلة للاجئ السوري على المدى الطويل.

دعم طبي والتعليم أولوية

يقول عبد الرزاق، أن أوروبا، تدعم اللاجئ السوري من الناحية الصحية منذ دخوله أراضيها، وذلك عبر تقديم خدمة التأمين الصحي الشامل لكافة أفراد الأسرة.

إضافة إلى توفير العملية التعليمية المتقدمة، والتي تُقدم للأطفال وبقية الفئات العمرية بشكل مجاني من عمر ثلاث سنوات في المدارس، لذلك فإن القطاعين الصحي والتعليمي في فرنسا «التي وصل إليها مؤخرا» أكثر مرونة من بقية الدول في تلك المجالات.

أما من ناحية العمل، ففي أوروبا، لديك إمكانية للبحث عن العمل الذي يحقق الأحلام والطموحات، وهنا – أي في فرنسا، اللاجئ السوري غير مضطر للقبول بأي عمل مجحف بحقه، حيث أن الحكومة الفرنسية تقدم «تعويض بطالة» لأي شخص لا يملك عملا، لذلك تبقى

في اليوم العالمي للاجئين

أحيت مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين اليوم العالمي للاجئين الذي يصادف 20 حزيران/يونيو من كل عام برسالة عنوانها «كل عمل يترك أثرا» في وقت تعصف بها فيه تحديات أفرزتها أزمة فيروس كورونا المستجد وموجات النازحين بأعداد رهيبة بسبب الحروب وتطرف الأحوال المناخية.

واليوم العالمي للاجئين هو مناسبة يحتفي بها العالم في العشرين من حزيران/يونيو من كل عام، وتخصصه مفوضية اللاجئين للتعريف بقضية اللاجئين، وتسلط الضوء على معاناتهم واحتياجاتهم، وتبحث سبل الدعم والمساعدة في ظل تزايد الأزمات وأعداد اللاجئين.

وتوضح اتفاقية عام 1951 الخاصة بوضع اللاجئين، والتي أدت إلى إنشاء المفوضية، أن اللاجئ هو كل من وجد «بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية، خارج البلاد التي يحمل جنسيتها، ولا يستطيع أو لا يرغب في حماية ذلك البلد بسبب هذا الخوف.»

وحسب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإن سوريا هي الخزان الأول للاجئين حول العالم، حيث شرد نحو 43 في المئة من سكانها، وأجبروا على ترك منازلهم، وقد وصل عدد الفارين من سوريا إلى 3.88 مليون، بنهاية 2014، أما عدد النازحين داخل البلاد فبلغ نحو 7.6 مليون.

وأكثر من خمسة ملايين لجأوا إلى الدول المجاورة التي تستضيف حوالي 41 في المئة من عدد اللاجئين السوريين المنتشرين في العالم، ومنها تركيا (3.4 ملايين) ولبنان (مليون) والأردن (660 ألفا) والعراق (250 ألف لاجئ).

ويعيش في أوروبا حوالي مليون سوري كلاجئين أو طالبي لجوء.

قرابة 3.4 مليون لاجئ، وتشير دراسات متقاطعة إلى نزوح قرابة 14 مليون سوري من مدنهم وقراهم منذ عام 2011 وهو ما يشكل نسبة 60 في المئة من إجمالي عدد السكان في سوريا.

المأساة تتعاظم

منذ إنقلاب حزب البعث على الحكم في سوريا، والإنسان السوري أما مهجر أو معتقل أو مفقود، وكل ما ذكر يعد انتهاكا لحقوق الإنسان في حقه بالعيش الكريم ضمن حدود وطنه.

ما بعد الثورة على النظام السوري في آذار/مارس 2011 بدأت تتعاظم مأساة السوريين، حسب ما قاله السياسي السوري درويش خليفة، معللا ذلك بطبيعة وسياسة النظام، وبدأ السوريون يستشعرون مدى حجم إجرامه وقبضته الحديدية التي مارسها في الماضي على مناهضيه في حماة وحلب وجسر الشغور.

ولكن ما أفقد السوريين صوابهم، ما بعد ثورة 2011 يكمن في تجاهل المجتمع الدولي معاناتهم وهم يشاهدون استفحال إجرام النظام القابض على حكم البلاد، حتى رأى العالم بمختلف تقنيات التصوير، طائراته ومدفعيته وهي تدك المدن والبلدات المناهضة للأسد، فتدمر المنازل فوق قاطنيها، من دون تحريك ساكن، رغم استخدامه كافة الأسلحة المحرمة من العشوائية إلى الغازات السامة والكيميائية.

منع اللجوء

لكن المستغرب بالنسبة للسوريين، وفق ما يقوله خليفة لـ «القدس العربي» هو تحرك الدول بوضعهم استراتيجيات أمنية واقتصادية في سبيل منع وصولهم لهذه الدول، إن كانت دولا عربية أو حتى غربية «دول اليورو».

ومع اشتداد المعارك في الربع الأخير من 2012 حتى نهاية 2016 قبل أن تغلق تركيا حدودها الجنوبية، أصبح خروج السوري من حدود بلده غاية في الصعوبة، وبات يدفع كل ما يملك حتى يخرج من جحيم العيش في بلد تحكمه «فئة مجرمة» همها سلب المواطن ممتلكاته وأحيانا اغتصاب أبنائهم وهذا ما سمعناه مرارا ما بعد سيطرة النظام على حلب الشرقية في كانون الأول/ديسمبر 2016.

وفي الحقيقة تحملت دول الجوار العدد الأكبر من السوريين حيث يوجد في تركيا ما يقارب 3.5 مليون سوري يعيشون بمسميات قانونية متعددة أغلبهم يحمل «بطاقة الحماية المؤقتة–كملبك» ويتقاضون من خلالها 120 ليرة تركية تقارب 20 دولارا للشخص الواحد.

أما من يحمل الإقامة السياحية فمطلوب منهم تجديدها كل عام وفي العام الأخير بدأت السلطات التركية بمنحهم الإقامة السياحية كل عامين «وهي تعتمد على الحظ».

معاهدة جنيف

تعد تركيا من البلدان الموقعة على معاهدة جنيف الخاصة بوضع اللاجئين لعام 1951 وبروتوكولها لعام 1967. والمعاهدة هي الوثيقة الدولية الرئيسية التي تُعرّف من يكون اللاجئ، وما حقوقه/ها، وما واجبات الدولة المستقبلة للاجئين.

إذ تتميز سياسة اللجوء التركية بخضوعها للتقييدات الجغرافية لمعاهدة جنيف، كانت تركيا أصلا قد قبلت بالمعاهدة مشروطة بقيدين، زمني وجغرافي: تمنح مكانة اللاجئ فقط للأشخاص الذي صاروا لاجئين نتيجة أوضاع حدثت في أوروبا وقبل 1951 حصرا. ومع تبني بروتوكول 1967 رفع القيد الزمني، وبقي القيد الجغرافي (فقط من أوروبا) أي القادمين من حدودها الجنوبية لا تشملهم سياستها تجاه اللاجئين. وبالتالي ليست ملزمة بمنح السوريين حق اللجوء.

معاناة في دول الجوار

في الأردن يواجه السوريون من وجهة نظر خليفة، مصاعب قانونية عدة أبرزها تسجيل الولادات وعقود الزواج والأوراق الثبوتية. والأعداد هناك مقارنة بعدد سكان الأردن تعتبر مرتفعة جدا إذ يوجد 1.3 مليون سوري، وهم موزعون بين مدن المملكة الهاشمية وفي مخيم الزعتري الشهير بعدد قاطنيه.

أما في لبنان، فالسوريون هناك باتوا ورقة تتقاذفها القوى السياسية للهروب من مشاكلهم الداخلية لا سيما مع تدهور الاقتصاد وحصولهم على حصة من عقوبات قانون قيصر مؤخرا، بسبب سياسات حزب الله خارج حدود لبنان.

والمعاناة تزداد سوءا، بسبب ارتباط الاقتصاد اللبناني بالاقتصاد السوري المنهك جراء فاتورة الحرب وشلل الحركة التجارية.

وفي نهاية المطاف الأكثر حسدا من السوريين من أقرانه اللاجئين تتمثل في من يصلون القارة العجوز حيث قوانين اللجوء واضحة ومحددة مسبقا مع معيشة توازي معيشة المواطن، وحتى يحق لمن ذهب بمفرده أن يلم شمل عائلته حسب قانون كل دولة والمدة المخصصة لذلك.

وما تعلمه المنفيون السوريون من التجربة، أن اللاجئ ورقة سياسية مهمة توضع على الطاولة حين الطلب وهذا ما يخالف القوانين والتشريعات الدولية ولكن.

برنامج الأغذية العالمي: تفاقم عوز اللاجئين السوريين

حذّر برنامج الاغذية العالمي التابع للأمم المتحدة يوم الثلاثاء الماضي، من عواقب الفيروس التاجي الجديد الاجتماعية والاقتصادية، حيث دفع مئات الآلاف من اللاجئين السوريين في منطقة الشرق الأوسط إلى براثن الفقر المدقع.

وقالت إليزابيث بيرز، المتحدثة باسم البرنامج خلال مؤتمر صحافي في جنيف، إن «جائحة كوفيد–19 والكساد الاقتصادي الناتج عنها فاقما وضع مئات الآلاف من اللاجئين السوريين في المنطقة».

وأضافت أنه «حتى قبل الجائحة، كانت معظم أسر اللاجئين تعيش في فقر مدقع» مشيرة إلى أن عدد اللاجئين الضعفاء الذين يفتقرون إلى الموارد الأساسية للبقاء في المنفى «زاد بشكل كبير بسبب الطوارئ الصحية».

وبحسب البرنامج الأممي الذي يتخذ من روما مقراً له، فإن فقدان الدخل دفع عائلات اللاجئين إلى «حافة الهاوية». وقالت بيرز: «كثيرون غير قادرين على دفع إيجارهم ويضطرون إلى اقتراض المزيد من المال وخفض استهلاكهم من الغذاء والدواء».

وقد تسببت الحرب في سوريا في أكبر أزمة لاجئين في العالم. وأدت تسع سنوات من الصراع إلى تشريد الملايين من الأشخاص داخل البلاد كما دفعت بقسم كبير إلى البلدان المجاورة. وتستضيف تركيا ولبنان والأردن والعراق ومصر أكثر من 5.5 مليون سوري، وهي أكبر مجموعة من اللاجئين في العالم.

وفي لبنان، على سبيل المثال، ارتفعت تكلفة بعض المواد الغذائية الأساسية بنسبة 56 في المئة بين تشرين الأول/أكتوبر 2019 ونيسان/أبريل 2020.

كتب

فرانسواز ساغان في «ضحك لا يُكسر»: مخاطبات وأحاديث وأسرار

هاشم شفيق

عرف الأدب العالمي الكثير من الأنساق والمسالك والاجتهادات في اجتراح الجديد والمختلف والمغاير، ليضيفه إلى عالم الأدب والفن عامة، مثل الشعر والرواية والقصة والمسرحية والرسم والنحت وغيرها من الآداب الإضافية، وليلحق به كالمذكرات الشخصية، والسِّيَر الذاتية، والمخاطبات والرسائل.

وفنون التعبير المماثلة، تلك التي تتعلق بالبوح والمكاشفة والاستكناه، مما يؤدي إلى توسيع ميدان الأدب وفتح الآفاق الواسعة أمامه، لكي يتجدّد ويُضيف، ويبتكر، ويجترح الرؤى والمعاني المضافة إليه. ففن الخطاب الافتراضي، وكتابة الرسائل المفترضة، أو كتابة البيوغرافيا المفترضة، هي عوامل أدبية أخرى تساعد القارئ على فهم وإدراك ومعرفة الأديب والشاعر والروائي والكاتب الراحل، وبالأخص إذا جاء العمل من أديب وكاتب متمرّس وله شأن وعلو في عالم الكتابة، كما هو حاصل في الكتاب الذي بين أيدينا، للروائية والقاصة الفرنسية المحدثة فرانسواز ساغان، بترجمة من عباس المفرجي.

لعل بعض القراء والكتاب الباحثين والجادين، قد سبق له واطلع على بعض كتابات فرانسواز ساغان، ككتابها الذي تُرجم في مطلع السبعينيات إلى العربية «صباح الخير أيها الحزن»، وبعض الروايات وهي في أوج شهرتها، ولكن حبل الوصل قد انقطع معها، لأسباب عدة تعود أغلبها لفرانسواز ساغان نفسها، بعد دخولها في عالم الممنوعات والشرود إلى عالم آخر، عالم التحليق والابتعاد عن الواقع المعيش، وعيش عزلتها بطريقتها التي تبغي وتريد.

كتبت فرانسواز ساغان كتابها «ضحك لا يُكسر» عن سيدة عاشت قبلها بأكثر من قرن، هي سارة برنار، التي ولدت عام 1844 في عائلة تتكون من أخواتها وخالاتها، والدها مجهول، ولكنه كان يساعدها ويرعاها ماليا، دون أن تراه وتتعرّف إليه، والدتها وخالتها كانتا بائعتي هوى، والبنات لكأنهنّ تربّين وسط ماخور، ولكن دون أن يسقطن في عالم الأم والخالة، بعضهنّ واصل دراسته، والبعض الآخر انقطع وعاش حياة أخرى.

سارة برنار درستْ في دير للراهبات، كانت الأقوى بين الأخوات، والأجمل والأكثر بنية من ناحية التكوين الجسدي، مشدودة، قوية، متحدية، ومندفعة وذكية، هوَت المسرح وهي صغيرة، فاخترقته بكل قواها، ووثبة جسدها الأخاذ والشهي، جميلة وطويلة، وذهبية الجسد والشعر، بعينين لعوبتين وجسد مغوٍ، لطالما أغوت به الرجال، كانت امرأة مثالية ونادرة وجبارة، تعشق الرجال الوسيمين، وتستقطبهم في حبائلها، وِدهائها، ومكرها، والاعيبها المغوية والمسرحية، اخترقت الفن المسرحي فتوجّهت الأنظار إليها، لم يكن سهلاً الاختراق آنذاك، بل بدأب وصبر وتضحيات روويّة، جوبهت بالرفض في البداية، ولكنها أثبتت مكانتها، وموقفها، عبر موهبتها الكبرى، وعزيمتها التي لا تتراجع أو تلين، حتى علا نجمها، وصعد مخترقا الأجواء، والفضاءات لتكون هي المسرح كله، وهي النجمة اللامعة، الوحيدة، والمنافسة الشرسة، المثابرة والقوية والعنيدة، تتحدى الرجال والنساء، من أجل أن يكون المجد حليفها، والإخ المساند لها. لقد تذوقت الشهرة والعلو والسطوع، وهي شابة في العشرين، صاعدة كالصاروخ في سماء باريس، ثم فرنسا والعالم كله، لقد خطب ودّها الملوك والقادة والأمراء والرؤساء والأغنياء والسادة الأرستقراطيون، وهي الفتاة القادمة من القاع، والتي كانت تحوم حول تاريخها وشأنها الحياتي الشبهات وانحراف السمعة.

من هنا عرفت فرانسواز ساغان من تختار، اختارت النجمة اللامعة التي ألهبت المسارح بحضورها، وأحرقت أفئدة العشاق والمُحبّين، وداست وهي تسير، على كبرياء الرجال المخادعين، والنساء اللواتي كن يحاولن المساس بها، عبر الدسيسة والخداع والتآمر والحسد، ولكنها كانت غير آبهة بكل ما كان يجري، ويحاك ضدها من دسائس ومؤامرات ومصائب، هي كانت الأقوى والأجمح والأغوى، تنطلق كفرس سريعة، لا تستطيع أن تنالها السهام الكثيرة، تلك التي كانت تُمطرها بها الصحافة والمجلات والكتابات الطاعنة.

كتبت ساغان خطاباتها للنجمة المسرحية الأولى، تلك التي كان ظهورها قبل ظهور هوليوود بنصف قرن، مسيرتها الأخاذة صنعت الآلاف من المُحبين، والمُريدين والمتمثلين خطوها، في كل من فرنسا وبريطانيا وأمريكا وبلدان أوروبا الشرقية، حيث العالم كله أحب هذه الفتاة المغامرة، والمتحدّية والتي لاحقتها الشهرة باكراً، ولقد تولّه بها العشرات من الكتاب والفنانين، وقد «الهمت الكسندر دوما في غادة الكاميليا، وأوسكار وايلد في سالومي. كانت الوجه الذي مثل الفن الحديث، متألقاً في عشرات البوسترات التي رسمها الفونس موشا، في شبابها، احتضنها مجتمع التو - باري بعد أن نجحتْ في المسرح، كما في السينما، فيما بعد شُغف بها هوغو، دوما الأب والابن، وايله، كوكتو، وخلدها بروست في شخصية بيرما في «البحث عن الزمن المفقود»، كانت الممثلة الوحيدة التي نجحت في أداء أوفليا وهاملت على حد سواء».

حين تكتب صاحبة «صباح الخير أيها الحزن» فرانسواز ساغان عن سارة برنار، وتخاطبها عبر مراسلات، هي هنا تكتب عن نفسها، عن أوجه الشبه بينها وبين برنار الثائرة، والمخترقة للحدود والتخوم، والنجمة المثالية البارعة، فساغان هي من الجبلّة ذاتها، من التركيبة الجمالية، والنفسية والفنية ذاتها، هي ايضاً تخطت المواضعات المعهودة، والتنميطات السائدة، وعبرت السائد بقلقها القصصي والروائي، ورسمت لنفسها صورة لا تُمحى، من ذاكرة الستينيات والسبعينيات، فترة صعودها البارق كالنجم، هي هنا تستدرج البوح بسيرتها وذكرياتها وماضيها وأيامها ولحظات حزنها وفرحها، لغرض الإتيان بالبراعة المختلفة والجديدة، ومن هنا اختارت برنار، فهي الأقرب إليها حسّياً، وساكولوجياً، وفيزيقياً، وفنياً، الأقرب إلى خصال التحدّي والتجاوز وتخطي المراسم الاجتماعية والأنطولوجية، لتقول وتأتي بما لم يقل، أو لم يؤت به في السابق. سارة برنار هي مرآة لساغان التي رأت فيها صورتها، وهي صبية طالعة في عالم الأدب المليء بالذكور، المبدعين، والنرجسيين، والمتشامخين، والذين كانوا يعدون أنفسهم الفاتحين في عالم الأدب، فجاءت فرانسواز ساغان الفتاة الناعمة والرقيقة، لتتسلق السور الطويل من الكلمات التي كتبتْ قبلها، وتقول ما لديها، لكي تتميز، وتكون مختلفة بين جموع من الكتاب غير المتشابهين.ذلك أنّ خطابات فرانسواز ساغان هي إيقاظ للفيمنيست عالي القيمة، فهذها ورؤيتها، يتناغمان مع رؤى وأفكار سارة برنار، سيدة عصرها من دون منازع، لذا باحت لها، وخاطبتها، ولكأننا بها تكتب سيرة جديدة لبرنار التي أذهلت عصرها، بشخصيتها الفنية الفذة.

كتبت لها ساغان قائلة في أول وقفة لها على المسرح، وهي في سن الخامسة عشرة: «بلا ريب كنت مدهوشة قليلاً باكتشاف المسرح، على الأقل بروايتك كيف فعلت ذلك، كنت أتوقع الابتهاج بمثل هذه الصدمة الساحقة، فأتعقد أن هذا مدهش تماماً أنك تحاشيت شطحات الخيال في رواياتها، واقتصرت على ما جرى حقاً، إلى حد جعلتها عادية، أن فاجأ هذا قراءك، فإنه في أفضل معنى للكلمة حسب تقديري».

فتجيبها برنار: «في اليوم التالي لم أفعل شيئاً البتة، بقيت مكتئبة في فراشي، تاركة نفسي مجتاحة بذكريات أمسيتي في المسرح، أزينها وأوشحها لأن الأمر يحدث على الفور كما تعرفين. بالمناسبة لو تأملت في الأمر، لو تفكرت في صعقات الحب التي كانت لك في حياتك، كما أمل ذلك، أيّ ذكريات تحتفظين عنها، انطباع عن شمس، عن مشهد طبيعي فسيح، عن مجد مفاجئ، عن سماء ملأى بالنجوم، عن موسيقى سماوية».

كان لسارة برنار صوت ساحر في الأداء المسرحي، صوت يغني ويؤدي ويتفنّن مسرحياً على الخشبة «لديّ صوت مدهش، ومهيب.. أستطيع بلوغ أوكتافين، استطيع الانتقال من الجهير إلى الحاد، من غير جهد، وأستخدمه على أحسن وجه، وأنا أستخدمه في الحال غريزياً، وأنزلق فيه من طبقة إلى أخرى، وهو ما لم يفعله أحد في ذلك العصر».

وفي رسالة مرسلة من ساغان وهي بالطبع افتراضية، من متيّمة شغوفة، مطلعة على كل ما مرّ بحياة سارة برنار، وكل ما كتب عنها من سيّر وكتب أدبية وفنية ومذكرات، ساغان تكتب، وتستغور، وتبحث في الطوايا المجهولة من سيرة حياتها وبرنار تجيب «عملت بعزم على التراجيديا والكوميديا، اكتشفت راسين، اكتشفت الأدب، وحيث أن قراءاتي في الدير لم تكن واسعة صرت أكنّ حباً كبيراً لعذّة كتاب لم أتم بعد قراءتهم كلهم، حيث تفصلني عنهم الآن، وا حسراته كل هذه التربة.. أحب الكتاب، أحب الاحتفاظ به في يدي ... بسرعة كنت حدست بالغريزة كيف يجب أن يكون فن المسرح، لكن الأداء تعلمته ببطء أكثر بكثير، بين الاستجابة لرغبات البعض، وإشباع حاجات الآخرين... في الأيام التي تلت، عشت في جوّ من التهاني والمدائح أفعمني بالنشوة، كنت غير متعوّدة على ذلك، كنت حتى ذلك الحين عبئاً، صرتُ أملاً».

هنا نرى الروائية فرانسواز ساغان، عبر هذه الخطابات المدروسة، والباحثة والدقيقة لحياة الممثلة الموهوبة سارة برنار، التي هزت العالم بشخصيتها المسرحية وبأدوارها المثيرة، تكتب سيرتها وسيرة برنار، فهي هنا تجمع سيرتين في سيرة واحدة، سيرة تلك المرأة التي شغلت الصحافة في تمثيلها، وأسفارها، وعشاقها، ورحلاتها حول العالم، وسيرتها الأدبية هي، ناقلة لنا هذا الاتساق الجمالي، والفني والتعبيري المتماهي مع حياة وتجربة الفنانة سارة برنار، ذائعة الشهرة، في عالم المسرح والسينما والأدب والصحافة.

فرانسواز ساغان:
«ضحك لا يُكسر»
ترجمة عباس المفرجي
دار المدى، بيروت 2018
204 صفحة.

توماس ويبر في «آخر أمريكي في دمشق»: كاتب يربط مصيره بسوريا رغم الأزمات والصعوبات

سمير ناصيف

ماذا يعني أن يؤلف شخص أمريكي عاش وعمل لأكثر من 44 عاماً من حياته في دمشق ومدن عربية أخرى كتاباً بعنوان: «آخر أمريكي في دمشق» ويورد سيرته الشخصية في تلك المرحلة الطويلة من حياته مؤكداً ارتباطه بسورياً وفلسطين معنوياً وإنسانياً؟ قد يعني هذا الأمر كثيرا ولكن من الخطأ الاعتبار أن جميع الأمريكيين يكرهون العرب ويختارون فقط المواقف السلبية ضدهم ولا يكترثون لقضاياها المحقة بعدما يعيشون في هذه المنطقة ويتفاعلون مع شعوبها. وهذا ينطبق على حاملي جنسيات أوروبية وعالمية وعلى آخرين يعقدون سياسات ومواقف «ناعمة» لتقريب وجهات النظر بين بلدانهم وبلدان الشرق الأوسط والعالم العربي. كتاب ويبر الذي يفتخر ريتشارد ميرفي، سفير أمريكا السابق في سوريا، بأن يوضع أسمه على غلافه، يلخص حقيقة وجود عدد من كبار المسؤولين السابقين في الإدارة الأمريكية (قبل أن يهيمن عليها بكثافة الصهاينة وحلفاؤهم) رغبوا وما زالوا باستمرار علاقات إنسانية طبيعية بين إدارة الولايات المتحدة الأمريكية وشعبها مع الشعوب والأنظمة العربية، ويتحفظون إزاء حصر علاقة أمريكا بالشرق الأوسط في التأييد للجهات المتطرفة في إسرائيل ولمشاريعها التوسعية.

توماس ويبر كان شخصاً أمريكياً عادياً يبحث عن عمل مثمر له بعدما واجه صعوبات عائلية ومادية في أمريكا، ووجد ضالته في عرض عمل قُدّم له للتعليم في مدرسة الجالية الأمريكية في دمشق. وهناك تعرّف إلى زوجته الحالية الفلسطينية - السورية سلمى التي يفضل ألا يذكر هوية عائلتها. ولكنه يشعر (حسب ما قال) بالامتنان الكبير لما قدّمته وقدّمه إليه والدها وأخوتها من حب ودعم ما سهّل حياته في سوريا ودول عربية أخرى، وما قدمته هي من إخلاص خلال تنقله العملي طوال العقود الماضية وحتى الساعة.

عندما نقرأ الفصول الأولى من الكتاب، عن مرحلة قبل زواجه بسلمى (وكأي أجنبي يزور سوريا للمرة الأولى ولا يعرف الكثير عن العالم العربي) شعر بأنه كان يمتلك مشاعر عنصرية إلى حد ما، تجاه العرب. ولكن الفصول الأخيرة تؤكد عكس ذلك بعدما احتك بالفعل، شخصياً وعائلياً واجتماعياً، بإخلاص ونُبل الشعوب العربية بالمقارنة مع شعوب أخرى تتحفظ إزاء الغرباء.

واجه ويبر في حياته في دمشق اختبارات صعبة بينها ملاحقته (كما ورد في الفصل 7) بواسطة سيارة كان يستقلها مسؤول سوري كبير وحراسه (عام 1977) فقط لكونه حدّق باتجاه تلك السيارة مما اضطره إلى الهرب باتجاه السفارة الأمريكية في دمشق التي كان سفيرها آنذاك ريتشارد ميرفي حيث تأمنت له الحماية (ص 139 - 141).

وبعد هذا الاختبار الموجع، قرر الانتقال للعمل في إيران (كانت آنذاك ما زالت بقيادة شاه ايران) للعمل في حقل التدريس الثانوي في مادة العلوم الأقرب إلى اختصاصاته في مدرسة خاصة. ولكن من سوء حظه، تطورت الأحداث في إيران سلبياً (بالنسبة إليه) خلال انتقال السلطة من الشاه إلى الثورة الإيرانية، واضطر إلى العودة إلى دمشق بسبب تصاعد المواجهات الأمنية في البلد. وقادته الصدف للانتقال من التعليم إلى العمل مع شركات نفط أمريكية تعمل في سوريا أبرزها (ماراثون اويل). وبعد ذلك عمل مع عائلة زوجته في حقل تطوير وتسويق تربية الأزهار.

ولكن الأمر الذي دفعه إلى الانتقال من سوريا إلى دول الخليج العربي كان (بشكل أساسي) وفاة والد زوجته، الذي احتضنه عائلياً ومادياً في سوريا، وطموحه إلى المزيد من الاختبارات والعمل المثمر. وبعد انتقاله لسنتين صعبتين في الولايات المتحدة (عام 1981 - 1983) وفشله في عمليات تصدير من أمريكا إلى سوريا عبر لبنان (عام 1982) بسبب غزو شارون للعاصمة اللبنانية، انتقل إلى العمل في السعودية حيث نشط في التعليم والتجارة لأكثر من عشرين عاماً وتنقل بين 22 قطاعاً من قطاعات العمل. ولكنه قرر ترك السعودية بعد انطلاق العمليات التفجيرية في جدة عام 2004 وأهمها الهجوم على القنصلية الأمريكية الذي ذهب ضحيته خمسة موظفين في القنصلية، وجُرح وقتل آخرون. السبب الرئيسي لتركه جدة أنه شعر بأن منفذي العمليات التفجيرية هناك قرروا استهداف المواطنين الأمريكيين. وبعد ذلك، قرر الانتقال إلى قطر حيث وظفته واحتضنته عائلة آل الجيّدة التي كان يشرف على أعمالها خمسة أخوة دعموه خلال السنوات الخمس التي قضاها في قطر (وبعد ذلك) وحتى بعد تقاعده واحتياجه إلى العناية الطبية الغالية الثمن لدى إصابته بسرطان البروستات، حيث دعمَ علاجه الشيخ أحمد قاسم درويش، زوج أخت عبد اللطيف الجيدة، أحد الأخوة الخمسة الذين فتحوا أمامه مجالات العمل والحياة في قطر. ولدى عمله في جدة عملت زوجته سلمى في القنصلية الأمريكية في تلك المدينة. كما استمرت روابط الزوجين بسفارة أمريكا في قطر بعد انتقالهما إلى الدوحة حيث عمل ويبر بين عامي 2005 و2010. وكان مرتاحاً جداً في حياته العائلية والعملية هناك (حسب قوله) وشعر بأنه قدّم مساهمة (ولو متواضعة ومحدودة نسبياً) لنمو قطر (ص 241).

لدى انتهاء عمله في قطر عاد إلى دمشق. وفي الفصل 13 وما تلاه، يصف ويبر بألم وإنسانية غير منحازة إلى جهة ضد أخرى ما شاهده وما شعرَ به خلال الانتفاضة السورية التي انتقلت وتطورت بين عامي 2011 و2019.

ويؤكد أنه تنقّل من منطقة سورية إلى أخرى خلال تلك الفترة محاولاً شراء أرض زراعية لإطلاق مشروع زراعي - صناعي لإنتاج النبيذ. ولكن كلما أنطلق من منطقة إلى أخرى كانت الأوضاع تسوء. وحاول عدم الاستسلام وانتقل إلى شركة «عرق البزان» لإنتاج العَرَق، ولكن الحرب أفشلت هذا الخيار. وبعد ذلك، عُرض عليه المشاركة في مشروع للاتصالات السلكية واللاسلكية في عمان (الأردن) الذي كان يُدار من دبي (الإمارات).

ويعبّر ويبر عن آراء وملاحظات عن الانتفاضة السورية معتبراً أن دخول روسيا على خطها عام 2015 هو الذي رجح كفة النظام (ص 259).

بيد أن القارئ يشعر بأن أحاسيس ومشاعر وخيارات ويبر كانت وما زالت إلى جانب الشعب السوري. فهو يتأسف لكون انتفاضة درعا الشبابية السلمية تم اختراقها وتحويلها إلى مشروع سياسي هيمن عليه عنف السلطة وخصومها (ص 261). كما يشير إلى صعوبة حياته العائلية في دمشق في السنوات الأولى للانتفاضة السورية حيث كانت التفجيرات كثيفة في العاصمة وهيمن القصف العشوائي على المدينة وخصوصاً في الأماكن التي كان يقطنها.

وبالنسبة إلى الذين هاجروا من سوريا لا يتوقع ويبر أن يعودوا، ولكنه هو شخصياً كان وما زال متمسكاً بعيشه في دمشق. ويؤكد أن الشعب السوري عموماً صلب المراس، لا يستسلم بسهولة، ووقف ويقف بقوة ضد أي جهة حاولت وتحاول أن تسلبه وطنه. أما عن أقرب المقربين إليه (كما يذكر في الفصل السابع عشر والأخير من الكتاب) فكانت زوجته سلمى والشيخ القطري أحمد قاسم درويش الذي رافقه يومياً في مرضه الخطير وأتاح له الحياة مع أنه كان يخسرها بصمت يومياً (توفي لاحقاً). وفي الخلاصة، قد يكون من المفيد طرح السؤال إذا كانت الأكثرية بين الأشخاص الأمريكيين والأوروبيين والأجانب الآخرين الذين يتزوجون لبنانيات وسوريات وأردنيات وفلسطينيات وعربيات من جنسيات أخرى ويعيشون في العالم العربي لعقود وسنوات طويلة يتعلقون ويهيمون بالمجتمعات التي يعيشون فيها وبحضاراتها أو أن أعداداً أخرى منهم تظل مرتبطة بشكل وثيق ببلدانها الأصلية وحضاراتها؟

وربما يجوز طرح السؤال حول عنوان الكتاب، فهل بالفعل كان توماس ويبر آخر الأمريكيين في دمشق في وقت تُثبتُ التقارير والتغطيات الصحافية عن سوريا وجود أمريكيين آخرين في الساحة السورية في سنوات الانتفاضة وحتى الساعة؟

فأمريكا كان وما زال لها مصالح اقتصادية وسياسية في سوريا ووجود عسكري في بعض المناطق، وخصوصاً المناطق الشمالية الشرقية من البلد.

وفي السنوات الأخيرة لا بد وأن يكون رجال أعمال أمريكيون وأوروبيون زاروا سوريا وقضوا فيها أوقاتاً، بالإضافة إلى صحافيين أو أشخاص قاموا بمهمات خاصة في شتى المجالات.

ما يلفت الانتباه لدى قراءة هذا الكتاب هي شجاعة الكاتب ويبر في زيارته لمناطق متعددة من سوريا ولبنان والأردن والسعودية في أوقات كانت الأوضاع الأمنية فيها ليست في أحسن أحوالها.

ويورد المؤلف تفاصيل مثيرة عن اختباراته في لبنان تؤكد شجاعته وخصوصاً لدى قيامه برحلة بحرية في زورق على الشواطئ اللبنانية (خلال الحرب الأهلية) لمساعدة ثلاث فتيات عاملات في مدرسة الجالية الأمريكية في رأس بيروت على الخروج والانتقال معه إلى سوريا.

ولعل ما قاله الكاتب في الصفحة (128) يلخص موقفه إزاء القضية الفلسطينية بحيث يذكر أنه قرأ كتاب مذكرات إيفان مايسكي، السفير السوفييتي في بريطانيا بين عامي 1932 - و1943 وتأثر بمقطع فيه عن حديث بين مايسكي وحاييم وايتزمان قائد الحركة الصهيونية في بريطانيا جرى في 3 شباط (فبراير) عام 1941. قال وايتزمان لمايسكي فيه أنه يود نقل خمسة ملايين يهودي من بولندا ودول أخرى إلى أراض كان حوالي المليون شخص يحتلونها (يقصد فلسطين) وأضاف ضاحكاً (حسب كتاب مايسكي) قائلاً أن «العربي هو أبن الصحراء ووالدها وخموله وتخلفه حوّلا تلك الحديقة الخصبة إلى صحراء. فاعطونا هذه الأرض وسنطون خمسة ملايين يهودي فيها ونتعش أرضها ونعيدها حديقة خصبة».

وتعبيراً عن مشاعره إزاء ما قرأ، يقول ويبر «حتى تلك الساعة وقبل قراءة هذا الكتاب لم أعتقد بأن أي قائد يهودي يشعر بهذه السلبية والعداء تجاه الشعب الفلسطيني مع أن والد زوجتي أبلغني عن خساراته الكبيرة في فلسطين عندما طُرد وعائلته من يافا عام 1948 وكانت والدة زوجتي في شهر حملها التاسع. واضطرت العائلة إلى التنقل بين دول عربية عدة قبل أن تستقر في سوريا. وواجهت مثل هذا المصير الآلاف من العائلات الفلسطينية» (ص 128).

وبالتالي، يستنتج ويبر بان حبه لسوريا ينبع من حبه لزوجته سلمى وتعاطفه ومحبته لعائلتها ولشعبها وقضيته.

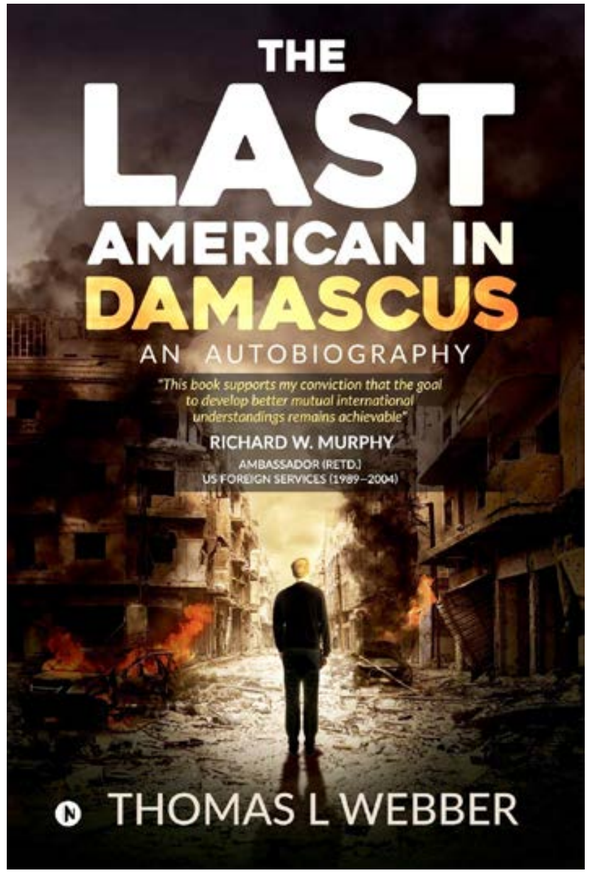

Thamas L. Webber: «The Last American in Damascus»
Notton Press, New York 2020
360 Pages.

فارس مطر: «الفرح المتأخر يغمرني»

فارس مطر شاعر عراقي يقيم في برلين، وأصدر في الشعر مجموعتين: «سنبقى»، و«تمرات في الربذة»؛ وله دراسة نقدية بعنوان «شعرية العشق بين حضور المرأة وغياب المكان الحميم». والمجموعة الجديدة هذه تقوم على قصيدة واحدة طويلة، في قرابة 100 صفحة من القطع المتوسط، موزّعة على قصائد فرعية متوسطة الطول إجمالاً، وتعتمد شكل التفعيلة، والإيقاع المخفف، وتتفادى استخدام القافية. الموضوعات تتراوح بين الحبّ والبوح والتأمّل الفلسفي واسترجاع الذاكرة على خلفية المكان العراقي والبرليني، ولا تتجاهل الهموم الجَمْعية التي تخصّ العيش والوجود والموت؛ مع جرعات عالية تماماً، وشبه دائمة، من سطوة ضمير المتكلّم والتوتر الذاتي الغنائي.

هنا سطور من المجموعة:

«نقرأ للنهر قصائدنا
ونقول احملنا معها
لنعيش الترف المائيّ
فكُنّا قرب ضفاف طفولتنا
لا ندرك صوت المدّ القادمِ
بين الطلقة والوردة
بين حبيبٍ بالكاد يُضاءُ
لتطفأه الحربُ سريعاً
يترك نبضاً في عاشقة
ستغنّي ليلاً
أين ستأخذنا يا دجلة
النار على الأبواب
قصيدتنا ما زالت تحبو
جوز القطن سيحتاج لأغنية
كي يتفتحَ
والراء كطفل في المفردة الأولى
لا أوراق لديك لتعبر خطّ التصفيق
إلى الفشل الأوّل
حيث تركتَ قميصاً كحلياً يحكي
وابتعتَ قصائد حافية للمشي
حملت الخبز على رأسك للطير لتُصلبَ
نبّئني؟
هل متَّ الآن من الشعر نبياً؟
قال سأمضي نحو دمائي
أحمل نعشي في بابلَ
أبحث عن عشتارِ
في برلينَ
وفستانك أزرق
والموكب يمشي في زرقته (...)
أنا للشرق
وللشمس
وتقويمي الشمسي
ولن أترك عاداتي القمرية
لن أترك بغداد
الطرقات تؤدّي لجدائلها
يُثْمُكِ في عُودِ
ومقام
ونخيلٌ يكسرك الآن
أغان تخمش ليلكَ
فاحملْ فانوساً
وحنيناً
وتزوّد بمَواتكَ».

الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان 2020

خلود الزغير: «سورية الدولة والهوية»

خلود الزغيّر شاعرة وباحثة سورية تقيم في باريس، وقد أصدرت ثلاث مجموعات شعرية، ونشرت العديد من المقالات والدراسات حول الوضع السوري ومسائل الخطاب السياسي والهوية ومؤسسة الجيش في سوريا. درست علم الاجتماع في جامعة دمشق، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه من جامعة السوربون الجديدة.

العنوان الفرعي لكتابها الجديد يسير هكذا: «قراءة حول مفاهيم الأمّة والقومية والدولة الوطنية في الوعي السياسي السوري (1946 – 1963)»؛ أي أنه يختصر، على نحو واضح، موضوعات الكتاب المحورية. ومنذ المقدّمة تشير الزغير إلى أنّ الدراسة السوسيولوجية المقارنة لهذه المفاهيم (اعتماداً على أدبيات النخبة السياسية السورية ووثائقها بين 1946 عام الاستقلال، و1963 عام وصول اللجنة العسكرية لحزب البعث إلى السلطة)؛ تتيح إلقاء الضوء على بعض المشكلات الاجتماعية والسياسية التي رافقت نشوء «الكيان السوري»، وساهمت بدورها في صوغ تلك المفاهيم على نحو أو آخر.

فصول الكتاب تتناول موضوعات الهوية السياسية والإشكالية الجغرافية والاجتماعية؛ والتحديات الخارجية للكيان الوطني السوري؛ والمؤسسة السياسية، ثمّ المؤسسات المحلية «التقليدية»؛ وأثر الفكر القومي الغربي في التنظير لمفهوم «الأمّـة»، من منظور الحزب السوري القومي الاجتماعي، وحزب البعث العـربي؛ والـصـلات بـين الوطنية السورية والقومية العربية؛ وصولاً إلى العلاقة بين الأمّة وكلٍّ من اللغة، والتاريخ، والاقتصاد، والطبقة، والدين (مباحث «الإسلام عقيدة الأمّة وعامل وحدتها»، العروبة والإسلام، وفصل الدين عن الدولة...). وأحسنت المؤلفة صنعاً حين أدرجت في ختام الكتاب ثبتاً غنياً بالمراجع العربية والأجنبية، وفهرساً عاماً.

والعمل جهد متميز ومعمّق في مسائل قد تبدو للوهلة الأولى وكأنها أُشبعت قراءة وتحليلاً في عشرات الأعمال السابقة، لولا أنّ الزغير استقرت على خيار شاقّ وبالغ الحيوية هو المزج البارع بين المنهج التحليلي المقارن ومناهج تفكيك الخطاب وإعادة تشريح المضامين المسلّم بها أو المتفق عموماً على خلاصاتها. وهكذا أغنت حقل الدراسات السورية حول مفاهيم الأمّة والقومية والدولة الوطنية، بصفة إجمالية؛ وهذه المفاهيم كما تفاعلت، أو شهدت التفاعل، بصدد مسائل اجتماعية وسياسية ملموسة خلال العقود الأولى التي أعقبت استقلال سوريا، بصفة خاصة.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2020

«Huzama Habayeb: «Velvet

Translated by Kay Heikkinen

هذه هي الترجمة الإنكليزية، التي أنجزتها كاي هيكينين، لرواية القاصة والروائية الفلسطينية حزامة حبايب، التي صدرت في الأصل العربي تحت عنوان «مخمل»، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، سنة 2016. وسبق للمؤلفة أن كتبت «أصل الهوى» و«قبل أن تنام الملكة»، في الرواية؛ ولها في القصة القصيرة «الرجل الذي يتكرر»، «التفاحات البعيدة»، «شكل للغياب»، و«ليل أحلى»؛ فضلاً عن نصوص شعرية بعنوان «استجداء».

وفي هذه الرواية أيضاً، أسوة بمعظم أعمالها السابقة، تحرص حبايب على كسر المألوف في مستويات شتى، تبدأ من تقنيات السرد وطرائق بناء الشخصية وتفكيك الحدث، ولا تنتهي عند مقاربة المحرّم السياسي والنفسي والجنسي والتاريخي، في محيط مخيّم فلسطيني لا يُلتقط على أيّ نحو معتاد أو مسالم أو مهادن، وعبر شخصية حوّا المرأة الفلسطينية التي تحمل أثقال الرموز وخشونة المصائر والأمدية القصوى للوجود الإنساني الفلسطيني. ولم يكن بغير أسباب وجيهة أنّ «مخمل» فازت، في سنة 2017، بجائزة نجيب محفوظ التي تقدمها الجامعة الأمريكية في القاهرة.

هنا فقرات من ختام الرواية:

«صدح موبايله على الطرابيزة بموسيقى «يـا أنـا يـا أنـا أنـا ويـاك صرنا القصص الغريبة». تواصلت الرنة الموسيقية أربع مرات قبل أن تتوقف. لم يلتفت منير إلى الموبايل لمعرفة هوية المتصل. أعلنت ليلى استسلامها. قالت له إنها لا تستطيع أن تترك بيتها وعيالها وتأتي عنده كل يوم، وأنه قد يكون من الأفضل أن تأخذ ناجي عندها. حين سمع ناجي اسمه، هرع ناحية أبيه ورمى رأسه على نصف رجله. فرد منير كفّه فوق رأس صغيره، دون أن يبعد بصره عن الطريق، فيما تخضبت لحيته البيضاء الشعثاء بدموعه التي جرت حثيثاً.

كان الوقت عصراً حين دهمت السماءَ خُمرةٌ، أدمـى معها الفضاء. عزفت في الأرجـاء ريـاحٌ محمّلة بالرمال والحجارة الصغيرة، سرعان ما تحولت إلى زوبعة اتسع قطرها لتشمل سماء المخيم، فتمددت واستطالت وعرضت؛ تشرّت واستشرت؛ وتدسّمت بتراب الأزقة، كما تعززت بأشلاء أوراق وأكياس.

أحكمت ليلى إغـلاق النوافذ، فتصاعد هسيس الرمال، وضربت الرياح المهمجية أذرعها الهوجاء في كل الاتجاهات. تراكض الناس في الطرقات، يحاولون أن يغطوا وجوههم من صفع الرمل. ارتفعت عيونهم إلى السماء المدماة، يمنّون الأنفس المرمّلة بمطر زاعـق، جـارف، داهـم؛ طوفان عظيم يُغرق الكون».

2019 Hoopoe, New York

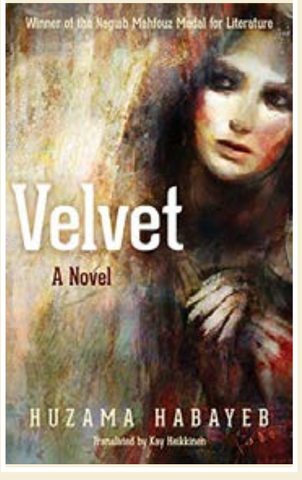

رأي

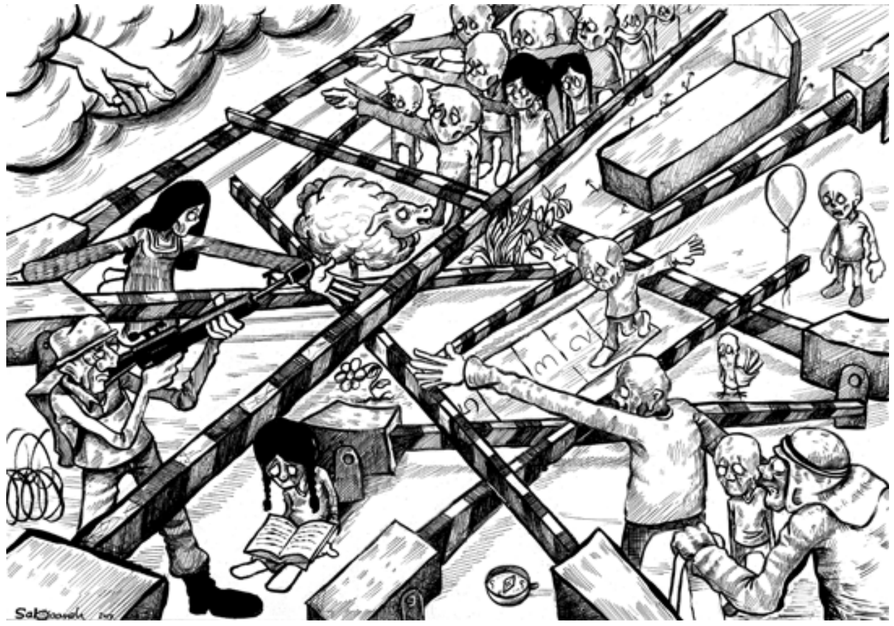

كاريكاتير: محمد سباعنة

أمير تاج السر

رحيل كارلوس زافون

منذ أيام قليلة، رحل الكاتب الإسباني الشهير كارلوس رويس زافون، بعد سنوات من المجد الكتابي، والتربع على قوائم الأكثر مبيعا، في كل لغة ترجمت إليها أعماله، خاصة روايته الأولى «ظل الريح»، التي تقدر مبيعاتها بملايين النسخ. وأذكر أنني كنت مرة في إيطاليا، وعرجت على مكتبة ضخمة، في وسط المدينة، نوعا من الفضول أو جلب المتعة في رؤية الكتب وأغلفتها، وتقليبها، حتى لو كنت لا أعرف اللغة الإيطالية، لكني لم أستطع الدخول بسبب الزحام الكبير، كانوا في الحقيقة قراء إيطاليين يتزاحمون لشراء النسخة الإيطالية من رواية «ظل الريح».

زافون رحل بعد معاناة مع المرض، وكان رحيله مبكرا جدا، وقد كتب أعمالا قليلة ناجحة على المستوى القرائي، وكان يمكن أن يكتب أكثر، أو على الأقل يخرج من مقبرة الكتب المنسية التي تدور حولها رباعيته المنجزة، إلى أفكار أخرى. لكن المرض أوقفه، ثم الموت الذي هو نهاية لكل ما هو مثمر وواعد، ولا شيء يوقف الموت أو الفناء. ودائما ما نتذكر أفذاذا من المبدعين والمبتكرين، والعلماء، رحلوا هكذا في أعمار مبكرة، ونردد: لو عاشوا لأنجزوا أكثر. وهذه الأيام بالذات، يعربد في حياتنا فيروس لعين يختطف في كل دقيقة روحا ربما كان سيزدهر بها المستقبل.

«ظل الريح» أو الجزء الأول في سلسلة «مقبرة الكتب المنسية»، الرواية التي عرفت زافون إلى القراء، وعرفت القراء إليه، ليست رواية عادية يمكن أن تقرأ وتنسى. في الحقيقة كانت رواية فيها الكثير من الحيل والكثير من المعرفة، وأزعم أن الكاتب قام بدراسة تاريخ مدينة برشلونة بصورة جيدة وجدية، قبل أن يكتبها. وهذا بالضبط ما نطلبه من الكتاب الروائيين في كل زمان ومكان، أن يلموا بجغرافية وتاريخ الأمكنة التي ينـدون الكتابة عنها، ويلموا بثوابت المجتمعات ومتغيراتها، وعادات الناس وأزيائهم، وماذا يأكلون ويشربون، وحتى تفاهاتهم، من أجل أن يخرج النص صادقا وحكيما، وواثقا من العثور على قرائه.

وبجانب الثراء المعرفي واللغوي لرواية «ظل الريح»، نجد تشويقا عاليا، يبدأ من أول سطور فيها وحتى النهاية، ونـادرا ما تحس بملل بالرغم من ضخامة الكتاب، بسبب أن الأحداث تتجدد، ويدخل في كل مرة خبر جديد، يطغى على الأخبار التي سبقته، وتتابع بإحساس قـوي أن ثمة مفاجأة ستحدث، وتكون المفاجأة، مزيدا من الانتظار. بعكس أعمال كثيرة تتخللها صفحات مملة أو زائدة عن الحاجة، مثل رواية الإسباني لويس بانديرو، التي أعتبرها رواية عظيمة وحاشدة بالخيال والإيحاءات، لكن تظل فيها صفحات من التداعيات الطويلة، تغري بتجاوزها من دون قراءة.

لقد كتب زافون «ظل الريح» بعد تجارب سابقة مع أدب الناشئين الذي ألف فيه قصصا عدة، وذلك نوع صعب من الكتابة الإبداعية، فأنت لا تعرف ماذا يمكن أن تقدم لقارئ ناشئ، وأظنه يحتاج لموهبة أخرى غير الموهبة الاعتيادية. ولا أدري لماذا اتجه للكتابة للكبار بعد ذلك، لكن أظنها كانت خطوة ناجحة، أخرجت لنا «ظل الريح»، و«لعبة الملاك»، و«سجين السماء»، و«متاهة الأرواح» التي لم أطلع عليها بعد. وهنا لا بد من الإشارة إلى مجهود المترجم القدير معاوية عبد المجيد، الذي نقل لنا جماليات زافون، ودائما ما أقول إن معاوية من المترجمين الذين لا يتخذون الترجمة وظيفة مجردة، لكنهم يمنحونها من روحهم أيضا، ونعثر بهذه الطريقة على أعمال ترجموها، وتمنح إحساسا كأنها كتبت بالعربية، ومن تلك التراجم أعمال أنطونيو تابوكي. وهذا الوصف الموجز ينطبق أيضا على صديقنا الراحل صالح علماني وآخرين أثروا حياتنا بشكل أو بآخر.

رواية «ظل الريح»، أو أعمال زافون في المجمل، تذكرني بسؤال هـام، كنت طرحته من قبل، سؤال عن حجم الرواية، وهل من الضرورة أن نكتب روايات ضخمة، أو سمينة، من أجل توصيل فكرة؟ أم نكتفي بما قل ودل من الصفحات؟

بالنسبة لكتاب كثيرين، يبدو موضوع تسمين الرواية نوعا من التباهي بكتاب ضخم، فهي غالبا ما يتم حشوها بالمفيد وغير المفيد، وكلنا يطالع روايات بتلك الأحجام، متكئة على أفكار قصص قصيرة، ولن تصنع المجد لكتابها. في حين أننا نجد مشاريع رائدة في الكتابة، لم تتعد صفحات الروايات فيها المئة وخمسين صفحة، مثل كتب النمساوي استيفن زفايغ، وكتب إبراهيم أصلان ومحمد البساطي من مصر. القارئ لتلك المشاريع، يحس بالرضا تماما، أو يحس بالنشوة من دون أن يكون أرهق ذهنه أو عينيه.

لنتحدث عن تسمين الرواية عند زافون، هل كان ضروريا إذن؟

مؤكد، وقد قلت إن رواية زافون قائمة أصلا على نقل المعرفة، ووصف جغرافية وتاريخ برشلونة، من خلال قصة دانيال واللده صاحب المكتبة، ونرى أنه ينقلنا من شارع إلى آخر، ومن قصة إلى أخرى، ومن حديث مشوق إلى حديث مشوق، وهكذا، حتى نصل النهاية مبتلين ومندهشين وربما راغبين في القراءة أكثر. وإن كان ثمة خلل بسيط لاحظته في «لعبة الملاك»، الجزء الثاني من الرباعية، وهو ترك بعض الحوادث بلا نهاية، وبعض المواقف بلا رسم أو هوية.

شيء أخير، وهو ما لاحظته عند كتابة رثاء لزافون أو نعيه على صفحات التواصل الاجتماعي من قبل المئات من عشاق كتابته، أن عددا من الملمين بالأدب الإسباني، كتبوا صراحة أن زافون بلا قيمة كبيرة في بلاده، وأن مشروعه اعتبر مشروع «بيست سيلر» عـادي، ولم يحظ بجوائز أو دراسـات نقدية أسوة بمشاريع آخرين مثل مياس.

ربما يكون المشروع فعلا لم يحظ بالنقد أو الدراسة، لكن ذلك ليس دليلا على ضعفه، أو انعدام قيمته، إنها خصومة معروفة في كل مكان، بين النقد والكتب المنتشرة، التي تكون فيها أعمال جيدة. وهنا أقول إن الكاتب المنتشر لا يحتاج إلى العادة لإلقاء ضوء نقدي على مؤلفاته، فقد أضاءت بنفسها.

كاتب سوداني

تخفيف إجراءات العزل

رغم أن التهديد الذي يشكله فيروس كورونا المستجد لا يزال خطيرا، تواصل دول غربية عدة الضغط باتجاه تخفيف القيود على الحياة اليومية على الرغم من تحذيرات مسؤولي القطاع الصحي من التسرع الذي قد يؤدي إلى مزيد من الوفيات على حد قولهم.

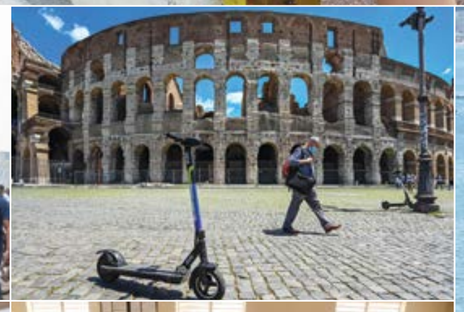

أدب وفنون

الشعر الحرّ والجدل المستمرّ

خطأ شائع خيرٌ من صحيح مهجور: أليست هذه حكمةٌ معطوبةٌ؟

عبدالواحد لؤلؤة

أحسبُ أنّها كذلك، وخاصة في ما يتعلّق بالمصطلحات الأجنبية التي أُسيء نقلها إلى العربية، لكنّها بقيت في التداول في الكتابات النقدية والأدبية عموماً. ومن ذلك: الرومانتيكية أو الرومانطيقية، لأن هذه الصفة نُسبت مرّتين إلى الإسم رومانس الذي لا مقابل دقيقٌ له في العربية أساساً: فهو هنا صفة تنسب بلاحقة ic الإنكليزية أو ique الفرنسية، وثانية بياء النسب العربية، وهذا لا يجوز. ولكن الترجمة الخطأ شاعت، ولم يَقوَ على إزالة الخطأ التفسيرُ النحويُّ السليم، لتكون الرومانسية. هذا علاوة على أن حَرفَي الطاء والقاف لا وجود لهما في اللغات غير العربية ومثل ذلك كثير.

ومصطلح الشعر الحرّ هو الآخر ترجمة غير دقيقة لما وَصَفَت به شاعرةُ العراق الكبيرة نازك الملائكة قصيدتها الشهيرة «الكوليرا» التي «حرّرَت» فيها «عدد» التفعيلات في بيت الشعر العربي التراثي في كل شطر من شَطرَي المتدارك، لأنها وجدت في تفعيلتين ما يكفي للتعبيرعن الصورة أو الفكرة التي ترِد: طَلَعَ الفَجرُ: فعلن فعلن! وهذا سبب صحيح، لكن التسمية غير دقيقة. والدافع للتسمية، كما أرى، هو بروز فكرة الحرية في المخيال العربي في العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في العراق والبلاد العربية عموماً. فلماذا لا «يتحرّر» الشعر التراثي العربي كذلك مثلما تتحرّر الشعوب!

لكن مصطلح «الشعر الحرّ» دخيلٌ على التراث العربي الذي يقول إن الشعر «كلامٌ موزونٌ مقفّى يفيد معنى، فإن لم يُفد معنى فهو ليس بشعر ولو كان موزونا مقفّى». وهذه أول إشارة في تراثنا إلى أهميّة المعنى في الشعر قبل أهميّة الوزن والقافية. وهذا ما نجده في أوّل ردّة فعلٍ من جانب عرب الجاهلية عند سماعهم الذكر الحكيم، فقالوا هذا شعرٌ: «بل افتراه بل هو شاعر». وكان ردّ الوليد بن المغيرة «إنه لا يُشبه شيئاً من هذا». وعلى الرغم من وجود ما يُمكن قراءته من الآيات الكريمة على وزن المتدارك مثلاً: «إنّا أعطيناكَ الكوثر» فَعلُن أربع مرّات، أو «لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مما تُحبّون» على وزن الرَمَل: فاعلاتُن، لكن هذا من قبيل الإقحام الذي يتضاءل أمام «المعنى» في الآية الكريمة. والمعنى هو السابق في الشعر دون الوزن والقافية، عَرَضيّةً جاءت أو مقصودة.

والمعنى في العبارة هو الذي يرفعها من النثرية إلى الشعرية. وهذا ما سعى إليه الشاعر الأمريكي والت وتمان (1819–1892) كما نجد في مجموعته بعنوان «أوراق العشب» (1855). هذه مجموعة من الكلام الجميل المرصوف أسطراً متلاحقةً تخلو من الوزن والقافية، دعاها وتمان شعراً حرّاً Free Verse ولم يَقُل Free Poetry ربما أراد القول إن هذا غير الشعر التراثي بالوزن والقافية. وكان أول من تنبّه إلى ذلك من الأدباء العرب هو أمين الريحاني (1876–1940) المغترب اللبناني الذي أسّسَ أوّل تجمّع للأدباء العرب في نيويورك. كان الريحاني شديد الاهتمام بالأدب الأمريكي المعاصر، وبخاصّة شعر والت وتمان الذي دعاه باسم «الشعر المنثور» وذلك في عام 1905 كما نجد في كتاباته عام1910. ويا ليتَ أدباء العرب اللاحقين تبنّوا هذه التسمية، لكان ذلك جنّبنا كثيراً من الإضطرابات في التسميات التي دَرَجَت منذ أواسط القرن العشرين حتّى يومنا هذا. فقد نشأ خَلطٌ في تسمية قصيدة التفعيلة التي بدأتها نازك وتبعها في ذلك معاصروها من شعراء العراق في الخمسينات وشعراء عرب كثيرون. كما اختلطت التسمية مع قصيدة النثر، ذلك الدخيل الآخر على التراث الشعري العربي.

من أبرز من كتب قصيدة الشعر الحرّ في العربية، بمعناه الدقيق، منذ خمسينات القرن الماضي فصاعدا، أدباء عرب تميّزوا بعمق الثقافة وسعة الاطّلاع على الآداب الأجنبية، والجدّية في تناول الموضوعات الأدبية، مثل جبرا إبراهيم جبرا(1920–1996) الفلسطيني العراقي، وتوفيق صايغ (1933–1971) اللبناني الفلسطيني الأصل، ومحمد بنّيس، المغربي، أطال الله في عمره بدوام الصحة. نشرَ أستاذي المرحوم جبرا مجموعة من قصائد الشعر الحرّ عام 1959 ببيروت، بعنوان «تمّوز في المدينة» أختارُ منها قصيدة بعنوان «أغنية لمنتصف القرن» وضع لها تاريخ 1950 وأذكّر أنه قرأها لنا عام 1950 في أحد دروس الترجمة ليفسّر لنا مفهوم الشعر الحرّ، أوردُها هنا بأسطر متلاحقة توفيرا لمساحة الصفحة: «مخالبُ الليل في أشلاء الشوارع/ تنهَشُ، والنوافذ تدمى بمآقٍ من حديد،/ والناس فوق الحصى يتمزّقون/ تحت العجلات وَقعُ الحوافر».

محمد الماغوط

هنا تمّوز الأسطورة قد عاد إلى الحياة، أي عادت الحياة إلى المدينة، فانتعش الشعر بعودته. هذا شعر جديد لا يتقصّد الوزن والقافية مثل الشعر التراثي، بل يتركهما يتسلّلان إلى الكلام على هواهما. فنجد كلّ بيت/سطر يحمل موسيقاه الخاصة بما يناسب الصورة أو الفكرة. فنجد قافية «الثعالب» تتبعها لاحقاً «العقارب» ونجد «كالخناجر» تستدعي صدى لاحقاً في «الحوافر». هنا تذكيرٌ بالحد الأدنى من موسيقى القافية، مع تركيز على الفكرة أو الصورة. ومثل هذا التذكير المختصر ينعم القافية نجده في القصيدة الأخيرة من هذه المجموعة بعنوان «العودة إلى المدينة». هذه الموسيقى غير سهلة على الإدراك، بسبب جدّتها على الذوق المألوف، وهي «موسيقى الأفكار» بعبارة البروفسور أي. أي. ريتشاردز، أستاذي في هارفرد، في حديثه عن موسيقى «الأرض اليباب» قصيدة إليوت الكبرى.

وهذا مثالٌ من آخر ما كتب جبرا من الشعر الحرّ بعنوان «متواليات شعرية» نشرت بعد وفاته عام 1996:

«وَجهٌ مرمريٌّ شاحبٌ، حُزنُهُ/يزيدُ غموضَه سحراً وحَيرَة، / مسكونٌ بهَمٍّ داخل هَمّ–/ وَجه امرأة كأنّها للتوّ/ انبثقت من قلب ظلام سحيق/في دثار أصفرَ باهر، كضياء/ متقطّع من شمس ضُحى/ إطلّت خطأً من بين الغُيوم،/ فجأءها رسولٌ في قتام الدخان/وجرّها من يدها صاعقة، دونما التفاتة واحدة إلى الوراء/ واختفى بروعتها الذهبية/ في حُلكة ظلام آخر، ينتظر».

هذه قصيدة حول رحيل الحبيبة، زوجته التي عاش معها سنواتٍ طويلة، ثم اختزَمَها موتٌ «جاء في قتام الدخان... واختفى بروعتها الذهبية» كما اختفت يوريديتشي عن أورفيوس الشاعر المُنشد.

ومن أبرز أمثلة الشعر الحرّ كذلك أعمال محمد الماغوط (1934–2006) السوري الذي قابلتُه أوّل مرّة في صيف 1963 في مقامه الأثير: مقهى الهافانا بدمشق، وبقيتُ أتابع إنتاجه الغزير الذي اعترف النقد الحديث أخيراً بأعماله من «الشعر الحُرّ» على أنّها «شعرٌ» فاستحقّ جائزة الشعري عام 2006 وكانت تلك المناسبة آخر مرّة التقيتُ فيها بالشاعر في دُبَي، لأنه تُوفّيَ بعد ذلك بقليل، ربّما بسبب إفراطه بالتدخين!

هذا مثالٌ من مجموعة «حُزنٌ في ضوء القمر»:

«أتى الليلُ في منتصف أيّار/ كطعنة فُجائية في القلب/ لم تتحرّك/شفاهاً مطبقةً على لحن الرجولة المُتَقعّر/في المقصورات الداخلية ثمّة عويلٌ يختنق/ ثمّة بساطةٌ مضحكةٌ في قبضة السوط/ الأنوار مُطفأةٌ لماذا؟/ القمر يذهبُ إلى حُجرته/ وشقائقُ النعمان تحترق على الإسفلت/ قشٌ يلتهبُ في الممرّات/ وصرير الحطب يئِنُّ في الزوايا الخفيّة/...».

ومن أجمل أمثلة الشعر الحرّ، التي تتخذ شكل قصيدة النثر أحياناً، أعمال المغربي محمد بنّيس. هذا مثالٌ من آخر ما نشَر بنّيس من أعمال شعرية غزيرة، بعنوان «يقظة الصمت» 2020 قصيدة بعنوان «ليل الحروف»:

«في الصمت يتحرّك الهواءُ خفيفاً مُنسَرِحاً هواءُ الفجْرِ/ وهواءُ مَضَيّة

تُطِلّ منها على بحرٍ ثنياتُ مائِه تُشعُّ تتوثّبُ تختلجُ في الصّدر شيْءٌ لا تدري ما اسمُهُ كأنّهُ من الظاهر – لا منَ الظاهر دبيبٌ تمتزجُ به الأنفاسُ، تُحسُّ الهواءَ يستريحُ على ساعديكَ قسطٌ من النهار في عينيك وأنتَ في حضرةِ السديم». وتستمر القصيدة على مدى صفحتين بدون علامات تنقيط بل بوقفة بين مقطع وآخر، لكن الصُوَر لا تتوقّفُ عن انثيالها كما «تنثالُ فيها وُفودُ الماء مُعجِلةً/ كالخيل خارجةً من حَبل مُجريها» بعبارة البُحتُري في وَصفِ بركةِ المتوكّل.

وقصيدةُ النثر دخيلٌ آخر على تراث الشعر العربي، من أدباء فرنسا هذه المرّة. يمثّل هذا النوع من الكتابة الشعرية بودلير (1821–1867) ومالارميه (1842–1898). وثمّة دراسة مفصّلة عن هذا النمط الشعري في كتاب سوزان برنار (1932–2007) بعنوان «قصيدة النثر من بودلير إلى أيّامنا هذه» 1959 وقد تُرجِمَ الكتاب في تونس أول مرة، وتلتهُ تُرجمَاتٌ أخرى. وقد ظهرت أمثلة من قصيدة النثر أول مرّة في مجلة «شعر» في خمسينات القرن الماضي برعايةِ يوسف الخال وجماعته. وقد دُعيت أول مرّة باسم «شعرٌ بنثر» وهي ترجمة حرفية للإسم الفرنسي Poème en Prose لكن هذه الترجمة لم تَدُم طويلاً. وقصيدة النثر هذه كلامٌ مركّزٌ بصورة غير مألوفة في الغالب، تنتثر على الصفحة كقطعة نثر. وقد نختم بمثال من «يقظة الصمت» ص 129 بعنوان «أرضٌ بدماءٍ كثيرة» وهي قصيدة طويلة بسبعة عشَر مقطعاً وتستغرق اثنتين وثلاثين صفحة مطرّزة بصور ومشاعر عن فلسطين:

«هناك الأرض لا أرض سواها...وهُم هناك. أبناء فلسطين...في أرض كنعان كانوا...مع أشجار الزيتون...في القدس كانوا...في أول الصباح يمشون. أبناء فلسطين...في الجهة المقابلة غُرباءٌ يرفعون الأنخاب ويتبادلون الهدايا على أرض فلسطين. آخرون في أمكنةٍ لا أحَدَ يراها».

أرجو أن يكون في هذه الأمثلة ما يكفي للتفريق بين نمط قصيدة التفعيلة، والشعر الحر، وقصيدة النثر...ولكلٍّ امرِيء في ما يحاول مذهبُ.

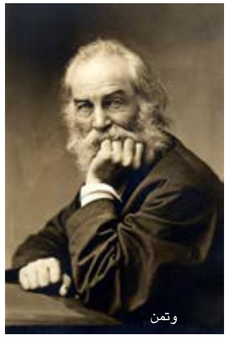
وتمن

«جوكر» أمريكا و«بؤساء» فرنسا

السينما وكرنفالات الانتقام الحتمي

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

صدر في العام الفائت كل من الفيلم الأمريكي «جوكر» من إخراج تود فيليبس، والفرنسي «البؤساء» من إخراج لادج لي. ورغم الأجواء المختلفة للفيلمين، إلا أنهما انطلاقا من فكرة مدى التفاوت ما بين الفئة القليلة التي تمتلك كل شيء، وتريد صياغة العالم وفق هواها، وبين فئة عريضة تمثل الأغلبية، تعيش على الهامش ومنسية من الجميع. «الجوكر» الأمريكي لا يختلف عن طبيعة تكوين مجتمعه، ممثلاً فكرة الخلاص الفردي أولاً، حتى يصبح رمزاً لكل المشردين والمنسيين في الأرض، بينما «البؤساء» الفرنسي يتمثل شكل المجموعة المغضوب عليها، صانعاً مفارقة على أرض جمهورية الحرية والإخاء والمساواة. كل من الفيلمين أشار في حدة ووضوح إلى مصير هذا العالم في ظل الرأسمالية التي لن ترحم أحدا، وأن الضربة ستأتيها لا محالة من كائنات خرافية لا تراها السلطة مطلقاً، تناستهم وحولتهم إلى مخلفات بشرية، فقط تعيش لتخدم هؤلاء، وعليها في النهاية أن تقدم صلوات الشكر على الدوام، ولكن ما حدث وسيحدث سيقضي على هذه الأحلام تماماً.

خُلِقَ لتجلب السعادة

كانت أم آرثر فليك ـ الذي تخلص منها ـ تكرر على مسامعه دوماً، وهو الحالم بأن يصير فنانا كوميديا شهيرا «أنت خلقت لتجلب السعادة لهذا العالم البائس». ومن هذه العبارة يحاول آرثر المضطرب نفسياً أن يكون هذا الفنان الشهير، حيث مثله الأعلى مقدم برامج كوميدي شهير، يتخيله آرثر كثيراً بأنه والده. وعن طريق جوكر الثمانينات ـ تدور الأحداث في نيويورك 1981 ـ يستطيع جوكر أخيراً أن ينتقم لكل المنسيين في التاريخ الاجتماعي الأمريكي، ضارباً عمق المعتقد الأمريكي القائم على الميديا، كذلك يتماس وبعض الأفلام التي تشابهت في نقد المجتمع الأمريكي، لعل أشهرها «سائق التاكسي» و«ملك الكوميديا» كل منهما قام بالتمثيل فيهما روبرت دي نيرو، وأخرجهما مارتن سكورسيزي.

فكرة التأصيل هذه استخدمها الفيلم، ليصبح دي نيرو هو المثل الأعلى لجوكر، ورغم أنه كان يريد أن يراه أحد، وأن يستشعر وجوده، فملك الكوميديا اختطف مقدم برامج وأصبح شهيراً، لكن موقف جوكر أكثر تعقيداً، فكان الحل في مقتل هذا المثل الأعلى أمام الجمهور وشاشات التلفزيون، فلم يعد سوى فعل القتل، فهو الحل الوحيد. فكرة التوثيق هذه تؤكده حادثة الاعتداء على عدة أشخاص، وهي واقعة إطلاق نار حقيقية حدثت في نيويورك عام 1984. ورغم إصابة هؤلاء في الحقيقة، إلا أن جوكر يقضي عليهم تماماً. وهنا يبدأ المناصرون في نصب كرنفالهم والاحتفاء بوجه الجوكر الذي قتل رجالاً يعملون في وول ستريت، لتبدأ عمليات العنف، وهو ما يتماس بدوره في حركة «احتلوا وول ستريت».

أما على مستوى الوعي المغلوط، فجوكر هو الشخصية الشريرة مثيرة الفوضى على الدوام في أفلام «الرجل الوطواط» هذا الشخص الخيّر، لكن مَن هو بات مان؟ هو ابن عمدة المدينة، حامي الأثرياء، المدينة الغارقة في القمامة والفقر والبؤس، وبالتالي سيكون التساؤل، عن أي فئة سيدافع السيد بات مان، وأي عدالة يمثلها؟ ورغم اختلاف هذه الشخصية في الأفلام السابقة ـ التي جاء جوكر على نقيضها تماماً ـ فإن الجوكر في أفلام بات مان، يمثل الحقب السياسية المختلفة، بداية من فيلم «بات مان» 1989 حيث اتسمت شخصية الجوكر بالبلاهة والهوس بجمع السلاح، حتى قضى على سكان المدينة في النهاية بغاز الضحك القاتل، ذلك كان عهد ريغان. أما جورج بوش الابن، فتمثل في فيلم «فارس الظلام» 2008 ليصبح جوكر شخصاً شريراً، يستمتع بإحداث الدمار في العالم. أما جوكر 2019 فأصبح يمثل الناس/الأغلبية، فلم يعد يجدي سوى العنف في عهد ترامب. لذلك جاءت اللافتات تؤيده من كل سكان المدينة، فإن كان المهرج هو الفاعل، فـ «كلنا مهرجون». حتى أن الضحكة المرتسمة بالماكياج في البداية، أصبحت في ظل ما حدث مرتسمة بالدماء، لينهض بين رفاقه، وقد عرفه الناس وعرف نفسه، لتتحقق مقولته «طوال حياتي أشك في وجودي وجودي». وأنه بالفعل خُلق لجلب السعادة.

في صحة الجمهورية

تحت ظلال العلم الفرنسي وقرب قوس النصر يتحلق الجميع لمشاهد المباراة النهائية في كأس العالم عام 2018 والذي فازت به فرنسا، نلحظ الفتى عيسى)أحد المهاجرين الأفارقة، وهو يسير والعلم الفرنسي فوق كتفيه، مهللاً لفوز الفريق الفرنسي. هذه اللقطة الافتتاحية المُبهجة ستختفي تماماً، وفي شكل أقرب للأسلوب الوثائقي يتم سرد الأحداث. ففي حي مونتفرمي الباريسي ـ الحي نفسه الذي شهد أحداث رواية البؤساء لفيكتور هوغو ـ تدور الأحداث، وهو حي يجتمع فيه المهاجرون من الأفارقة المسلمين وبعض العرب، وكأنهم مقصيون عن الجميع، في ما يُشبه الثكنة أو المحمية، مشردون، سجناء سابقون، تجار مخدرات، قوادون وداعرات، بجانب المتأسلمين الموصومون دوماً بالإرهاب. مكان موبوء، لا يختلف عن مكان بؤساء هوغو، رغم مرور كل هذه السنوات.

للمكان قوانينه، وللشرطة أخلاقياتها، ومن خلال نماذج ثلاثة لرجال الشرطة الذين يجوبون الحي ـ وحدة الجرائم الخطرة ـ رئيسهم عنصري متعصب، يتباهى بجموحه واستخدام القوة، حتى أنه يصرخ قائلاً عند مناقشته «أنا القانون» وآخر من أهل الحي صاحب أصول أفريقية، وأخير تم نقله مؤخراً للحي، يمثل صوت العقل في تعاملاته. في هذا المكان لا يوجد قانون، بل كل فئة تحتمي بكبير لها يحكم بينها. سجين سابق افتتح مطعماً للمأكولات وأصبح منتمياً لتيار الإخوان المسلمين. وآخر يشرف على تجارة البضائع المهربة وغير المشروعة، بخلاف فرض الإتاوات على الباعة الآخرين، وتأجير الشقق لبائعات الهوى وزبائنهن. كل ذلك بمعرفة وتحت عين رئيس وحدة الجرائم الخطرة، الذي يستفيد من الجميع في حل مشكلة، أو تسليم خارج على القانون.

يتم اختطاف شبل من فرقة سيرك تزور المكان، وبالطبع سيكون عيسى هو صاحب الفعلة. وعند محاولة الشرطة الوصول إليه وفراره منهم، يطلق عليه رفيقه الأفريقي طلقة مطاطية من بندقيته، فيصاب بالإغماء ويتشوه وجهه ـ يتماس الفيلم هنا وحادثة قتل الشرطة لاثنين من المهاجرين عام 2005 والتي اشتعلت إثرها أعمال عنف وشغب في أنحاء باريس ـ على الناحية الأخرى يقوم باز طفل آخر، بتصوير ما يحدث من خلال طائرته، التي تطل على الحي لتصور الجميع. هنا تصبح المطاردة للإمساك بصاحب الطائرة. ويتم اللجوء إلى رجال الحي، سواء التائب الإخواني أو التاجر صاحب الأتاوات، حتى يذهب باز إلى الأول ـ الأكثر ثقة ـ ويسلمه ما سجله بكاميرته، ليقوم بدوره وبعد نقاش عقلاني بتسليمه إلى الضابط المنتقل إلى الحي حديثاً.

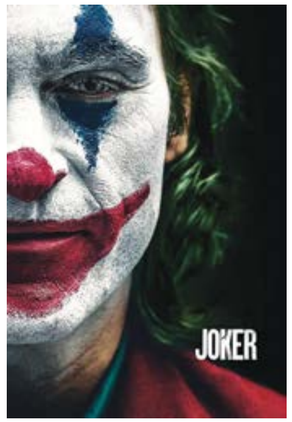

خلال هذه الأحداث يتم التعرف على حياة هؤلاء وطريقة معيشتهم، وعلاقات القوى التي تتحكم بهم، فلا وجود لدولة ولا نظام. كل مجموعة تختلق نظامها، أما رجل الشرطة، ممثل الدولة، فلا يرى في كل هؤلاء سوى أوبئة يجب القضاء عليها، وفي أفضل الأحوال كبح جماحها واتقاء شرها.

وفي إحدى الصباحات تقوم سيارة وحدة الجرائم الخطرة بالسير في الحي كالمعتاد، ورجال الشرطة الثلاثة يتوجهون نحو مصيرهم المجهول. الشارع هادئ، الأطفال يلعبون كعادتهم، دراجات تتابع السيارة عن بُعد، وبمسدسات ومدافع الماء التي يلعب بها الأطفال يوجهونها إلى عربة الشرطة، فينالون من السباب ما ينالون، وبعدها تصبح الألعاب النارية بديلاً عن الماء، ويبدو أن حرباً ستبدأ، حتى يستدرج الفتيان رجال الشرطة إلى أحد المباني، وهنا يتم الإيقاع بهم. دفعات من الألعاب النارية شديدة الانفجار، حتى أنهم يستدعون قوات الدعم، ليظهر عيسى ويوجه الضربات إليهم، وحتى قواد الحي الذي يأتي مسرعاً لإنقاذ الموقف، يتلقى ضرباً يقضي عليه، وصولاً إلى عيسى الممسك بزجاجة مولوتوف في مواجهة الضابط الجديد الذي حاول إنقاذه من قبل. وكأن هذا الجيل الجديد من الأطفال والفتيان لن يجد سبيلاً أو حلاً سوى استخدام القوة في مواجهة هؤلاء، هنا لن يصبح الانتماء إلى العلم الفرنسي كما في بداية الفيلم، وكأنها بداية ساخرة لما يحدث بالفعل، فالعنف هو الحل في النهاية، حتى يشعر الآخرون أن هؤلاء لهم كل الحق في الحياة.

ربما لم تعد محاولة التعايش بالحيلة ممكنة، وأن الواقع نفسه يفرض سلوكاً آخر لا مفر منه. جاء الفيلمان قبيل جائحة كورونا، وتأثيراتها الاقتصادية، ونتيجة ذلك أن يشهد العالم ليس ضغطاً هذه المرّة، بل محواً لفئات كثيرة يرى أصحاب السلطة ورأس المال أنهم زائدون عن الحاجة، ويجب التخلص منهم، لكن الأمر لن يكون بهذه البساطة.

تحقيقات

في ذكرى 30 يونيو

الثورة في السودان لم تنتصر بعد لكنها بالتأكيد لم تهزم

محمد الأقرع

يستعد السودانيون للخروج مجدداً في تظاهرات مليونية الثلاثاء المقبل، عقب دعوة أطلقتها منظمة «أسر شهداء الثورة» بالإضافة إلى بعض الكيانات السياسية والمطلبية. وسيتم الاحتفاء بذكرى الثورة التي رجحت كفة المدنيين على العسكر الذين قاموا بفض الاعتصام، كما أنها مهدت الطريق للاتفاق على الوثيقة الدستورية وشكل الحكومة الانتقالية بتظاهرة مليونية في عموم البلاد الثلاثاء.

وتتراوح مطالب المتظاهرين بين دعم الحكومة لتحقيق مطالب الثورة، ودعوات تصحيح المسار، وبرزت أصوات خافتة ينتمي بعضها للنظام القديم أعلنت المشاركة في المليونية تحت شعار إسقاط الحكومة الحالية.

منظمة أسر شهداء ثورة ديسمبر، قالت في تعميم صحافي إن دعوة التظاهر ليست لإسقاط الحكومة المدنية بل لتقويمها ودعمها حتى تسير في الاتجاه الصحيح الذي تتطلع إليه الجماهير لتنال غاياتها في تحقيق أهداف الثورة كاملة. مشيرة إلى أنها اتفقت في هذا الصدد مع لجان المقاومة وهي إحدى الكيانات المهمة في الثورة السودانية.

وأعلن عباس فرح رئيس المنظمة، أن مواكب 30 حزيران/يونيو ستحدد لها مسارات تكون بعيدة عن القيادة العامة للقوات المسلحة والقصر الجمهوري ومجلس الوزراء، حتى لا يتم استغلالها من الدخلاء وأصحاب الغرض، على حد وصفه.

وقال: «من المسلم به إن الثورة في السودان لم تنتصر بعد، لكنها بالتأكيد لم تهزم، لأن الهزيمة تبدأ حين نقبلها ونقرر التوقف عن المقاومة».

وأردف «في الوقت الذي يظن البعض أنها في عداد الموتى تنتفض فيها الحياة، وفي حماة القبة تعاود الكر من جديد وتحمل مشعل المد الثوري الذي لا يخبو مهما عصفت به الريح».

والجمعة تسلمت الحكومة السودانية مذكرتين الأولى من أسر الشهداء متعلقة بتحقيق العدالة وعدم المساومة بدماء الشهداء، والثانية من لجان المقاومة تلخصت في سبع نقاط أساسية، أولها إنجاز السلام الشامل عبر بحث جذور الأزمة وبمشاركة كافة حركات الكفاح المسلحة وتمثيل النازحين واللاجئين وأصحاب المصلحة، وفي ذات النقطة دعت اللجان لتولي مجلس الوزراء إدارة عملية السلام وفقاً لما نصت عليه الوثيقة الدستورية ووقف اختطاف مجلس السيادة لهذا الملف البالغ الأهمية.

وطالبت المذكرة بتحقيق العدالة والإصلاح الشامل والعاجل للأجهزة العدلية والقضائية للوصول لدولة القانون، ولفتت لضرورة تكوين مفوضية إصلاح المنظومة العدلية والحقوقية ومجلس القضاء العالي والمجلس الأعلى للنيابة وذلك لتنال تلك الأجهزة استقلاليتها وقدرتها على المحاسبة. وأيضا إعلان كافة نتائج لجان التحقيق، كانت من المطالب التي أعلنت عنها لجان المقاومة. بالإضافة لمطلب استكمال هياكل السلطة المتمثل في إقالة الولاة العسكريين وتعيين ولاة مدنيين فضلاً عن تشكيل المجلس التشريعي وإنشاء المفوضيات التي نصت عليها الوثيقة الدستورية.

وأكدت أغلبية قوى الثورة المشاركة في مواكب الثلاثين من حزيران/يونيو الاتفاق على ضرورة إعادة هيكلة وإصلاح الأجهزة الأمنية، كما أنها ترفع في صدر دعواتها الرئيسية مطالبة عاجلة لإقالة مدير الشرطة ووزير الداخلية بالإضافة للحل الفوري لكافة الميليشيات غير النظامية.

إضافة إلى أن وقف التدهور الاقتصادي ووضع رؤى وأسس تنموية كانت أيضا من مطالب المحتجين الذين دعوا في مذكرتهم بإعادة هيكلة تحالف قوى الحرية والتغيير من خلال توسيع قاعدة المشاركة ووضع لوائح جديدة لتنظيم العمل وأيضا تكوين النقابات.

بالمقابل أكد عضو المجلس السيادي الانتقالي محمد الفكي سليمان الذي تسلم المذكرتين، رد الحكومة عملياً على المطالب المقدمة لهم من خلال جداول زمنية محددة، معتبرا ان المواكب التي تمت الدعوة لها هي لتأكيد قوة ثورة كانون الأول/ديسمبر وعزيمة الشارع السوداني على فرض إرادته وتذكير الحكومة بأهداف الثورة.

الفكي قال إن التظاهر ضد الحكومة أصبح أمرا متاحا وهو حق انتزعه الثوار عندما أسقطوا النظام البائد، داعياً لضرورة الالتزام بالإجراءات الصحية وتأمين المواكب.

خلاف بين قوى الثورة

مسألة الخروج والتظاهر في ظل جائحة كورونا كانت مسار خلاف بين قوى الثورة لدرجة أن بعضهم أعلن عدم المشاركة مثل لجنة الأطباء المركزية التي أكدت في بيان لها رفضها للمشاركة في التظاهرات، وقالت رغم أنها تدعم المطالب المرفوعة من قبل قوى الثورة إلا أنها تجد نفسها أمام مأزق أخلاقي ومهني كبير، لأن الظرف الصحي يضع الجميع أمام مسؤوليات جمة والالتزام واجب. وأكد البيان أن جائحة كورونا ليست خرافة وإنما واقع سقطت أمامه أعتى النظم الصحية.

وفي السياق الصحي انضم حزب الأمة القومي بزعامة الصادق المهدي لقائمة رافضي الخروج وطالب بإلغاء المليونية والدفع بالحلول العملية لضمان سلامة المواطنين من الإصابة بفيروس كورونا وأيضا لتفويت فرصة إرباك المشهد من قبل الدولة العميقة.

التظاهرات كذريعة

وتتخوف بعض القوى السياسية الرافضة من إعادة تطبيق سيناريو حركة التمرد المصرية واتخاذ التظاهرات ذريعة من قبل العسكر للاستيلاء على السلطة بالانقلاب، إلا أن بعض المراقبين يستبعدون حدوث ذلك.

ولعل أحد الأسباب التي يستند في النظام البائد تأييده المليونية حزيران/يونيو رغم انه قطع بعدم تأييده لأي انقلاب عسكري داعيا الحكومة الحالية لتقديم استقالتها بحجة الفشل وعدم إنجاز مهام ومطالب الثورة.

ويقول صديق أبو فواز القيادي في تحالف قوى الاجماع الوطني إن اغتيال أهداف ثورة ديسمبر المجيدة بواسطة وضع العسكر ركبته على عنقها ومنعها من التنفس لما يقارب العام، لا يقل كارثية وإجراما عن اغتيال جورج فلويد. مبيناً أن السودانيين ليسوا استثناء ولا أكثر حرصا على القوانين من الشعب الأمريكي، والظروف الاستثنائية تتطلب تدابير استثنائية.

وقال أبو فواز لـ«القدس العربي»: إن «كورونا لن تمنع جماهير الشعب الحية من الخروج للشارع، وأن السلطات الأمنية قد سمحت طوال فترة الطوارئ الصحية وحظر التجوال لسدنة النظام المخلوع، تنظيم المظاهرات وفتحت لهم الطرق حتى وصلوا مشارف القيادة العامة، وكما سمحت لقادتهم بمخاطبة الرأي العام على الميديا وأجهزة الإعلام، وتركتهم يبثون سمومهم واستفزازاتهم للثورة والثوار والإساءة لحكومة الثورة نفسها». وأضاف «نحن الأولى بالشوارع التي لا تخون».

ترقب وحذر وانقسام

ترقب وحذر، وانقسام بين قوى الثورة، وضبابية النتائج والتوقعات، هكذا هو المشهد بالضبط في السودان هذه الأيام عقب الدعوات التي أطلقتها لجان المقاومة وبعض القوى السياسية والمطلبية للخروج والانضمام للمواكب المليونية.

وتعود حالة الارتباك هذه لعدة أسباب منها التشكيك في الغاية النهائية للمواكب فالذين أعلنوا عنها يقولون إنها جاءت لتقويم الحكومة والضغط عليها لإكمال أهداف الثورة لكن في الوقت نفسه لا يخفي بعضهم خشية استغلالها من قبل فلول النظام المقبور الذين يتهمونهم باحتمالية التخريب المتعمد، كذلك فمن يتبنون الدعوة أنفسهم رشحت أنباء تشير حتى اللحظة لوجود انقسام بينهم في الوجهة النهائية للمواكب، مثلا كثير من تنسيقيات لجان المقاومة بالعاصمة أعلنت عن مواكب غير مركزية تنتهي بنقاط محددة في مدنها الثلاث «الخرطوم، بحري أم درمان» بينما يرى آخرون أن المواكب من المفترض تكون مركزية أمام القصر الجمهوري ومجلس الوزراء وتتواصل باعتصام حتى تحقق المطالب.

التخوف من الإصابة بفيروس كورونا وخطورة التجمعات في تسهيل عملية العدوى هو الآخر أفرز أجواء من الحذر والانقسام، حيث رفضت بعض القوى المشاركة انطلاقا من عدم الإضرار بالصحة العامة ودعت لتقديم المطالب عبر آليات أخرى غير الحشود والتظاهرات.

ويشار إلى أن الدعوة للخروج في مواكب الثلاثاء المقبل تأتي في وضع بالغ التعقيد، حيث عادت مجدداً صفوف المواطنين الطويلة أمام المخابز ومحطات الوقود، في حين تشهد عملية المد الكهربائي رداءة في التوصيل وحدوث قطوعات كثيرة ولساعات طويلة مما خلق حالة من السخط على الحكومة الانتقالية.

واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بالدعوات الترويجية بينما شهدت بالفعل بعض أحياء العاصمة الخرطوم والمدن الأخرى مواكب دعائية لمليونية الثلاثاء، ردد فيها المتظاهرون شعارات تؤكد مواصلة الثورة وتطالب بتحقيق أهدافها كاملة بدون تسويات أو مساومات.

أعداء الأمس شركاء اليوم

ويمثل يوم الثلاثين من حزيران/يونيو ذكرى خاصة في مسيرة الثورة السودانية، فقبل عام من الآن عاش شباب الثورة أجواء مشابهة في الترقب والحذر، وأظهر الشارع أن لا شيء يرهبه أو يوقفه وكان مشهد آخر من مشاهد بطولة الثورة السودانية.

وتشير إلى أن مواكب الثلاثاء المقبل تحمل نفس المعاني بإرجاع قوة الشارع إلى ما كانت عليه لتحقيق أهداف الثورة المجيدة ودعم الحكومة الانتقالية لتحقيق المطالب المؤجلة.

بالنسبة لولاء فالمطالب التي ستخرج من أجلها مجدداً واضحة ويمكن تلخيصها في وقف التراخي في إنجاز وحسم القضايا الأساسية المتعلقة بالقصاص وتقديم رموز النظام البائد لمحاكمات فورية، كذلك محاكمة كل من استغل رتبته العسكرية لحماية الفاسدين، وتعجيل ملف السلام والعمل على إيجاد حلول لتخفيف عبء المعيشة على المواطنين، كذلك الاسراع تشكيل المجلس التشريعي وقبل كل ذلك فرض سيطرة الشارع مرة أخرى.

وفي السياق قال زميلها في لجان المقاومة محمد حيدر التوم إنه أبدى تخوفه من وقوع أحداث عنف مشيرا إلى أن الاعتصام أمام القصر ومجلس الوزراء قد يتسبب في وقوع صدامات أولها مع الشرطة، ثم فلول النظام المقبور، وعاد محمد وأكد هناك لجانا أمنية ستعمل بالتنسيق مع كافة لجان المقاومة لحماية المواكب، والحفاظ على سلميتها.

تعبئة في مواقع التواصل

في مواقع التواصل الاجتماعي يتحدث ناشطون عن حشد فلول الوثيقة الدستورية، كما يطالبون باستعجال نتائج التحقيق في فض الاعتصام، وبعض الذين يقودون التحرك رفعوا شعارات معادية حتى للقوى السياسية التي بزعمهم أصبحت تتودد للعسكر لتحقيق مكاسب حزبية وذاتية.

وخرجت الدعوة الأولى للتظاهرات المليونية من منظمة أسر شهداء ثورة ديسمبر المجيدة، وهو تجمع مطلبي لأسر الشهداء الذين فاضت أرواحهم في الحراك الثوري السوداني منذ ديسمبر من العام الماضي وصولاً للوضع الراهن، وظلت المنظمة طيلة الفترات الماضية تدعو لتحقيق العدالة والقصاص من قتلة الشهداء، كذلك تحقيق أهداف الثورة التي مات من أجلها أبناؤهم.

سطوة الشارع

ولاء عوض عضو لجان المقاومة بمنطقة جبرة جنوب الخرطوم ترى أن عظمة 30 حزيران/يونيو العام الماضي كانت بنهوض الشعب السوداني واسترداد كرامته بعد ظن العسكر أن ممارسة العنف في فض اعتصام القيادة ثم ترهيب المواطنين والثوار داخل أحيائهم سيوقف عملية النضال، فجاء الرد أجواء مشابهة في الترقب والحذر، وأظهر الشارع أن لا شيء يرهبه أو يوقفه وكان مشهد آخر من مشاهد بطولة الثورة السودانية.

وتشير إلى أن مواكب الثلاثاء المقبل تحمل نفس المعاني بإرجاع قوة الشارع إلى ما كانت عليه لتحقيق أهداف الثورة المجيدة ودعم الحكومة الانتقالية لتحقيق المطالب المؤجلة.

بالنسبة لولاء فالمطالب التي ستخرج من أجلها مجدداً واضحة ويمكن تلخيصها في وقف التراخي في إنجاز وحسم القضايا الأساسية المتعلقة بالقصاص وتقديم رموز النظام البائد لمحاكمات فورية، كذلك محاكمة كل من استغل رتبته العسكرية لحماية الفاسدين، وتعجيل ملف السلام والعمل على إيجاد حلول لتخفيف عبء المعيشة على المواطنين، كذلك الاسراع تشكيل المجلس التشريعي وقبل كل ذلك فرض سيطرة الشارع مرة أخرى.

وفي السياق قال زميلها في لجان المقاومة محمد حيدر التوم إنه أبدى تخوفه من وقوع أحداث عنف مشيرا إلى أن الاعتصام أمام القصر ومجلس الوزراء قد يتسبب في وقوع صدامات أولها مع الشرطة، ثم فلول النظام المقبور، وعاد محمد وأكد هناك لجانا أمنية ستعمل بالتنسيق مع كافة لجان المقاومة لحماية المواكب، والحفاظ على سلميتها.

تعبئة في مواقع التواصل

في مواقع التواصل الاجتماعي يتحدث ناشطون عن حشد فلول النظام السابق لمناصريه في منطقة وسط الخرطوم من الآن، بينما يذهب آخرون بعيداً في التحليل مع ظهور بعض الدبابات والمدرعات العسكرية التي جابت قبل أيام شوارع العاصمة ويقولون إنها احتياطات أمنية لشيء محتمل.

وثمة اختلاف أيضا في مشهد المواكب القادمة عن تلك التي كانت قبل عام، حيث تتسيد الساحة الآن لجان المقاومة من خلال تبني الدعوات وتحريك الشارع، في حين يلاحظ الجميع خفوت القوى السياسية الأخرى في تحالف الحرية والتغيير ويعزي مراقبون ذلك لجهة أن تحالف الحرية والتغيير أصبح يعاني من انقسامات حادة في تنظيمه، فقد جمد حزب الأمة صاحب القاعدة الشعبية الكبيرة نشاطاته في جميع هياكل التحالف الحاكم، وأيضا يعاني تجمع المهنيين وهو جسم كان له دور في قيادة الثورة، من انقسام حاد بعد خروج بعض الأجسام المؤثرة منه مثل تحالف المحامين الديمقراطيين ولجنة الأطباء المركزية وغيرهم وإعلان كيان آخر بنفس المسمى، ولعل ذلك قلل من كفاءة القوى السياسية للثورة، لتلتقط القفاز لجان المقاومة ومنظمة أسر الشهداء لتحريك الشارع وتنسيد المشهد.

ويبدو أن الانقسام في تحالف الحرية والتغيير جعلها تتسابق للالتفاف حول لجان المقاومة والالتزام بالمسارات التي تضعها أو كما فعل الحزب الشيوعي السوداني، الذي أكد في بيان إن النجاح في استكمال مهام الثورة رهين بوحدة قواها الحية داخل وخارج قوى الحرية والتغيير وفي الالتزام بتنفيذ إعلان ميثاق الحرية والتغيير والمواثيق الأخرى المتفق حولها وعلى رأسها البديل الديمقراطي والمجسدة في شعار الثورة الجامع «حرية سلام وعدالة». وقال إن الوحدة المستندة على برنامج إنجاز مهام الفترة الانتقالية هي العامل الحاسم في هزيمة قوى الثورة المضادة، وتجعل كل خلافات قوى الثورة من الممكن حلها، داعياً عضويته بالمشاركة الثلاثاء المقبل والالتزام بالمسارات الموضوعة من قبل لجان المقاومة، وفي نفس الاتجاه ذهبت أحزاب أخرى.

وحول هذه النقطة قال القيادي بقوى الحرية والتغيير مجدي عبد القيوم إن ذاك وضع طبيعي، فالقوام الأكبر من لجان المقاومة يتشكل من المجموعات غير المنتمية وهذه الشريحة تتعاطى السياسة بلا مرجعية نظرية أو تنظيم يحدد لها الخط السياسي الذي يتعامل مع أهداف الثورة. فهي ترى فقط أنه ينبغي أن يتم استكمال أهداف الثورة هكذا، في حين أن الأحزاب كمؤسسات لها مرجعية وأسس تنظيمية تتفهم موازين القوى والتعقيدات السياسية والظروف الموضوعية والتقاطع الاستراتيجي الدولي والإقليمي وأثره في تشكيل المشهد، وهذا الفرق الجوهري في ظل سيادة المناخ الثوري الذي شكلته الثورة.

وقطع مجدي في حديثه لـ«القدس العربي» بالصعود من وتيرة فعل لجان المقاومة وبالتالي علو صوتها، وأشار إلى أن ما يجعل اللجان أكثر قدرة على تمرير خطها هو أن المجموعات الشبابية المنظمة أو المنتمية تدعمها لأسباب موضوعية متصلة بالتجربة والمخزون المعرفي وسيطرة الذهنية الجمعية التي يشكلها الواقع الافتراضي، قائلاً أن ذلك محدد أساسي للفعل وأن السودان ليس استثناء من ظاهرة الشعبوية التي شكلتها الميديا، واستدل بأن البحث عن إجابة للسؤال الذي يطرح نفسه، من الذي أطلق الدعوة لـ 30 حزيران/يونيو؟ يؤكد صحة فرضية سيطرة ذهنية الميديا أو الواقع الافتراضي.

ويرى مجدي أن الفرق بين مواكب العام الماضي في ذات التوقيت والمواكب الآن، أن العام الماضي كانت جذوة الثورة لم تزل متقدة ويمكن أن نقول بوضوح أنها كانت مرحلة الثورة أما 30 يونيو الحالية فتأتي في مرحلة الدولة وهو فرق جوهري.

أما فيما يتعلق بانقسام قوى الثورة تجاه المشاركة ورفضها واحتمالية تشكيل اصطفاف سياسي جديد قال مجدي: «السبب الموضوعي الوحيد هو الحالة الصحية المرتبطة بفيروس كورونا، أما الاختلافات الأخرى فمتصلة قطعا باختلاف المواقف تبعا لاختلاف الرؤى. وفي تقديري أن هذه المرحلة من عمر قوى الثورة لم تدخل بعد مرحلة الاصطفاف، فلا زال جنين المشهد الجديد يتخلق ولم تتضح ملامحه بعد حتى تحدث عملية فرز وإعادة اصطفاف، والشرط الموضوعي لحدوث اصطفاف هو تباين الرؤى وهذا لم يحدث حتى الآن بذلك الشكل السافر».

واستبعد عبد القيوم احتمالية حدوث عنف أو استغلال من قبل فلول النظام البائد، كذلك وجود وجه شبه بين المليونية الحالية وما حدث في مصر أيام حركة التمرد، وقال إن من يتحدثون بهذا أما أن لهم مآرب ينطلقون منها لإرباك المشهد لتمرير مواقف حزبية محددة، أو أنهم لا يعلمون كيف تمضي الأمور في عالم اليوم. فليست هناك إمكانية لاستخدام العنف ولا المؤسسة الرسمية التي ينتمي إليها الفلول بهذا الغباء السياسي» ووصف الأمر بأنه سيناريو في مخيلة بعض المتوهمين. وأضاف بأنه لا يوجد وجه شبه في المشهدين المصري ذاك والسوداني إلا حالة كونها ثورة مع اختلاف جوهري في المحددات والأهداف والتقاطعات الدولية والإقليمية وأثرها في صناعة الأحداث.

ميديا

اليمنيون يدعون إلى طرد التحالف بقيادة السعودية من بلادهم

لندن ـ «القدس العربي»:

أطلق رواد مواقع التواصل الاجتماعي اليمنيون حملة واسعة على موقع تويتر مستخدمين وسم #طرد_تحالف_الشر_مطلب_يمني، في إشارة إلى التحالف السعودي الإماراتي، خاصة بعد أن قامت قوات المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم إماراتياً باقتحام جزيرة سقطرى ومحاولة الاستيلاء عليها.

وطالب مغردون بمحاكمة مسؤولي الإمارات وطرد التحالف من اليمن. وقال أحد المغردين: «إلى كل يمني شريف لا حزبيه لا طائفيه لا مناطقية كلنا يد واحدة لطرد تحالف الشر بالسلاح أو بالكلمة أو بدعاء. حب اليمن يجمعنا». وقال غيره: «التحالف السعودي الإماراتي ضد اليمن، ويريد تقسيم اليمن إلى دويلات مصغره تحكمها ميليشيات تابعة للتحالف، وتريد تهميش دور الشرعية. ماذا تتوقعون بعد ذلك من تحالف الشر غير ذلك المخطط القذر سيلعنهم التاريخ بما جاؤوا به من شر وحقد على اليمن».

واعتبر بعض المغردين أن على التحالف الإدراك بأن اليمنيين لن ينصاعوا لرغباته ومخططاته. وقال مغرد: «نصيحة للمرة الأخيرة، وانا واثق والله مما أقول يا محمد بن سلمان ويا محمد بن زايد، اليمنيون في تركيبتهم ليسوا كالخليجيين، اليمني مثل البسباس، ما يسكت على حق لو تظن أنك تبلع سقطرى والله لا خوف عليها اليمني ربل بايجيبه يعني بايجيبه». فيما قال غيره: «أتحدى الإمارات تحتل شبرا واحدا من اليمن بجيشها دون الرجوع إلى مرتزقتها واقحامهم في الحرب بالوكالة هي تعلم ان اقحمت جيشها في اليمن فسوف يكون أثرا بعد عين». وتابع: «لا يمكن ترميم وجه التحالف القذر بعد انكشاف مخططه في اليمن وهذا الرد المستحق من مواطن مقهور من مدينة عدن».

وقالت مغردة: «اخفت قتل خاشقجي فكشفها الله، واخفت نيتها من حرب اليمن فكشفها الله، واخفت إفلاسها السياسي والاقتصادي فكشفها الله، والحبل على الجرار، وما خفي كان أعظم في السجون أمراء وعلماء وفقهاء ومن يقول نعم ولا».

وشدد مغرد قائلاً: «إسقاط الشرعية غير مقبول ولكن الشرعية الآن في أسر المحتل وتحتاج إلى تحرير، أصبحت اليمن بلا قيادة فعلية، ولمواجهة الاحتلال لا بد من قيادة بديلة مؤقتة لطرد المحتل وإطلاق الشرعية من الأسر». فيما اعتبر غيره أنه «كل من ساعد الحوثين وتآمر على اليمن مصيره الهلاك كذلك الإمارات نفس المصير. الإمارات تريد التطبيع الإسرائيلي في بلادي أو في كل البلاد العربية شيطانة العرب».

وظهرت بعض التغريدات تربط بشكل مؤامراتي بين جماعة الحوثي والسعودية باعتبار أن السعودية داعمة للحركة، إذ قال مغرد: «تحالف دعم الحروب في اليمن هو السبب الرئيسي في زعزعة استقرار وأمن الجمهورية اليمنية. تحالف الشر من يغذي الحروب في كل الجبهات هو الداعم للحوثي ويصل السلاح عبر الانتقالي وهو الداعم للانتقالي. تحالف الشر هو شريان مغذي الحرب في اليمن لجميع الأطراف من أجل ادخال البلد في فوضى لتمرير مخططهم».

وتابع: «أكبر دليل على ذلك الحوثي يمنع في صنعاء أي تظاهر مناهض التحالف السعودي الإماراتي لو كان على عدا معهم لماذا لا يسمح للشعب يتظاهر ضد تحالف الشر والعدوان على الجمهورية اليمنية على جميع الأحرار في اليمن معرفة كلما يدور خلف الكواليس لهذا التحالف الخائن أصبح طرده من اليمن شيء مقدس ولا بد منه».

إلى ذلك، قال مغرد: «باختصار ونحن بنسد والتحالف تخالف واختلاق فتن ودسائس وإنشاء كيانات إرهابية خارج نطاق الشرعية ودعم تلك الكيانات بدون خجل لهو امرٌ فاق تآمر ابن العلقمي بحجة إيران ومطامعها في اليمن ليظهر حقيقة الخسة النجدية!!».

ودعا بعض المغردين إلى مظاهرات ضد التحالف: «إخواني لابد من مظاهرات في جميع محفظات اليمن شمالاً وجنوباً مظاهرات جماهيرية كبيرة لطرد تحالف الغدر والخيانة واجب على كل إنسان يمني من يوم غد حتى خروج هذا التحالف».

وكان وزير الدولة في الحكومة الشرعية، اللواء عبد الغني جميل، قد اتهم الإمارات باتخاذ حزب «الإصلاح» ذو التوجه الإسلامي «شماعة» لتنفيذ مخططات خاصة بها في اليمن. وعبر حسابه الموثق في تويتر، قال جميل الذي هو قيادي في حزب المؤتمر الحاكم مخاطبا الإمارات: «إذا كنتم ضد (حزب) الإصلاح فانزعوا علمه من سقطرى وليس علم اليمن الذي استبدلتموه بعلمكم». وأضاف أن «حزب الإصلاح ضحى بخيرة رجاله في سبيل الدفاع عن كرامة اليمن».

ودعم بعض المغردين هذا الموقف إذ قال أحدهم: «اسمعوا يا قوم والله لو ذبحنا الإصلاحيين من عند اليدومي إلى أصغر عضو في الحزب لن تتوقف الإمارات عن عبثها وتنفيذ مشروعها الاجرامي في اليمن. الإصلاح شماعة فقط لتبرير تواجدها وتنفيذ أجندتها».

تويتر يحظر حسابا سرب سجلات 200 قسم للشرطة حول العالم

لندن ـ «القدس العربي»:

حظر موقع تويتر مجموعة ظهر أنها سربت لسنوات سجلات من 200 قسم للشرطة. وأزال الموقع حساب الإنكار المُوزَّع للأسرار والذي يدعى «دي دو سيكريتس» وهي مجموعة قامت بنشر ما يقارب من 270 غيغابايت من البيانات تحت عنوان «التسريبات الزرقاء» بالإشارة إلى الشرطة الأمريكية. وأضاف تويتر أيضًا صفحة تحذير تظهر إذا نُقر على رابط حالي إلى مجموعة البيانات، وهو يحظر التغريدات الجديدة التي تتضمن الرابط، محذرًا من كونه «قد يكون ضارًا».

ونشرت إمّا بست المنتمية إلى مجموعة «دي دو سيكريتس» الأخبار من حساب منفصل، حسب ما قاله موقع تويتر في بيان لموقع «ذا فيرج» قائلًا: إن دي دو سيكريتس انتهكت القواعد الخاصة بنشر المواد المخترَقة، وقد تم تعليق الحساب. ومع ذلك، فقد أشار موقع «أرس تيكنيكا» إلى أن هذه لم تكن سياسة الموقع دائمًا، مشيرًا إلى أن موقع التسريبات الشهير «ويكيليكس» يمتلك حسابًا في الموقع، مع أنه نشر بيانات حصل عليها من مخترقي اللجنة الوطنية الديمقراطية، ومصادر أخرى.

وقالت بست: «إنهم كانوا قلقين بشأن حظر الروابط أكثر من الحظر نفسه». وأضافت: «عملت دي دو سيكريتس مع عشرات المنافذ الإخبارية الرئيسية في جميع أنحاء العالم، ونشرت تيرابايت من البيانات التي تكشف عن مخططات غسيل الأموال والفساد والمزيد». ووفقًا لتقرير حصل عليه الباحث الأمني والكاتب بريان كريبس، فإن مجموعة بيانات «بلو ليكس» تحتوي على بعض «المعلومات الحساسة للغاية» على سبيل المثال «أرقام توجيه البنوك، بالإضافة إلى رسائل البريد الإلكتروني والمواد الأخرى من أقسام الشرطة في العديد من البلدان».

ويذكر أن تويتر يحظر المعلومات الحساسة كما يحظر أي صور أو مقاطع فيديو تحوي على عنف أو اعتداء أو أي معلومات تصنف حساسة وذلك ضمن سياسة شديدة يحظر فيها أي مادة تخالف سياسته.

نائب يصفه بأنه «مائع ظالم» وآخر يدعو لنشر الأدعية بدل التدوين

موريتانيا: موجة انتقاد متواصلة رفضا لقانون مكافحة التلاعب بالمعلومات

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

دعا نائب موريتاني بارز الموريتانيين إلى ترك التدوين حتى لا يطالهم السجن، والاكتفاء بنشر الأدعية والمواعظ على صفحاتهم، وذلك في خضم موجة انتقاد واحتجاج واسعة يقودها نواب ومدونون ضد قانون أجازته الأغلبية الحاكمة يتعلق بمكافحة التلاعب بالمعلومات بصفة عامة وخلال فترة الانتخابات والأزمات الصحية وغيرها. وصادقت الجمعية الوطنية الموريتانية الخميس على قانون يتعلق بمكافحة التلاعب بالمعلومات يتألف من 13 مادة موزعة على ثلاثة فصول، يتناول الأول منها الأحكام العامة، فيما يتطرق الفصل الثاني للمخالفات والعقوبات المفروضة عليها، في حين يتضمن الفصل الثالث الأحكام النهائية.

وانتقد النائب محمد الأمين ولد سيدي مولود، في مداخلة ساخنة أمام البرلمان القانون الجديد ووصفه بأنه «نص مائع وظالم ومقيد للحريات بشكل صريح، وليست له أي أولوية في هذه الظروف» مشيرا إلى «أنه يتعارض مع قوانين موجودة أصلا في موريتانيا».

وأضاف «إن إجازة هذا القانون جاءت في سياق يعيش فيه الكثيرون ظروفاً سيئة» مشيرا إلى أن الحكومة تسجن المدونين وتترك المفسدين يتجولون في البلاد، لافتاً إلى أن القانون يتعارض مع الدستور الموريتاني ومع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وانتقد النائب محمد بوي ولد الشيخ محمد فاضل إجازة نواب الحاكم للقانون وقال «أغلبية حزب الاتحاد شرعت لكم قانونا ليسجنكم مباشرة، فاختاروا بين عدم التدوين، أو التركيز على نشر الأدعية والأذكار ونحوها، أو غلق حساباتكم أو دخول السجون».

وأشار نواب معارضون في جلسة علنية ساخنة الخميس في مداخلاتهم إلى «ضبابية التعريفات التي يتضمنها القانون مندين بغموضها وعدم دقتها، وإمكانية استغلالها للمساس بالحريات التي يكفلها الدستور».

وقال النواب المعارضون «أن صعوبة الولوج إلى المعلومة يدفع كثيرا من الناشرين لنشر معلومات غير دقيقة» متسائلين عن «ظرفية تقديم هذا النص ومدى استعجال سنه في وقت تمر فيه البلاد بأزمة صحية».

ودافع وزير العدل الموريتاني حيموده ولد رمظان، في عرض أمام النواب، عن القانون المثير وقال «أن الدستور الموريتاني كفل لكافة المواطنين في مادته العاشرة حرية التعبير ضمن الحريات العامة والفردية التي نص عليها» مشيرا إلى أن تلك الحريات تحتاج تنظيما وتفصيلا عبر سن القوانين، وذلك حفاظا على الحق العام من جهة، وسدا لأبواب المساس بحقوق الآخرين من جهة أخرى.

وأشار إلى أن «المنظومة الجزائية المتمثلة في القانون الجنائي المعمول به في موريتانيا تعود لبداية ثمانينيات القرن الماضي، لذلك لم تعد تستجيب لكل ما يمليه الواقع الموريتاني بالنظر لشيوع أنواع من الجرائم في وقتنا الحاضر لم تكن موجودة في حينه، بل لم يكن في الإمكان حتى تصورها» مشيرا إلى أنه من الضروري العمل على مواكبة تطور الجريمة التي ظهرت أنواع جديدة منها تبعا للتحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للبلد، وذلك عبر سن تشريعات تحين ترسانتنا القانونية وتسد الثغرات الملاحظة فيها.

وأضاف «أن أبرز ما استجد في العقود المنصرمة هو الثورة المعلوماتية وما رافقها من ظهور أنماط جديدة من وسائل الإعلام والاتصال، خصوصا وسائل التواصل الاجتماعي التي نقلت حق النشر من الحصر على مؤسسات إعلامية معروفة إلى كل فرد يملك حاسوبا أو هاتفا جوالا».

ولفت وزير العدل النظر «إلى أن السلطات القضائية تلقت في السنوات الأخيرة كثيرا من شكاوى المتضررين من النشر على هذه الوسائط، وغالبا ما تعلن أنه لا وجه لمتابعة تلك القضايا بالنظر لتعذر تكييفها وفق ما هو مسطور في القانون الجنائي الذي لا يتضمن أحكاما تتعلق بجرائم الإنترنت، على الرغم من وجود عقوبات للسب والتشهير والقذف والتحايل والخيانة، وإصدار قانون لمحاربة التمييز وخطاب الكراهية وآخر للجريمة السبرانية».

وقال «إنه من غير المقبول ترك أعراض الناس وممتلكاتهم ومصالحهم عرضة للنيل منها بسبب هذه الظاهرة التي تتزايد بشكل مضطرد، خصوصا في أوقات الأزمات ومواسم الانتخابات، وتؤثر على السكينة العامة والسلم الأهلي وتستهدف الأفراد والمؤسسات وتضر بالمصالح العليا للبلد».

يوتيوب تبدأ تجربة الفيديو القصير

لندن ـ «القدس العربي»:

أعلن موقع يوتيوب البدء بتجربة ميزة جديدة في تطبيقه المخصص للأجهزة المحمولة ستسمح للمستخدمين بتسجيل مقاطع فيديو قصيرة على نحو يحاكي تجربة تطبيق تيك توك. وأوضحت شركة غوغل في بيان على مدونتها أن «الميزة الجديدة تسمح لمنشئي المحتوى بتسجيل مقاطع فيديو قصيرة متفرقة، ثم جمعها في مقطع واحد لا تتجاوز مدته 15 ثانية» وهي المدة الافتراضية ذاتها لتطبيق تيك توك بالإضافة إلى تطبيق ريلز الجديد من إنستاغرام الذي يستنسخ تجربة تيك توك أيضاً.

وقال الموقع إن «المستخدمين سيرون خيارًا جديدًا تحت اسم (أنشئ مقطع فيديو) في قسم تحميل مقاطع الفيديو عبر تطبيق يوتيوب في الأجهزة المحمولة».

وعلى غرار «تيك توك» سيتمكن المستخدمون من الضغط على زر لتسجيل مقطع الفيديو، ثم يرفع الأصبع عن الشاشة لإيقاف التسجيل، ومع تكرار هذه العملية لإتمام مدة المقطع البالغة 15 ثانية، ثم يجمع تطبيق يوتيوب المقاطع القصيرة لإنشاء مقطع واحد ونشره. ولن يكون بإمكان المستخدمين تسجيل مقاطع مدتها أكثر من 15 ثانية ولكن بإمكانهم تسجيل المقاطع الأطول بالكاميرا وتحميلها. ولم تكشف غوغل عن المزيد من التفاصيل، ويتساءل موقع «آي آي تي» التقني: «هل سيتضمن لاحقًا المزيد من الضوابط والميزات المتعلقة بمقاطع الفيديو القصيرة، مثل: المرشحات، والتأثيرات، والواقع المعزز، والخلفية الصوتية، أو زرًا لتغيير سرعة الفيديو، وهي الميزات التي تجعل تيك توك مميزًا وتصعب منافسته؟».

يُشار إلى أن هذه ليست المرة الأولى التي يسعى فيها يوتيوب لمنافسة خدمات الفيديو القصير، فبعد صعود قصص إنستاغرام المبنية على قصص سنابشات، بين عامي 2016 و2017 أطلق يوتيوب ميزة مقاطع الفيديو القصيرة، ولكنها لم تنجح في منافسة إنستاغرام كما ينبغي، كما أنها لم تمنع من صعود تيك توك التي تختلف من ناحية ميزات الإنتاج. وأكد يوتيوب أن مقاطع الفيديو التي ستُحمَّل في الاختبار الجديد لن تُحمَّل بوصفها من (القصص) ولكنه لم يعطِ تفاصيل تتعلق بكيفية اكتشاف مقاطع الفيديو القصيرة الجديدة في تطبيق يوتيوب. ويقول الموقع: «إن اختبار الميزة الجديدة بدأ مع مجموعة صغيرة من منشئي المحتوى عبر كل من أندرويد، وآي أو إس وأشار متحدث باسم الشركة إلى أن الاختبار هو أحد الاختبارات العديدة التي أُجريت في مجال الفيديو القصير.

علوم وتكنولوجيا

دراسة جديدة تظهر أن بيض الديناصورات تطور من اللين إلى الصلب

لندن – «القدس العربي»:

أشارت دراسة جديدة نشرتها دورية «نيتشر» إلى أن بيض الأجيال الأولى من الديناصورات كان «طريًا» على عكس الاعتقاد السائد على مدار الحقب التاريخية المختلفة، بأن قشرته صلبة. واعتمدت الدراسة، التي نفذها المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وجامعة ييل على تطبيق مجموعة من الأساليب الجيوكيميائية المتطورة لتحليل تركيبة بيض نوعين من الديناصورات غير الطائرة، تفصل بينهما فترة زمنية كبيرة.

وجدت الدراسة، حسب مجلة «للعلم» الأمريكية، أن البيض الذي تمت دراسته يتشابه مع بيض السلاحف من حيث تركيبته المجهرية وتكوينه وخصائصه الميكانيكية. وتوصلت إلى أن من المرجح أن يكون قد تطور على ثلاث مراحل على الأقل حتى وصل إلى نموذج القشرة الصلبة.

وقال مارك نوريل، رئيس قسم الحفريات المتحجرة بالمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، والمؤلف الرئيسي للدراسة: «كان الاعتقاد السائد دائمًا أن بيض الديناصورات قشرته صلبة. وعلى مدار الـ20 عامًا الماضية، عثرنا على بيض ديناصورات حول العالم، ولكنه في غالبيته يمثل 3 مجموعات فقط، وهذه المجموعات هي ديناصورات ثيروبودا، التي تشمل الطيور الحديثة، وهادروسورس، مثل ديناصور منقار البط، وديناصورات صوروبودا المتقدمة، المعروفة بطول العنق».

وأضاف: «كشفنا من خلال هذه الدراسة أن حفريات بيض الديناصورات الذي عثرنا عليه كان طريًا وقشرته لينة».

وأشارت الدراسة إلى أن من ضمن رباعيات الأطراف من فصيلة السلوبات، أنواع من الطيور والتيروصورات والزواحف، وتضع جميعها بيضاً يحتوي على غشاء داخلي، وظيفته منع جفاف الجنين. ويذكر أن بعض الأنواع كالسلاحف والسحالي والثعابين تقوم بوضع بيض بقشرة لينة، في حين تضع أنواع أخرى كالطيور بيضًا بقشرة صلبة شديدة التكلس.

وقال نوريل: «يمثل تطور البيض ذي القشرة المتكلسة، الذي يمكنه توفير حماية أكبر ضد مختلف التهديدات والضغوطات البيئية، علامة بارزة في تاريخ السلوبات. ويُعتقد أنه أسهم في نجاح عملية التكاثر، وبالتالي في انتشار هذه المجموعة وتنوعها. ومن المعروف منذ مدة طويلة أن البيض ذا القشرة الصلبة تطور في ديناصورات ثيروبودا قبل فترة طويلة من نشأة الطيور، وظهر ذلك أيضًا في مجموعتين أخريين من الديناصورات». وتابع: «إننا هنا نُظهر أن هذه التطورات حدثت بشكل منفصل، وهذا ما يوضح كيف يمكن لعملية التطور أن تسمح للكائنات الحية بالتكيف، وفق طرق متشابهة، مع الظروف البيئية الجديدة».

وأوضح ديفيد فاريشيو، من جامعة ولاية مونتانا، وهو أحد المشاركين في الدراسة، لـ«للعلم» أن من المعتقد أن «بيض السلوبات تطور أولًا في نوع ديناصور بنسلفانيا، ولكن لم يتم العثور على أي حفريات لهذا البيض حتى العصر الترياسي، الذي يمتد إلى ما بين 180 و230 مليون سنة». وأضاف: «اختلف العلماء حول ما إذا كان بيض السلوبات قد تطور مبكرًا قبل ذلك، ورغم أن الدراسة لم تتطرق إلى هذا الأمر بشكل مباشر، إلا أنها رجحت أن البيض ذا القشرة اللينة، والذي كان من الصعب الحفاظ عليه، ربما كان سائدًا في العصر الترياسي». وبحكم أن من النادر أن ينتبه الباحثون إلى قشرة لينة خلال أعمال الحفر، كان من الصعب دراسة آلية انتقال القشرة اللينة إلى الصلبة. ولأن الطيور الحديثة، وهي تعد امتدادا للديناصورات، تضع بيضًا بقشرة صلبة، استنتج العلماء أن هذه النوعية من القشرة تميز بيض جميع الديناصورات غير الطائرة.

وأشارت «للعلم» إلى أنه «لجأ الباحثون إلى دراسة حفريات بيض يحتوي على جنين لنوعين من الديناصورات، الأول بروتوسيراتوبس، وهو ديناصور بحجم الأغنام من آكلات النبات، عاش في المنطقة المعروفة حاليًا باسم منغوليا، منذ ما يتراوح بين 71 و75 مليون سنة، والثاني موسوروس، وهو ديناصور طويل العنق يتغذى على النبات أيضًا، ويصل طوله إلى 20 قدمًا، عاش في المنطقة المعروفة باسم الأرجنتين، قبل ما يتراوح بين 208.5 و227 مليون سنة».

وأظهرت الدراسة أن عينة بروتوسيراتوبس محفوظة بشكل استثنائي تحتوي على 12 بيضة وجنينًا على الأقل، تحتفظ 6 بيضات منها بهياكلها العظمية شبه كاملة، «وظهر معظم هذه الأجنة، التي تميزت بعظامها وأطرافها المرنة، في الوضع نفسه الذي تتخذه الحيوانات في أثناء نموها داخل البويضة، واكتشف الباحثون وجود هالة سوداء وبيضاء تنتشر على شكل بيضة، تحجب أجزاءً من الهيكل العظمي للجنين».

في المقابل، وجد فريق الدراسة أن اثنين من صغار بروتوسيراتوبس حديثة الولادة، خلت من الهالات المعدنية إلى حدٍّ كبير، وبنظرة فاحصة، وجد الباحثون بقايا بروتينية حدثت لها تغيُّرات كيميائية، من المادة نفسها التي تشكل القشرة الداخلية للبيض لجميع أنوع السحالي الحديثة من نوع الأركوصورات، وقد تطابقت النتائج نفسها بالنسبة لعينات النوع الثاني موسوروس. وأشارت للعلم أنه «عند مقارنة التركيب المعدني البيولوجي الجزيئي لبيض الديناصورات مع بيانات تركيب قشرة البيض للحيوانات الأخرى، وذلك يتضمن السحالي والطيور والسلاحف، توصلت الدراسة إلى أن قشر بيض ديناصورات بروتوسيراتوبس وموسوروس، لا يحتوي على معادن بيولوجية، بل كان طريًا ونامعًا».

علماء الفلك يكتشفون أن الثقوب السوداء تسرب الضوء عند اصطدامها ببعضها البعض

لندن – «القدس العربي»:

اعتقد علماء الفلك على مدى السنوات الماضية بأن الثقوب السوداء لا تسرب الضوء عندما تصطدم ببعضها البعض، أثبت بحث جديد عكس ذلك. ورصد علماء الفلك عبر استخدام مقياس التداخل فيرغو «مقياس تداخل العذراء» وهو أداة علمية عبارة عن ليزر علاق لقياس التداخل مصممة للكشف عن الأمواج الثقالية التي تنبأت بها نظرية النسبية العامة، ومرصد الموجات الثقالية بالتداخل الليزري، موجة جاذبية مرافقة لاندماج ثقوب سوداء، أطلق العلماء عليها اسم «إس 190521 جي». وقاموا على مدى سنوات، بدراسة البيانات التي جمعت عبر الاستعانة بمرصد «زويكي العابر» المعروف اختصاراً باسم زي تي اف، وهو مشروع مسح هوائي تلقائي يدار من مرصد «بالومار» التابع لمعهد كاليفورنيا للتقنية، واكتشفوا أن هناك ضوءا صادرا عن تلك الظاهرة، وفق الدراسة التي نشرت نتائجها في مجلة «فيزيكال ريفيو ليترز».

وحسب عالم الفلك ماثيو غراهام من معهد كاليفورنيا للتقنية، فإنه ليس من العادي أن يصدر الضوء من اندماج الثقوب السوداء، «ويتم رصده من خلال رصد موجات جاذبية، بخلاف النجوم النيوترونية والتي ينجم عن تصادمها أشعة تحت حمراء وفوق بنفسجية وسينية وغاما وموجات راديو». وحسب ما ذكر موقع «غيزمودو» المتخصص بالأخبار العلمية والتقنية، فإن الظاهرة «إس 190521 جي» حدثت قرب الثقب الهائل في مركز مجرتنا درب التبانة، حيث يحيط بالثقب قرص مملوء بالغاز والغبار والنجوم النيوترونية والثقوب السوداء الأصغر حجما.

ووصف عالم الفلك والمؤلف المشارك في الدراسة، كي سافيك فورد من جامعة مدينة نيويورك، الظاهرة بالحدث الفلكي المميز، حيث تسبب الغاز المتدفق في إحداث فجوة بالثقب الأسود، الأمر الذي أثار رد فعل مع الغاز المحيط، ونتج عن ذلك توهج ساطع. وسيعكف العلماء على مراقبة عمليات اندماج الثقوب السوداء عن كثب في السنوات المقبلة لرصد المزيد من الحوادث المشابهة، رغم وجود صعوبات تتمثل في صعوبة تمييز الثقوب عن النجوم النيوترونية في حال تصادمها.

بخطوة تحصن خصوصية المستهلك آبل تعرض صانعي التطبيقات للخطر

لندن – «القدس العربي»:

تعرض شركة آبل تعرض صانعي التطبيقات للخطر عبر ضوابط للخصوصية تحارب الإعلانات المستهدفة في أحدث إصدار من نظامها التشغيلي آي أو إس 14 بحيث ستسبب الخطوة التي أعلنت عنها آبل حديثًا في حدوث انخفاض كبير في عدد التطبيقات المجانية الممولة من الإعلانات ضمن متجر «آب ستور».

وأوضحت لي فرويند الرئيسة التنفيذية لمجموعة «نيتوورك ادفيرتايزنغ انيشياتيف» أن تحرك الشركة المصنعة لهواتف آيفون كان مدفوعًا بحسابات مالية، إذ قالت إن «آبل تستفيد إذا فرضت المزيد من التطبيقات رسومًا على خدماتها». ويفرض الإصدار الجديد من نظام التشغيل آي أو إس 14 من المالكين الموافقة على طلب الوصول عندما يريد تطبيق ما استخدام معرف الجهاز، وهو رقم فريد يستخدم لتتبع أيفون عبر التطبيقات ومواقع الويب وتقديم الإعلانات بناءً على سجل التصفح. ويتعين على التطبيقات طلب الوصول عند تثبيت التطبيق لأول مرة، بالطريقة نفسها التي يجب من خلالها الموافقة على وصول التطبيق إلى جهات الاتصال أو الموقع أو الصور. وأشار موقع آبل أي تي التقني إلى أن «يؤثر هذا التغيير، الذي يمنح مستخدمي آيفون مزيدًا من التحكم في بياناتهم، على الشركات التي تبيع البيانات المستخدمة لربط الأجهزة بمعلومات تعريف أخرى، مثل عناوين البريد الإلكتروني. وتوسع هذه الخطوة محاولة آبل لمنح المستخدمين مزيدًا من التحكم في بياناتهم، وتأتي بعد إدخال ميزات، مثل خوارزميات منع التتبع في متصفح الويب سفاري».

وقالت آبل، والتي تسوق للخصوصية كنقطة بيع رئيسية لأجهزتها إنها «ترحب بالتطبيقات التي تدعم الإعلانات، لكن يجب أن يكون المستخدمون على دراية إذا تم تتبعهم، موضحة أنها تعمل أيضًا على توسيع أداة للمطورين تسمح لها باستهداف الإعلانات بشكل أفضل من دون معرفة هوية المستخدمين».

وأضافت الشركة أن «قرارها بمطالبة التطبيقات بالحصول على موافقة للتتبع كان جزءًا من عملية استمرت لسنوات طويلة لتحسين الخصوصية عبر خدماتها وكانت قيد التطوير منذ بعض الوقت». إلا أن فرويند اعتبرت أن المستهلكين سيخلقون صعوبات اقتصادية لمطوري التطبيقات الذين يعتمدون على الإعلانات.

وقالت: «من المحتمل أن يتسبب هذا في انخفاض كبير في توافر التطبيقات، حيث أظهر المستهلكون تفضيلهم للمحتوى الرقمي المدعوم بالإعلانات، وخاصة التطبيقات المجانية منخفضة التكلفة، التي تهيمن على سوق التطبيقات وتسمح بتحقيق ازدهار اقتصادي في مجال الأجهزة المحمولة.» وحسب فرويند، فإن خطوة آبل الجديدة تؤدي إلى إضعاف نموذج الإيرادات المدعوم بالإعلان، الذي أدى إلى توفير الكثير من التطبيقات المجانية، وسيضطر مطورو التطبيقات إلى فرض رسوم على المستهلكين مقابل تطبيقاتهم، وكذلك المحتوى داخل التطبيق، لتعويض عائدات الإعلانات المفقودة.

«أيسر» تطلق سلسلة من أجهزة الكمبيوترات المصممة للاستخدام «في الهواء الطلق»

لندن – «القدس العربي»:

أطلقت شركة أيسر سلسلة جديدة من أجهزة الكمبيوترات المحمولة والأجهزة اللوحية المصممة ليتم استخدامها في الهواء الطلق. وتدعي الشركة أن منتجات «إندورو» يمكنها أن تصمد في حال سقطت كما أنها تتحمل درجات الحرارة الشديدة ومجهزة آليات واقية للماء، في حين تبقى محمولة بما يكفي للتجول بها.

ويعد النموذج الأكثر إثارة للاهتمام في الخط الجديد، حسب موقع «آي تي» التقني هو إندورو إن 3 بحيث سيكون هذا الكمبيوتر متاحًا في أمريكا الشمالية في شهر آب/أغسطس. وقالت أيسر إن أندورو إن 3 «مخصص للعمال الذين يتنقلون بين مواقع متعددة، مثل المهندسين المعماريين ومخططي الأحداث». ويأتي الكمبيوتر بشاشة بقياس 14 إنشًا، وبوزن 1.9 كيلوغرامًا، وبسماكة 0.98 إنش، وبالتالي فإن إندورو إن 3 ليس الأخف وزنًا، لكن يجب أن يكون من السهل حمله. وحصلت إندورو إن 3 على شهادات ميل–اس تي دي 810 جي وآي بي 53 بحيث تضمن الشهادة الأولى متانته ضد الحوادث، مثل الصدمات والسقوط والاهتزازات، فيما تعني الثانية أنه يمكن أن يتحمل كميات معينة من الغبار والماء. ويتضمن الكمبيوتر المحمول أيضًا ما تسميه أيسر باسم أكوافان، الذي يصد الماء من جميع الزوايا من داخل الجهاز. وقال أندرو تشوانغ، المدير العام للحوسبة الوعرة لشركة أيسر، في بيان: «مع وجود قوة عاملة حديثة بشكل متزايد، يتم نشر المزيد والمزيد من الأجهزة المحمولة في الميدان حيث تخضع لمعاملة أكثر صرامة». وأضاف: «تم بناء إندورو، خطنا الجديد من أجهزة الكمبيوترات المحمولة والأجهزة اللوحية الوعرة، لتزويد عملائنا بالمتانة والأداء الذي ينجز المهمة».

وفي المؤتمر الصحافي لشركة أيسر، قام مختبرو الشركة بتثبيت نموذج إندورو تحت الماء وأثبتوا بعد ذلك أنه لا يزال يعمل بكامل طاقته، ولا تزال لوحة المفاتيح مضاءة. وبالحديث عن المواصفات، يمكن الحصول على الجيل العاشر من معالجات إنتل كور آي 7 و32 غيغابايت من ذاكرة الوصول العشوائي من نوع دي دي أر4 و512 غيغابايت من مساحة التخزين الداخلية، وهناك أيضًا وحدة معالجة رسومات نفيديا إم إكس 230 اختيارية. وزودت الشركة الكمبيوتر المحمول بعدد من أدوات الأمان، من ضمنها أي إي إم إس، وهو نظام يساعد العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات على إدارة الأجهزة بشكل أفضل عبر شركاتهم. ويمكن استخدام هذا النظام للقيام بأشياء، مثل تمكين الوصول عن بعد إلى المنافذ والكاميرات وتعطيلها، ومراقبة الأجهزة وبرامج النظام. ودفع البرامج عن بُعد مثل تغييرات «بيوس» أو تحديثات ويندوز للجميع.

كوفيد-19 ومصانع تجهيز اللحوم

باتت مصانع اللحوم حول العالم بؤرا لتفشي كورونا المستجد خصوصا في ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة

سارس-كوف-2
ينتشر بشكل أساسي من شخص إلى آخر عن طريق رذاذ الإفرازات التنفسية

العوامل المؤثرة

ظروف العمل

تواجد العمال قرب بعضهم البعض لفترات طويلة داخل المصنع

تطلب العمل للجهد البدني

صعوبة اتباع إرشادات الوقاية الخاصة بالتعقيم

صعوبة وضع الكمامات بشكل صحيح أثناء العمل

صعوبة وضع حواجز بين الأفراد

زيادة خطر انتشار الرذاذ المُلوّث جوا بسبب أنظمة التهوئة

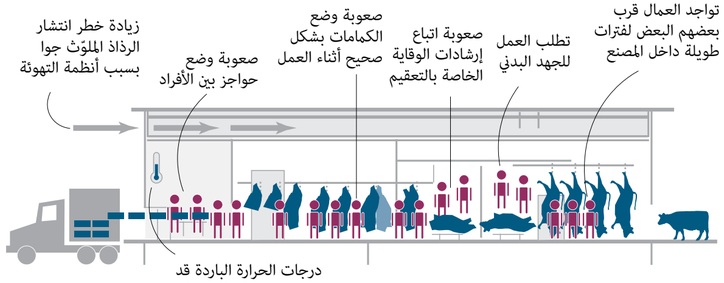

درجات الحرارة الباردة قد تطيل مدة بقاء الفيروسات خارج الأجسام

الظروف الاقتصادية والاجتماعية

- نددت نقابات وجماعات الدفاع عن حقوق الإنسان بانخفاض الأجور وعدم كفاية المنافع، ما يُصعّب على الموظفين إمكانية الحصول على إجازة مرضية
- العمال الذين يتقاضون أجورا منخفضة يتشاركون السكن أو يعيشون في منازل صغيرة وبالقرب من بعضهم البعض، في مواقع ومجمعات صغيرة
- العمال الذين يتقاضون أجورا منخفضة هم عرضة للإصابة أثناء تنقلهم في سيارات مشتركة أو في حافلات تابعة للشركة أو في وسائل النقل العام
- تلعب اللغة دورا مهما لناحية صعوبة شرح الإرشادات التوجيهية الصحية للعمال الأجانب

المصدر: fao.org/cdc.gov/wired.com

AFP

اقتصاد

انهيار أسعار الغاز المسال: الفرص والتحديات للدول العربية المصدرة

إبراهيم نوار

خلال الاسبوع الماضي هبطت أسعار الغاز المسال في أسواق الولايات المتحدة وشمال غرب أوروبا والشرق الأقصى إلى أقل مستويات من 25 عاما، حتى أن سوق الغاز الأمريكي سجلت 1.3 دولار للمليون وحدة حرارية، في حين أن أسواق أوروبا والشرق الأقصى تراجعت إلى هامش محدود فوق الدولارين، وهو ما يغطي بالكاد تكاليف استئجار ناقلات الغاز من محطات الإسالة في الدول المنتجة إلى مراكز التصدير الرئيسية. معدل الهبوط في أسعار الغاز المسال حتى الآن يتراوح بين 50 إلى 60 في المئة منذ بداية العام الحالي، ولا تبدو في الأفق مؤشرات قوية على أن السوق قد تنتعش بما يرفع الأسعار إلى مستوياتها التي كانت قبل جائحة فيروس كورونا. وما تزال أسعار العقود الآجلة حتى اب/أغسطس تدور حول دولارين، لكنها ستبدأ في الارتفاع بعد ذلك حيث سجلت عقود الشرق الأقصى (اليابان وكوريا الجنوبية) 3 دولارات للمليون وحدة حرارية، وهو ما يقل بنسبة تتجاوز 30 في المئة عن أسعار شهر شباط/فبراير التي كانت قد وصلت إلى 4.4 دولار للمليون وحدة حرارية.

هذا المستوى المتدني لأسعار الغاز المسال يترك آثارا مالية قاسية على الدول العربية المنتجة للغاز المسال مثل قطر والجزائر والإمارات وسلطنة عمان ومصر. وقد اضطرت شركات الغاز الوطنية والأجنبية العاملة في هذه الدول، إلى تخفيض نشاطها، وتقليص استثماراتها بنسب تتراوح بين 30 إلى 50 في المئة وتأجيل مشاريع التوسع والإستثمارات الجديدة. بل إن مصر اضطرت إلى تخفيض الإنتاج، على الرغم من توفر الغاز ووجود طاقات عاطلة في محطات الإسالة، بسبب تدهور الأسعار العالمية إلى ما دون السعر المستهدف للتصدير والذي حددته مصر بخمسة دولارات على الأقل للمليون وحدة حرارية، وهو سعر يغطي بالكاد تكاليف استخراج الغاز التي تدفعها مصر للشركات الأجنبية. وحيث أن الأسعار الحالية والمتوقعة حتى نهاية العام الحالي تقل عن ذلك السعر، فإن مصر ستخسر في العام الحالي كل أو معظم الحصيلة المستهدفة من تصدير الغاز المسال، التي بلغت في العام الماضي حوالي 1240 مليون دولار حسب الإحصاءات الرسمية. ويقدر الاتحاد العالمي للغاز كمية صادرات مصر من الغاز المسال إلى الأسواق العالمية في عام 2019 بنحو 3.5 مليون طن بنسبة 1 في المئة من الصادرات العالمية، مقابل 1.4 مليون طن فقط في العالم 2018. وتمثل هذه الصادرات كلها أو النسبة الأعظم منها حصة الشريك الأجنبي.

مراجعة شاملة

في الجزائر قررت الحكومة تخفيض استثمارات سونطراك في العام الحالي إلى 7 مليارات دولار مقابل 14 مليارا في العام الماضي. وقد احتلت الجزائر المركز السابع عالميا بين مصدري الغاز المسال في العالم، حيث صدرت ما يقرب من 16.6 مليون طن بما يزيد عن ضعف صادرات الإمارات من الغاز المسال التي بلغت 7.7 مليون طن.

وقد أعلنت شركات النفط والغاز المحلية والأجنبية العاملة في الإمارات منذ آذار/مارس الماضي تخفيضات في الإنفاق الإستثماري، بل إن بعضها مثل شركة إيني الإيطالية أعلنت أنها بدأت مراجعة شاملة لكل عملياتها في الشرق الأوسط، ومنها استثماراتها المشتركة مع شركاء محليين أو دوليين في الإمارات.

منصة للغاز المسال في أمريكا

لكن الصورة تختلف في كل من سلطنة عمان وقطر عنها في بقية الدول العربية المصدرة للغاز، مع اختلاف الأسباب، حيث تتمتع قطر بفوائض مالية ضخمة وفرص هائلة وغير مكلفة للتوسع الاستثماري، في حين أن سلطنة عمان ترتبط بعقود تصدير طويلة الأجل تحميها إلى حد كبير من تقلبات السوق، كما تتمتع بطلب محلي قوي، يعزز من جدوى زيادة الاستثمارات.

في سلطنة عمان تستهدف شركة تنمية الغاز المسال زيادة استثماراتها من أجل زيادة الإنتاج في العام المقبل 2021 بنسبة 10 في المئة لمقابلة خطط التوسع في الصادرات في الأسواق الآسيوية الرئيسية مثل كوريا واليابان، والتوسع في الأسواق الأوروبية المتعطشة للغاز مثل تركيا. وقد سجل إنتاج الغاز المسال في عمان زيادات مستمرة خلال السنوات الأخيرة، وهو ما ساعد على تغطية احتياجات الطلب المحلي المتزايد لتشغيل محطات الكهرباء، ويوفر في الوقت نفسه إمدادات كافية للتصدير. ونتيجة للتوسع في الإنتاج فقد ارتفعت الصادرات في العام الماضي إلى 10.3 مليون طن ومن المستهدف أن تزيد إلى 11.4 مليون طن في العام المقبل 2021 حيث تقوم شركة بيكر هيوز الهندسية الأمريكية بأعمال تطوير قطاع الغاز المسال وفق خطة زمنية محددة. وترتبط عمان بعقود تصدير طويلة الأجل مع اليابان التي تحصل وحدها على 40 في المئة من الإنتاج، كما تشتري كوريا الجنوبية أكثر من 4 ملايين طن سنويا، وتحصل شركة بريتش بتروليوم على 1.1 مليون طن. وتواجه عمان طلبا محليا قويا على الغاز الطبيعي، مما يحفز الشركات على التوسع الاستثماري لزيادة القدر المتاح لإنتاج الغاز المسال؛ لأن البديل لذلك سيكون الإقتطاع من الغاز المسال المتاح للتصدير، وهو ما ليس في مصلحة عمان إذا كانت تريد زيادة حصتها في السوق العالمية والمحافظة على عقود التصدير طويلة الأجل في الأسواق الخارجية، خصوصا وأن معادلة التسويق العمانية للغاز المسال تحرص على ألا تزيد نسبة التعامل في الأسواق الفورية عن 10 في المئة من الصادرات، وذلك لتجنب تقلبات الأسعار.

فتح أسواق جديدة

أما قطر فإنها اتجهت إلى توظيف نسبة من فوائضها المالية لزيادة طاقاتها الإنتاجية والتصديرية، لمساعدتها على مواجهة المنافسة الشرسة التي تخوضها ضد إستراليا، التي تطاردها للحصول على المركز الأول عالميا. وعلى الرغم من انخفاض إيرادات التصدير، وتخفيض الإنفاق الإستثماري لشركة قطر للبترول بنسبة 30 في المئة فإن هذا التخفيض لن يمس المشروعات التي قد تؤثر على الإنتاج أو التصدير أو التنمية المستقبلية. وتعتزم قطر المضي قدما في اتجاهين، الأول هو زيادة طاقة استخراج وإسالة الغاز الطبيعي، والإتجاه الثاني هو التوسع في تسهيلات النقل للمساعدة على الوصول إلى أسواق الصادرات الرئيسية في العالم، مع العمل على فتح أسواق جديدة.

وتتضمن هذه الإستراتيجية ضخ استثمارات جديدة لزيادة طاقة الإنتاج إلى 110 ملايين طن من الغاز المسال خلال السنوات الثلاث المقبلة، تزيد إلى 126 مليون طن بحلول عام 2027. وعلى الرغم من أن ظروف السوق الحالية أدت إلى إبطاء معدل تنفيذ الاستثمارات، فإن قطر استطاعت بالفعل أن تجذب قائمة تضم 6 من كبريات الشركات العالمية من بينها إكسون موبيل وشيفرون وكونوكو فيليبس، للمشاركة في تطوير الإنتاج في حقل الشمال العملاق وإنشاء محطتين جديدتين للغاز المسال.

وفي محور توسيع طاقة النقل اتجهت قطر مؤخرا إلى زيادة إسطول ناقلات الغاز المملوك لشركة ناقلات الغاز القطرية، بما يسمح لها بمرونة التحرك في البحار والمحيطات والوصول إلى أسواق العالم بسرعة وبأقل قدر من التكلفة. وفي هذا السياق تعاقدت مع كبريات ترسانات بناء السفن والناقلات العالمية في الصين وكوريا الجنوبية لبناء أسطول جديد متكامل من الناقلات العملاقة الأحدث في العالم، يفوق كل ما تملكه قطر حاليا من ناقلات للغاز كما وكيفا. ففي نيسان/إبريل من العام الحالي تعاقدت مع إحدى الشركات الصينية بقيمة 3 مليارات دولار لبناء ناقلات للغاز من الجيل الرابع بالمواصفات الأحدث في العالم تتمتع بقدرات التخزين العائم والتغيير، أي تحويل المخزون السائل إلى غاز. وبعد ذلك بعدة أسابيع وقعت أكبر عقد في تاريخ صناعة بناء ناقلات الغاز مع مجموعة من الشركات الكورية العملاقة «دايو وهيونداي وسامسونغ» لبناء 100 ناقلة غاز حديثة يبلغ متوسط سعر الواحدة 192 مليون دولار.

وعلى ذلك فإن قطر التي تستحوذ حاليا على 12 في المئة من أسطول ناقلات الغاز في العالم، ستضاعف عدد الناقلات المملوكة لها بحلول العام 2027 من 74 ناقلة حاليا إلى 190 ناقلة بزيادة نسبتها 155 في المئة. وقد بادرت قطر بالتعاقد على بناء هذه الناقلات في وقت تشهد فيه صناعة الناقلات ركودا عالميا بسبب نقص الطلب وتراجع الاستثمارات، وهو ما ساعدها على تحقيق وفورات كبيرة جدا في قيمة التعاقدات مع الشركات الكورية والصينية. هذا التوسع الضخم في القدرة على نقل الغاز بناقلات وطنية يسمح لقطر بالتحكم في جداول تسيير الناقلات وتكلفة النقل وسهولة الوصول إلى الأسواق المختلفة، بما يخلق استراتيجية مدمجة للاستخراج والإسالة والتسويق.

وعلى الرغم من أن المستوى الحالي للاسعار في أسواق الغاز المسال ليس مشجعا على زيادة الاستثمارات بشكل عام، فإن الدول التي تتمتع بفوائض مالية كافية، وبعقود طويلة الأجل قوية تستطيع توظيف المزيد من الاستثمارات بدون قلق، لأنها تستطيع الحصول على أفضلية سعرية في التعامل مع الشركات المنفذة للتوسعات الاستثمارية، بما يساعدها على الاستجابة بسرعة لزيادة الطلب عندما يعود الاقتصاد العالمي إلى النمو بنسبة أكبر في العام المقبل.

غزة: تأخر صرف الرواتب يلقي بثقله على كاهل موظفي السلطة

إسماعيل عبدالهادي

تخلو الأسواق المنتشرة في جميع محافظات قطاع غزة من الزائرين، بسبب تأخر صرف رواتب موظفي السلطة الفلسطينية في المحافظات الجنوبية والشمالية. واشتكى أصحاب المحال التجارية والأعمال المرتبطة بالأجرة اليومية في قطاع غزة، من التراجع الحاد في القوة الشرائية لدى المواطنين في أسواق القطاع، فيما مازالت الحكومة لم تحدد موعداً لصرف رواتب موظفيها العموميين في غزة والضفة الغربية، رغم قرب دخول موعد راتب الشهر الثاني، ما ينذر بتدهور الأوضاع الاقتصادية أكثر مما هي عليه في القطاع. وشكل تأخر صرف راتب الموظفين عن شهر أيار/مايو الماضي حالة من الترقب والقلق في صفوف الموظفين حول مصير رواتبهم.

وقال رئيس الوزراء الدكتور محمد اشتية في تصريحات سابقة، «إن حكومته لن تكون قادرة على دفع رواتب الموظفين العموميين حتى نهاية شهر حزيران/يونيو الجاري» منوهاً إلى أن السبب في ذلك تعنت الاحتلال في تحويل أموال الضرائب الفلسطينية، وبين أن إسرائيل كانت تحول تلك الأموال تلقائياً من دون الرجوع للحكومة الفلسطينية، والآن طلبت من الحكومة الحديث معها مقابل تحويل الأموال، وتشكل عائدات الضرائب حوالي 63 في المئة من إجمالي الإيرادات العامة الفلسطينية.

وانعكس تأخر صرف الرواتب على المواطنين بشكل كبير، وذلك بعد أن قررت بعض المحلات التجارية وقف الدين نتيجة تراكمها، فيما سادت حالة من الامتعاض الشديد لدى أصحاب السوبر ماركت، نتيجة تأخر الموظفين عن سداد ديونهم المتراكمة، كما وألقت بظلالها على توفير الحاجات الأساسية للعائلات، بالإضافة إلى اهتزاز القوة الشرائية في الأسواق.

ويشير تقرير لمركز «الميزان» لحقوق الإنسان في غزة، إلى أن نسبة الأسر التي تعاني من انعدام الأمن الغذائي في القطاع غزة اقتربت إلى ما نسبته 73 في المئة على الأقل، مشيراً إلى أن الأوضاع الإنسانية تشهد تدهوراً كبيراً، نتيجة الحصار الإسرائيلي المفروض على القطاع، والقيود على الأنشطة الاقتصادية لمنع انتشار جائحة كورونا وكذلك أزمة الرواتب، وطالب المركز المجتمع الدولي بسرعة التدخل من أجل إنهاء حصار غزة وتقديم الدعم والمساندة للفلسطينيين.

وقال محمد حسين مالك سوبر ماركت، إنه قرر وقف الدين على موظفي السلطة هذا الشهر بعدما تراكمت عليهم الديون، مضيفاً أن قرابة 50 موظفاً من السلطة يتداينون منه شهرياً، وأن نسبة ضئيلة منهم سددوا ما عليهم، ما دفعه لوقف التعامل معهم مؤقتاً لعدم وجود بديل.

نقدية لدفعها للتجار، وأوضح لـ«القدس العربي» أنه أبلغ الزبائن بشكل عام، بوقف التعامل بالدين حتى يتمكنون من السداد، فيما سادت حالة من التذمر والاستياء الشديدين عند الموظفين على هذه الخطوة. ويأمل التاجر حسين بأن تحل أزمة رواتب الموظفين في الوقت القريب العاجل، وأن تعود الأمور إلى سابقها مشيراً إلى أن حركة القوة الشرائية تراجعت بشكل كبير منذ بداية أزمة الرواتب.

وكغيره من الموظفين، قال الموظف فضل عبيد والذي يعيل أسرة مكونة من 9 أفراد ولم يتلق راتبه منذ شهرين، إن صاحب السوبر ماركت أوقف عنه شراء المواد الأساسية بالدين شريطة أن يسدد المبلغ المسجل عليه بواقع 1300شيقل، ودعا الموظف عبيد في حديثه لـ«القدس العربي» قيادة السلطة الفلسطينية إلى تعجيل تأمين صرف رواتب الموظفين في أقرب وقت ممكن، خاصة وأنهم خرجوا من شهر رمضان وعيد الفطر وجيوبهم فارغة.

ويعمل في السلطة الفلسطينية قرابة 120 ألف موظف عسكري ومدني، في حين أن قطاع غزة يضم قرابة 50 ألف موظف يتقاضون رواتب بواقع 75 في المئة من النسبة الأصلية منذ ثلاثة أعوام، وذلك نتيجة الأزمات المتراكمة الواقعة على السلطة في رام الله بسبب سياسات الاحتلال الإسرائيلي التعسفية في التضييق على السلطة.

وكان الرئيس محمود عباس قد أعلن في 19 مايو/أيار الماضي، أن السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية في حل من الاتفاقات والتفاهمات مع الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية ومن جميع الالتزامات المترتبة على تلك الاتفاقات والتفاهمات بما فيها الأمنية رداً على قرار إسرائيل ضم مساحة 30 في المائة من أراضي الضفة الغربية، وعلى إثر ذلك رفضت السلطة تلقي أموال المقاصة من الجانب الإسرائيلي كخطوة من قطع العلاقات، الأمر الذي أدى إلى تأخر صرف الرواتب وخلو الخزينة من أموال كافية لدفع الرواتب للموظفين.

فيروس كورونا يترك تداعياته على اثنتين من كبريات شركات ألماس في العالم

لقد كان التسوق من أجل شراء ألماس غير المصقول، أمرا ليس بالسهل على العملاء بفسخ العقود، وعرض الماس في مواقع بديلة. وعلى الرغم من ذلك، فقد رفضا، بشكل حاسم خفض الأسعار، في محاولة منهما لدعم السوق. وقد تحول ذلك إلى نقطة شائكة بالنسبة للكثير من المشترين.

وبينما رفضت أكبر شركتين في مجال صناعة الماس خفض الأسعار بشكل قاطع، يقوم المنافسون المتعثرون الأصغر حجما، بعرض خصومات تصل إلى 25 في المئة، مما يعني أن المشترين الذين لديهم طلب محدود يمكنهم الحصول على السلع التي يحتاجونها منهم بدلا من ذلك.

ومن جانبه، يقول آنيش أجـاروال، وهو شريك في شركة «جيماكس» الاستشارية المتخصصة؛ «تحاول كل من دي بيرز والروسا الحفاظ على قيمة (مبيعات الماس) بإخلاص». وأضاف: «إنهما يحاولان فعل الشيء الصحيح، بالتأكيد، إلا أن الاقتصاد غير المسبوق والخاص بالوضع الحالي، يؤدي إلى تضييق مجال المناورة بالنسبة للمشترين والبائعين».

كما يحتج مشترو الألماس من «الروسا» على تطبيق شركة بنود عقودها بشكل صارم، حيث تلزم العملاء بشراء السلع التي قاموا بتأجيلها، بينما كانت «دي بيرز» أكثر مرونة.

وكانت شركة «الروسا» أعلنت في العاشر من نيسان/إبريل الماضي، أن عقود اثنين من المشترين، وهما من أصحاب العقود طويلة الأجل، انتهت في نيسان/أبريل. وأحدهما هي شركة «دياكور» التي تعمل في مجال تجارة الماس، والتي من التنازلات التي تتعلق بقواعد البيع العادية الخاصة بهما، حيث سمحت للعملاء بفسخ العقود، وعرض الماس في مواقع بديلة. وعلى الرغم من ذلك، فقد رفضا، بشكل حاسم خفض الأسعار، في محاولة منهما لدعم السوق. وقد تحول ذلك إلى نقطة شائكة بالنسبة للكثير من المشترين.

وبينما رفضت أكبر شركتين في مجال صناعة الماس خفض الأسعار بشكل قاطع، يقوم المنافسون المتعثرون الأصغر حجما، بعرض خصومات تصل إلى 25 في المئة، مما يعني أن المشترين الذين لديهم طلب محدود يمكنهم الحصول على السلع التي يحتاجونها منهم بدلا من ذلك.

ومن جانبه، يقول آنيش أجـاروال، وهو شريك في شركة «جيماكس» الاستشارية المتخصصة؛ «تحاول كل من دي بيرز والروسا الحفاظ على قيمة (مبيعات الماس) بإخلاص». وأضاف: «إنهما يحاولان فعل الشيء الصحيح، بالتأكيد، إلا أن الاقتصاد غير المسبوق والخاص بالوضع الحالي، يؤدي إلى تضييق مجال المناورة بالنسبة للمشترين والبائعين».

كما يحتج مشترو الألماس من «الروسا» على تطبيق شركة بنود عقودها بشكل صارم، حيث تلزم العملاء بشراء السلع التي قاموا بتأجيلها، بينما كانت «دي بيرز» أكثر مرونة.

وكانت شركة «الروسا» أعلنت في العاشر من نيسان/إبريل الماضي، أن عقود اثنين من المشترين، وهما من أصحاب العقود طويلة الأجل، انتهت في نيسان/أبريل. وأحدهما هي شركة «دياكور» التي تعمل في مجال تجارة الماس، والتي تمتلكها عائلة الملياردير شتاينميتس، والتي تعد واحدة من أقوى شركات الوسطاء في الصناعة، حسب مصادر مطلعة على الأمر.

كما ترك ثلاثة مشترين آخرين شركة الروسا الشهر الماضي، حسب المصادر المطلعة. وقال رئيس المبيعات في شركة الروسا، إيفغيني أغوريف: «لقد نالت سياسة المبيعات الخاصة بنا دعما قويا من جانب عملائنا وأعضاء آخرين في الصناعة». وأضاف أن «استقرار الأسعار هو مفتاح الملاءة المالية للكثير من عملائنا، لأنه يمنع انخفاض قيمة أسهمهم».

وأشار إلى أن الروسا لم ترتفع سببا لتصحيح الأسعار حتى الآن.

وأوضح أغوريف أن «المسألة لا تكمن في الأسعار، ولكنها تتعلق بحجم الطلب الذي عانى كثيرا منذ أن بدأ الناس في الالتزام بالبقاء في المنزل.»

من ناحية أخرى، قالت متحدثة باسم الروسا إن الشركة ما زالت على اتصال دائم بعملائها، وهو ما يتضمن السعي للحصول على ملاحظاتهم بشأن ظروف السوق وتوقعات الطلب والأسعار. وأوضحت أن هذه الحوارات يستفاد منها في اتخاذ قرارات بشأن جلسات التداول في المستقبل.

في الوقت نفسه، رفض متحدث باسم «دي بيرز» التعليق.

وقد رحب عملاء «دي بيرز» إلى حد كبير بإجراءاتها، ولا سيما المتعلقة بالسماح لهم بتأجيل عمليات الشراء بدون أي تبعات جزائية .

وعادة ما يعني رفض شراء الماس المخصص للعميل أن يتم تقديم عدد أقل من الأحجار في المستقبل، أو حتى فقدان إمكانية الحصول عليها تماما. (د ب أ)

مدن وآثار

من أغصانها الخضراء ناجي العلي وأبو عرب

قرية السجرة الفلسطينية كروم وخرائب مثقلة بالذكريات

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

كما هو الحال بالنسبة لمدن وبلدات فلسطينية كثيرة، فإن أيار/مايو هو أقسى الشهور بالنسبة لقرية السجرة بين الناصرة وطبرية. وفي منتصف هذا الشهر يعود بعض أبنائها المهجّرين الباقين في وطنهم لزيارتها والتعلل بذكرياتها تحت شجرة بلوط عملاقة بجوار عينها التاريخية. الشيخ أبو ناصر السجراوي المهجّر في بلدة كفركنا المجاورة اصطحب معه كما في كل عام بمثل هذا الوقت المشحون والموجع بعض أبنائه وأحفاده في زيارة مسقط رأسه ليسرد عليهم ذكرياتها في محاولة واعية لتوريثهم الرواية الفلسطينية. أبو ناصر الذي خرج طفلا من قريته يوضح لـ «القدس العربي» أن أفضل طريقة لنقل الرواية التاريخية للأجيال القادمة هي مرافقتهم لزيارة المكان وتعريفهم على ملامحه وتسميات مواقعه، مشددا على حيويته بالنسبة للذاكرة الجماعية وللهوية الوطنية خاصة أنهم يواجهون سياسات التجهيل القومي في مدارسهم.

آثار تاريخية

السجرة قرية صغيرة فيها آثار تاريخية تعتاش على الزراعة وبجوارها بنيت مستوطنة «إيلانية» عام 1902 وسكنها لاحقا رئيس حكومة إسرائيل الأول دافيد بن غوريون. في كتابه «شباب من السجرة» قال الكاتب الإسرائيلي زلمان تبليتسكي: «في تلك السنوات الأولى خطا بن غوريون خطواته الأولى في البلاد واشتغل كعامل في السجرة منذ 1907». لم يتجاوز عدد سكان السجرة قبيل نكبتها عام 48 نحو 1000 نسمة، لكنها كبيرة بشهامة وثقافة أهلها وبإنجابها إثنين من كبار الفنانين الفلسطينيين ممن نذروا مواهبهم من أجل شعب فلسطين وقضيتها العادلة: رسام الكاريكاتير ناجي العلي، وحادي الخيمات والثورة إبراهيم محمد صالح أبو عرب. يضاف لهم شاعر القرية الشيخ علي الأحمد الذي امتاز بقريحته الشاعرية.

في ربيع 2012 حقّق الفنان الفلسطيني الشيخ أبو عرب حلما راوده منذ 64 عاما بزيارة قريته المهجّرة داخل أراضي 48 فتجوّل بين بقايا كرومها وخرائبها مثقلا بوزر الذكريات ومشاعر ألم وألم كبيرين وهو يشدد على حتمية العودة. وقتها رافقنا أبو عرب وهو في الثانية والثمانين من عمره في زيارته النادرة لمسقط رأسه. رغم شيخوخته واعتلال صحته تجوّل أبو عرب مشيا على الأقدام في ديرته التي عاهدها بكثير من قصائده المغناة بعدم النسيان مهما طال الزمان، مستهلا إياها بعين البلدة الجوفية التي ما زال يذكر عدد درجاتها الحجرية البالغ 45 درجة. مستذكرا أن الأهالي حازوا على مياههم يوميا منها بواسطة دولاب خشبي اعتاد على تشغيله رجل أعمى ورجح مازحا أن تعيين كفيف البصر جاء «كي لا ينظر للملايات من النساء». شاعر الثورة الفلسطينية المعاصرة الذي غنى لها، للفدائي والبندقية، للشهيد والأسير، والثورة والحرية، وللأوطان وتغزل بأشجارها بنباتها من المرار حتى العكوب لم يجد في السجرة «توتة الدار».

توتة الدار

أين توتة الدار؟ سألناه فغالبته الدمعة وهو يقول إن توتة الدار لم تعد تحتمل جور الزمان. وقد شعر أبو عرب أنه تأخر عليها أو خذلها، فهو عندما خرج من فلسطين لم يتوقع أن يبقى خارجها كل هذه المدة. وتابع بلهجة المتوجع اللاذع «توتة الدار مثل العديد من معالم هذا الوطن التي ما زالت مرسومة في مخيلة اللاجئين طُمست وتبدلت كما تبدلنا نحن عندما ابتعدنا عن الثورة». وتوقف عند موقع شجرة التوت التي غنى لها في قصيدته الشعبية: «توتة الدار صبرك على الزمان إن جار لابد نعود لونهم قارنوا ترابي مع الدّر لعوف الدر وبوس التراب أوف».

وما لبث أن توقف وبيده غصن من شجرة تين ونبات الشوم قبالة خرائب بيت صديقه وزميله الراحل ناجي العلي بجوار واحدة من معاصر القرية. ماذا كنت ستقول لناجي العلي بعدما عدت ولو لساعة وهو لم يعد؟ سألنا الشاعر الذي أسّس للأغنية الفلسطينية التراثية الملتزمة فأنشد بصوت حزن شجي مرتجلا:

«أوف.... أوف أيام الدهر يا ناجي لو إنك لو إنك حزين وسمع هالوادي لو إنك... لو إنك قبل ما تغادر كحلت عيونك بشوف التراب». وردا على سؤال آخر تابع «حينما كنا نسافر سوية ونبيت في غرفة واحدة كنا نقضي الليل باستحضار ذكريات الصبا، كيف كنا نلف الجبال والسهول ونتجول بين الكروم، المقاثي والحقول لالتقاط ثمار الذرة وتناولها بعد طهيها على الحطب ونستعيد سيمفونية الأجراس الرنانة المثبتة في أعناق الماعز وهي عائدة عند المساء من الرعي، فيما كان الرعاة بدورهم يملأون الفضاء بألحان الناي (الشبّابة) أما صدى صياح الديوك في الصباح فكان يصدح مدوّيا في الوديان. هي ذكريات جميلة وأليمة بنفس الوقت».

أبو عرب، شاعر المخيمات ومنشد الثورة الفلسطينية الذي وظف فنه في خدمتها، ألّف ولحّن وغنى عشرات القصائد الوطنية وأغاني العتابا والمواويل، ودّع بلدته عند مغادرتها وهو يناجي عين الماء فيها بلهجة وداع تقطر حنينا وحزنا: «يا عين الميّ كان الشجر جاري... لكن الزمن بالظلم جـاري... بعد نبعك يا عين المي جاري... بعد ما تغربوا شمول الحباب».

ولم يغادر أبو عرب قبل أن يصطحب معه حفنة تـراب وبعضا من حجارة السجرة تذكارا وهدية لأحفاده الموزعين بين مدينته حمص في سوريا وبين دول الخليج، حيث يقيم بعض أبنائه مغتربين كبقية أبناء عائلته التي استشهد في معارك فلسطين عدد كبير منهم.

والد وابن شهيد

وقبيل زيـارة السجرة التـي احتلت وتم تحريرها عدة مرات إلى أن سقطت في تموز/يوليو 48 (واستشهد في آخر معاركها الشاعر الكبير المثقف الوطني عبد الرحيم محمود الذي قدم من الناصرة للمشاركة في محاولة إنقاذها) كان أبو عرب قد استهل جولته في أراضـي 48 بزيارة ضريح والده الشهيد محمد صالح في بلدة كفركنا التي لجأت لها عائلته لعدة شهور قبيل تهجيرها إلى لبنان في 1948.

ناجي العلي

بالطبع، تقترن السجرة باسم الفنان الراحل ناجي العلي المولود فيها عام 1936 وهو الذي قـال: «ولـدت حيث ولد المسيح بين طبريا والناصرة. أخرجوني من السجرة بعد عشر سنوات إلى مخيم عين الحلوة في لبنان. أذكر هذه السنوات العشر أكثر مما أذكـر من بقية عمري. أعرف العشب والحجر والظل والنور، لا تزال ثابتة في محجر العين كأنها حفرت حفرا. لم يخرجها كل ما رأيته بعد ذلك». هذا الرسام العملاق المعروف عالميا بدأ مسيرته مبكرا. فقبل رحيله روى الحاج هاني ذيابات أبو نعمان (80) المقيم في قرية طرعان إنه والراحل ناجي العلي الذي كان يكبره بعام واحد درسا في مدرسة القرية الابتدائية. ويشير أن المدرسة كانت صغيرة وضمت نحو 60 طالبا درسوا في غرفتين وفي إحدى غرف المسجد المجاور. ويستذكر أن مديرها حسين الدسوقي من قرية برقا قضاء جنين. كما يشير أنه وناجي العلي درسا حتى الصف السادس الابتدائي في السجرة وتتلمذا في الدين والزراعة، على يد المدير الدسوقي، فيما علمهما محمد عز الدين من صفد اللغة العربية ومحمود الريناوي من قرية الرينة علمهما الرياضيات ومحمد أسعد من صفد التاريخ والجغرافيا. لافتا إلى أن تلاميذ السجرة استكملوا تعليمهم في طبريا والناصرة. وردا على سؤال يشير ذيابات أن معلما من بيسان يدعى حريص، قد علمهما الرياضة، والأناشيد الوطنية والقومية والرسم وقد تنبه مبكرا لموهبة ناجي العلي. ويتابع «منذ طفولته كان ناجي العلي رسام المدرسة والحي، فعندما كنا نلهو في لعبة الحيزة المعروفة بلعبة الطوف أيضا، كان ناجي يتولى مهمة رسم المربعات على الأرض والتي كان كل منا يسعى لإدخال الحجارة فيها وهو يقف على قدم واحدة». ويشير إلى أن الراحل كان يكثر من رسم الحيوانات كقطعان الماعز والجمال والطيور بسرعة ودقة فائقتين وأضاف «كان بمقدور ناجي العلي أن يرسم حيوانا أو طيرا بثوان بعدما يمر من أمامه بلمح البصر». ويوضح أن ناجي العلي نزح مع عائلته إلى قرية العزير المجاورة ومنها إلى لبنان نتيجة اعتداءات العصابات الصهيونية على السجرة لافتا أن العلاقات بينهما انقطعت منذ النكبة عام 48.

كل نار تصبح رماد

أما جارته الحاجة نجية هياجنة أم عادل بنت السجرة المقيمة في كفركنا، فقد قدمت هي الأخرى بعض ذكرياتها: «كنا جيال وكان يلعب مع ابن شقيقته فهمي ويرسم على الحيطان وقد كان مغرما بالرسم على حيطان المدرسة والجدران

وسريع البداهة».

نجية هياجنة أم عـادل (85) سيدة عصامية مناضلة ظل حنينها للسجرة أخضرا وقد خرجت مع أسرتها حافية تحت جنح الليل عام 1948. وطالما كانت أم عادل تسعى لإطفاء هذا الحنين للسجرة وحياتها الريفية الوادعة والهانئة بزيارتها دومـا بحثا عن طفولتها الجميلة يوم كانت تلهو بالكروم والبساتين وحقول الذرة سوية مع صديقاتها ريمة وفاطمة وشريفة. لم تكن أم عادل حالة استثنائية، فقد قالت الحاجة سمية بكارنة أم عفيف في شهادتها إنها تعلمت وبعض بنات السجرة في المدرسة معززة قول أبو عرب حول قلة عدد الأميّين في القرية وقالت بالعامية «وفـي مـرات كـانوا يحطوني مناوبة واللي يتيّس أسجل اسمه».

وتلتقط هي الأخـرى لعلاقة الجيرة الحسنة مع اليهود في «إيلانية المجاورة»: «كنا نعزم اليهود عالأعراس عنا. والعلاقة مليحة حتى يـوم الحـرب كنا مناح مع بعض». وهذا ما أكدته نجية هياجنة منوهة أن النساء الفلسطينيات واليهوديات كن يتبادلن الخميرة عند العجين بحال احتاجت واحدة من الجـارات. كما أشار أبو نعمان لذلك وقال «كانوا يشاركوننا الأفراح. للعرس نعزمهن وييجو وكانت تعاليل العريس تظل مرات شهر وأكثر. واللي منهن بعرف يدبك يظل يدبك لنص الليل، وكنت أشوفهن يسهروا ببيوتنا ويمزحوا ويتبادلوا النكت». يشار إلى أن باحثا إسرائيليا يدعى د. مناحم كلاين قد تطرق قبل سنوات لذلك في كتابه «مترابطون». ويؤكد كلاين أن الصهيونية هي التي أفسدت علاقات العرب واليهود في البلاد. كما يرمز بعنوان كتابه يقول كلاين إن حياة اليهود والعرب اليومية كـانت مترابطة بـالتـجـارة، والتعليم، والمناسبات على أنواعها.

رياضة

ماذا تغير في ريال مدريد وبرشلونة بعد كورونا؟

نجوم ريال مدريد يحتفلون بأحد انتصاراتهم

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

حقق مدرب ريال مدريد زين الدين زيدان، الهدف المنشود بعد استئناف النشاط الكروي في إسبانيا، بجمع العلامة كاملة في أول أربع مواجهات، وتقديم نسخة أكثر إقناعا وجدية مما كان عليها في مبارياته الأخيرة قبل توقف الجائحة الإجباري، والأهم من هذا وذاك، استعادة صدارة الليغا ولو بأفضلية المواجهات المباشرة عن الغريم الكتالوني برشلونة، بعد هدية إشبيلية الثمينة في الأسبوع الـ30، بعرقلة ليونيل ميسي وأصدقائه في موقعة «رامون سانشيز بيثخوان»، التي انتهت على نتيجة البياض، وبالتبعية فتحت المجال لعودة زيزو وكتيبته للصدارة، إلى أن يقرروا مصيرهم، إما بإظهار وإثبات قدرتهم على الاحتفاظ بمكانهم حتى إطلاق صافرة نهاية الموسم، أو التنازل عنه ومن ثم العودة إلى فصول الأمس القريب الباردة، كما خسر أمام ريال بيتيس في الأسبوع التالي لفوزه على البلو غرانا في كلاسيكو «سانتياغو بيرنابيو».

ماذا تغير في ريال مدريد؟

في تحليل بعنوان «ماذا يحتاج زيدان وسيتيين لحسم الصراع على لقب الليغا؟»، كنا قد توقفنا كثيرا عند العوامل الفارقة، أو بالأحرى متغيرات ما بعد توقف كورونا، التي من شأنها أن ترجح كفة مدرب على الآخر في ما تبقى من الموسم. وكان واضحا حتى هذه اللحظة، قبل لقاء إسبانيول والملكي اليوم، أن الأمور جرت كما خطط لها المدرب الفرنسي، باستخدام ولا أروع للكاريزما المعروفة عنه، ليصيب عصفورين بحجر واحد، الأول بإحكام سيطرته على غرفة خلع الملابس، لمنع حدوث أي تراخي في الربع الأخير والأهم في الموسم، والثاني للاستفادة بشكل حقيقي وملموس من كل المتاحين في القائمة. وتجلى ذلك، في قتال وشراسة اللاعبين داخل المستطيل الأخضر، كرسالة واضحة لنوايا الميرينغي لإنهاء هيمنة البارسا على اللقب في العشرين سنة الأخيرة بالذات، وبالنظر إلى الروح القتالية التي هبطت على راموس وباقي الأصدقاء في أول 4 مباريات بعد التوقف الطويل، سنجد أنها لم تسقط كهدية من السماء، بل لعبقرية وتوفيق زيدان في عملية «المداورة»، كأكثر مدرب منح الفرصة لأكبر عدد من اللاعبين بعد استئناف النشاط، رغم أنه في المباريات الأولى، كان بالكاد يجري ثلاثة تغييرات، ولم يستخدم ميزة التغييرات الخمسة إلا في سهرة الأربعاء أمام بلباو، التي انتهت بهدفي فينيسيوس جونيور ولوحة سيرخيو راموس الإبداعية، وكان ذلك، بهدف إراحة اللاعبين في آخر 20 دقيقة، في ما يُعرف بالمصطلح الكروي الدارج «لعب اقتصادي»، لتوفير طاقتهم لفترة «الروزنامة» المضغوطة، التي سيخوض خلالها الفريق مباراتين في غضون 62 ساعة، أمام خيتافي في الدربي العاصمي المصغر في آخر ساعات الخميس، ثم زيارة «سان ماميس» للاصطدام بمضيفه الباسكي أتلتيك بلباو ظهر الأحد في المرحلة الـ34.

المرونة التكتيكية

الشيء الملاحظ في مباريات الريال الأخيرة، أن الفريق يقدم نكهة مختلفة داخل المستطيل الأخضر، ليس ذاك الفريق المتقلب، الذي فقد ثقة المشجعين بعد رحيل الجلاد كريستيانو رونالدو، وكما أشرنا، الفضل الأول يرجع لزيزو، الذي نجح وبامتياز في تجويع نجوم «لا ديسما» مرة أخرى، بعد حالة الهبوط الجماعي التي أصابت قدامى اللاعبين لتأثرهم من تخمة البطولات، وفعل ذلك، بتهديدهم بشكل لطيف، على غرار ما فعله مع الشاب الأوروغواني فيدريكو فالفيردي، بإعطائه فرصة العمر، لتنفجر موهبته بجوار البرازيلي كاسيميرو، وذلك على حساب لوكا مودريتش في بعض الأوقات والألماني توني كروس في أوقات أخرى، ونفس الأمر فعله مع مارسيلو، بإعطاء دقائق أكثر لمواطنه الفرنسي فيرلاند ميندي، حتى فينيسيوس جونيور، استخدمه كورقة ضغط على جناح يهتز مستواه، ويُحسب لزيدان، أنه لم ينقلب على المراهق البرازيلي، حتى في أتعس لحظاته، عندما كان يتفنن في إهدار الفرص السهلة في بعض الأوقات الحاسمة، ليجني ثمار صبره على الجوهرة البرازيلية، بالنسخة المبشرة التي يبدو عليها اللاعب، بعدما تأكد من ثقة مدربه، وإلا لما صنع الفارق في اختبار «أنويتا» المعقد. وفي المباراة التالية، تلقى المكافأة الفورية، بما فعله زيدان، بتغيير أسلوبه المفضل 4–3–3 إلى 4–2–3–1، بالاعتماد على قائد الكروات بجانب فالفيردي كمحوري ارتكاز لتعويض غياب كاسيميرو الموقوف لتراكم البطاقات الصفراء، وأمامهم الثلاثي إيدين هازارد، وغاريث بيل وفينيسيوس ثم كريم بنزيما في مركز رأس الحربة، وحسنا فعل صاحب الـ20 عاما، بتهديد وإزعاج بلا توقف للدفاع، ما أعطى إيحاء لكل من شاهد المباراة، وكأن وصول الملكي لشباك مايوركا مجرد مسألة وقت، وهو ما فعله لاعب سانتوس السابق، بتسجيل هدف أخذ زمام المبارة، بنفس الطريقة، التي كان يهدر بها عشرات الفرص في الماضي غير البعيد، وهذه نتيجة الثقة وصبر زيدان، بجانب ذلك، تحرر اللاعب من الضغوط الجماهيرية، ويظهر ذلك بوضوح، في الأريحية التي يلعب بها وأسلوبه البريء في الاحتفال، على عكس وضعه عندما كان يلعب أمام جماهير النادي، حيث كان ينفجر من البكاء بعد كل هدف، وهذا في حد ذاته، أحد أهم مكاسب زيدان والريال في فترة ما بعد كورونا، ومن العوامل التي ساهمت في الانتفاضة الأخيرة، ومع استمراره في التطور، سيكون مشروع «غالاكتيكو» في غضون عامين أو ثلاثة على أقصى تقدير.

كل اعتماد برشلونة على تألق ميسي

انتفاضة الرجال المخلصين

كان زيزو في أمس الحاجة لدعم ومساعدة رجاله الكبار المخلصين، ليتخلص الفريق من عيوبه في فترة ما قبل كورونا، بما في ذلك، صداع تذبذب الأداء الجماعي والنتائج من مباراة لأخرى، وهو ما لمسه في جُل المؤثرين، خصوصا المدافعين والمهاجمين، والإشارة إلى ثنائي قلب الدفاع رافاييل فاران والقائد سيرخيو راموس، ولاعبه المفضل بنزيما، لتأثيرهم الكبير في نتائج الفريق في المباريات الماضية، ويظهر ذلك بوضوح، في الصورة المبهرة التي يبدو عليها القائد الأندلسي منذ العودة من توقف كورونا، والأمر لا يقتصر على دوره الأساسي، الذي يؤديه باقتدار لحماية الحارس تيبو كورتوا، بل أيضا في الغلة التهديفية، بتسجيل ثلاثة أهداف من أصل عشرة أهداف سجلها الفريق قبل زيارة «باور 8» مساء اليوم، 30 % من إجمالي الأهداف، ومنهم هدفه السينمائي في مايوركا، الذي أزاح به رونالد كومان من على صدارة هدافي المدافعين التاريخيين لليغا بـ68 هدفا، ونفس الأمر ينطبق على ذي الأصول الجزائرية، بتوقيعه هو الآخر على ثلاثة أهداف، مع مستوى أقل ما يقال عنه «جيد جدا»، ليرفع رصيده لـ17 هدفا، على بعد 5 أهداف من كبير الهدافين ميسي، على النقيض تماما، من الصورة النمطية والانطباع المأخوذ عنه حتى فترة قصيرة، كمهاجم منحوس أو محظوظ، المهم أي شيء بعيدا عن المصطلحات الرنانة المعروفة عن رؤوس الحربة مثل «قناص» أو «هداف»، إلا أنه في الآونة الأخيرة، بدأ يرد وبكل عنف على المشككين، كما صنع الفارق في اللقاء الأصعب أمام خفافيش الميستايا، بتسجيل هدفين، منهم هدف عالمي سيبقى في الذاكرة فترة طويلة، وما ساعده على ذلك، إيجاد الجودة التي تساعده على اللعب بهذه الأريحية، متمثلة في عودة إيدين هازارد وماركو أسينسيو، وكأن الإدارة جلبت لزيزو صفقتين بملايين طائلة خصيصا للربع الأخير للموسم، وهو ما أشعل المنافسة بين الجميع، وساهم بشكل مباشر في انفجار طاقة فينيسيوس، لخوفه على مكانه ومستقبله عموما في النادي بعد عودة من هم أكثر خبرة منه، بجانب جيش المنافسين في نفس المركز، منهم رودريغو غوس وغاريث بيل وماريانو دياز ولوكاس فاسكيز وبدرجة أقل لوكا يوفيتش، وهذا جعل الريال أكثر تنوعا وشراسة في الشق الهجومي عما كان قبل التوقف، وكأنه تخلص من صداع «عقم المهاجمين»، الذي كان الحلقة الأضعف، بعد الانتهاء من جُل مشاكل الدفاع والوسط حتى بداية مارس/ آذار، كما كانت وما زالت تعكس لغة الأرقام، باستقباله 21 هدفا في 31 مباراة، وهو رقم يحدث للمرة الأولى هذا القرن وللمرة الثانية منذ 32 عاما، وهذا يظهر مدى تأثير ودور الدفاع في صمود الريال في صراعه مع البارسا على اللقب، ما يعني، أنه مع استمرار الوضع الحالي كما هو عليه، فبنسبة كبيرة، سيحقق زيدان الهدف الرئيسي المطلوب هذا الموسم، بإعادة الليغا إلى النادي.

لغز برشلونة

في الوقت الذي تحول فيه ريال مدريد إلى وحش كاسر يهزم منافسيه الواحد تلو الآخر بكل سهولة وأريحية، من دون استنفاد طاقة اللاعبين وبتناوب أكثر من رائع، هناك في المعسكر الآخر، الأمور تبدو وكأنها لا تسير على ما يرام، باستثناء البداية الجيدة أمام مايوركا، باكتساحه برباعية لا هوادة في أول مباراة بعد التوقف، لكن بعدها، عادت النسخة المحبطة، التي لا تختلف كثيرا عن حقبة عدو الجماهير ارنيستو فالفيردي، رغم أن الإدارة جاءت بكيكي سيتيين، ليعيد مدرسة «تيكي تاكا»، لكن على أرض الواقع، قدم الفريق صورة غير مبشرة لقدرته على مواصلة الصراع مع الريال، أو بمعنى أدق، أعطى إيحاء لمشجعيه بأنه قابل للتفريط في نقاط أخرى بعد ضياع أول نقطتين في قلعة الأندلس، وذلك لعدم وجود جديد للطريقة التي يجمع بها الفريق نقاطه في السنوات القليلة الماضية، بلحظة خارقة من ليونيل ميسي، وفي الخلف ينوب الحارس تير شتيغن عن المدافعين بتصديات لا تصدق. أما بالنظر إلى الأسماء التي يعول عليها المدرب ومن قبل المشجعين، كأنطوان غريزمان أو لويس سواريز وآخرين، فشلوا في صناعة الفارق بدون حلول ليو. بالنسبة للفرنسي غريزمان، فما زال يعيش في واد والفريق بأكمله في واد آخر، وأحيانا لتوظيفه الخاطئ من قبل المدرب، بالاعتماد عليه في مركز الجناح الأيمن أو الأيسر، بعيدا عن مركزه المفضل في السنوات الماضية، كمهاجم وهمي في العمق بجانب رأس الحربة الصريح، وإلى الآن يمكن القول، أنه خيب آمال المشجعين، بظهوره بصورة مختلفة تماما عما كانت في مخيلتهم عند رؤيته بجانب السفاح والبرغوث. والأمر الصادم الجديد، أن سواريز، بيصم على مباريات للنسيان، تظهر في رعونته وأنانيته أمام المرمى. حتى الوسط، ما زال تقليديا بالطريقة المكشوفة، بالتركيز على وضع الكرة بين قدمي ميسي في آخر 25 متراً في الملعب، من دون البحث عن حلول أخرى. الاستثناء كان المراهق ريكي بويج الذي ظهر تأثيره بعد مشاركته كبديل على حساب آرثور في الشوط الثاني أمام بلباو، ومثله فاتي الذي يؤدي بشكل جيد كلما أتيحت الفرصة، والأمر يرجع لتقدم البعض في العمر مثل سيرخيو بوسكيتس وإيفان راكيتيتش، بجانب غياب عملة اللاعب الخلاق، القادر على ربط الوسط بالهجوم، وباستطاعته إيجاد حلول بالتحرك بين الخطوط والاحتفاظ بالكرة وتمريرها بدقة سواء في العمل أو على الأطراف، الدور الذي كان يقوم الأسطورة تشافي هيرنانديز والرسام أندريس إنييستا، لهذا، يبدو برشلونة وكأنه بلا حلول كلما واجه القلائل المنظمين دفاعيا، إلا إذا جاءت الانفراجة بقرار فردي من ميسي، وهذا الأمر، بدأ يؤثر على تركيزه، كما شاهدناه يثور ويخرج عن النص أمام إشبيلية وبلباو، تارة بإسقاط لاعب أرضا على مرأى ومسمع الجميع، بمن فيهم حكم الفيديو، ولقطة أخرى دهس فيها قدم اللاعب الباسكي، والأمر المثير، أن في المرتين لم يعاقبه الحكم ولو ببطاقة صفراء، ضمن قرارات حكام الليغا التي أثارت جدلا على نطاق واسع، كهدف سوسييداد الملغي في مرمى تيبو كوروتوا، وهدف كريم بنزيما في المباراة ذاتها.

فينيسيوس تألق في المباريات الأخيرة مع الريال

يوليو الحاسم

بصرف النظر عن قرارات حكام الليغا ومدى تأثيرها على الصراع المشتعل بين الكبيرين، فالطريقة التي عبر بها كيكي سيتيين وفريقه في الاختبارات المتوسطة والصعبة الأولى، تحتاج مراجعة فورية، وإلا ستصدمة توقعات قائد الدفاع جيرار بيكيه، الذي لوح برفع الراية البيضاء، لإدراكه صعوبة المهمة، في حال استمر الأداء الروتيني كما هو عليه في المباريات الفاصلة على اللقب، وستكون البداية بعد 48 ساعة من الآن، باستقبال أتلتيكو مدريد في «كامب نو»، في القمة التي ستظهر جدية البارسا من عدمها في الاحتفاظ بلقبه المفضل للموسم الثالث على التوالي، وبعدها سيحل ضيفا على ملعب «لا سيرامیكا» لمواجهة فياريال في نفس يوم زيارة الريال لقلعة «سان ماميس»، ما يعني أن بداية يوليو / تموز، ستكون حاسمة على اللقب بنسبة تزيد على 80 %، كما كان يطلق على أبريل / نيسان شهر الحسم، وذلك لصعوبة حدوث مفاجآت غير متبقية في الجولات الأربع الأخيرة، التي سيواجه خلالها البارسا كلا من إسبانيول وأوساسونا على ملعبه وبلد الوليد وديبورتيفو ألافيس في الخارج، وبالنسبة للميرينغي سيستضيف ديبورتيفو ألافيس وفياريال وغرناطة وليغانيس خارج قواعده، وهي مؤشرات تظهر أفضلية الريال لسهولة مباراياته مقارنة مع الكتالان، بجانب تماسك الفريق الأبيض أكثر من غريمه الأزلي. لكن في عالم كرة القدم، قد تتبدل الأوضاع أسرع مما نتخيل، وفي وجود ميسي حتى وإن لم يكن في أفضل حالاته لتأثره بضغط المباريات المتواصلة، ستبقى فرص برشلونة قائمة إلى أن يُحسم الصراع بشكل رسمي، فهل يا ترى سيستمر ريال مدريد بنفس الزخم إلى النهاية؟ أم ستعود لعبة الكراسي الموسيقية ويذهب في النهاية لمن يستحقه من الكبيرين؟ دعونا ننتظر ونستمتع بالجولتين الحاسمتين القادمتين.

كيف تغير العالم بعد 30 عاما لينهي ليفربول عقدة البريميرليغ؟

لندن ـ «القدس العربي»:

حقق ليفربول لقب الدوري الإنكليزي الممتاز للمرة الأولى منذ 1990، بعد سقوط حامل اللقب في آخر نسختين مانشستر سيتي على يد تشلسي بنتيجة 2–1، في القمة التي جرت على ملعب «ستامفورد بريدج» مساء الخميس الماضي، في ختام مواجهات الجولة الـ31، لتنتهي عقدة الريدز الأزلية، بالتتويج بأول لقب للبريميرليغ بنظامه ومسماه الحديثين منذ 30 عاما.

سنوات العجاف

فعل عملاق الميرسيسايد كل شيء ممكن قبل وصول يورغن كلوب، للفوز بلقب الدوري الإنكليزي، لكن مع الوقت، بدا وكأن الأمر تحول إلى «لعنة» أو «عقدة»، كان آخرها انزلاقة القائد السابق ستيفن جيرارد، أمام ديمبا با، في مباراة تشلسي الشهيرة، التي غيرت مسار اللقب من «الأنفيلد» إلى «الاتحاد» في الأمتار الأخيرة، استمرارا لسنوات المعاناة، التي لم يتوقعها حتى أسوأ المتشائمين والكارهين، أن يبقى اللقب بعيدا عن ليفربول منذ ركلة الجزاء التي سجلها جون بارنز في كوينز بارك رينجرز في الـ28 من أبريل / نيسان 1990.

ثمار التخطيط

بدأ مشروع تحقيق الحلم، بالتوقيع مع العبقري الألماني يورغن كلوب، بعد طرد الايرلندي الشمالي برندان رودجرز في أكتوبر / تشرين الثاني 2015، على أمل أن يستنسخ مقولة الأسطورة بيل شانكلي «نادي ليفربول للفوز بالبطولات»، وحصل على وقته الكافي، لبناء مشروعه قطعة قطعة، إلى أن اكتمل المخطط بالوصول إلى التوليفة السحرية، بتكوين فريقه الخيف متسلحا بالثلاثي الفتاك محمد صلاح وساديو ماني وروبرتو فيرمينو، وفي الدفاع وحراسة المرمى، تخلص من مشاكله بضم فيرجيل فان دايك وبعده بستة شهور أليسون بيكر، ليجني الثمار بالجلوس على عرش القارة العجوز، بالفوز بكأس دوري أبطال أوروبا، وفي نفس الموسم، خسر البريميرليغ بغرابة بفارق نقطة عن السيتيزينز، إلى وصول الفريق إلى قمة الانسجام والتفاهم هذا الموسم، ليحقق ما عجز عنه 239 لاعبا، منهم 218 صفقة، بالإضافة إلى تسعة مدربين، جميعهم فشلوا في تحقيق الإنجاز المنتظر منذ ركلة جزاء بارنز.

ذكريات من عمر فات

بالرغم من أن قيمة التتويج بدوري أبطال أوروبا، تفوق الفوز بأي بطولة دوري محلي بما في ذلك البريميرليغ، إلا أن الوضع يبدو مغايرا هذه المرة بالنسبة لليفربول وجمهوره، ولولا الحذر من الوباء، لشهدت المدينة احتفالات أسطورية تفوق ليلة الخروج العظيم لاستقبال اللاعبين في الحافلة المظفرة بذات الأذنين في يونيو / حزيران الماضي، كيف لا وهي الفرحة المنتظرة منذ ثلاثة عقود، فرحة لم يعهدها شاب في منتصف الثلاثينات الآن، وبالكاد يتذكرها رجل بعمر 40 عاما، لمرور سنوات طويلة شهدت تحولات وتغيرات بالجملة في مختلف مجالات الحياة، إلا حصول ليفربول على لقب الدوري الإنكليزي الممتاز، منها تناوب ستة رؤساء وزراء على حكومة المملكة المتحدة و5 رؤساء للولايات المتحدة الأمريكية على مدار أكثر من 11000 يوم، وهي الفترة بين آخر لقب دوري إنكليزي وهذا اللقب.

الحياة عند آخر لقب

عندما توج ليفربول بالدوري آخر مرة في التسعينات، كان يجلس على عرش الأندية الإنكليزية، بتحقيق اللقب 10 مرات في آخر 15 عاما آنذاك، وكان أيضا الأكثر تتويجا باللقب، قبل انتفاضة السير أليكس فيرغسون مع جيل التلامذة منتصف التسعينات، إلى أن سلم مهمته ومانشستر يونايتد الأكثر تتويجا بـ20 لقب، وأيضا في نفس الموسم 1989–1990، احتل أستون فيلا المركز الثاني في جدول ترتيب أندية الدوري، وحل خلفهما توتنهام في المركز الثالث. وبالنسبة ليونايتد، فقد توج بكأس الاتحاد الإنكليزي، لكنه أنهى الدوري في المركز الثالث عشر، متقدما بمركز على جاره مانشستر سيتي، والأسطورة غاري لينيكر حصد جائزة الهداف بـ24 هدفا، وكانت المرة الأخيرة التي يربح فيها نابولي الدوري الإيطالي مع دييغو أرماندو مارادونا، وفي إسبانيا حقق الريال الليغا رقم 25، أما على الصعيد القاري، فكانت الهيمنة إيطالية، بحصول ميلان على الأبطال، ويوفنتوس على كأس الاتحاد الأوروبي وساميدوريا بكأس الكؤوس الأوروبية، وفي نهاية الموسم، فازت ألمانيا الغربية بكأس العالم في إيطاليا واحتلت إنكلترا المركز الرابع بعد الخسارة أمام أصحاب الأرض في مباراة تحديد صاحب المركز البرونزي، واللاعب الأغلى عالميا آنذاك كان روبرتو باجيو، بصفقة انتقاله من فيورنتينا إلى يوفنتوس مقابل حوالي 8 ملايين جنيه إسترليني.

أشياء تغيرت

طوال سنوات بحث ليفربول عن إنهاء عقدته، تغيرت أشياء كثيرة على هذا الكوكب، باختفاء قوى عظمى من على الساحة وظهور أخرى، وكأن المرة الأخيرة كانت في زمن وعالم آخر لا علاقة لهما بالعصر الحالي، حيث أن تتويج 1989–1990، كان بالمسمى القديم لمسابقة الدوري، ولم يكن الاتحاد السوفيتي قد تفكك بعد عام 1992، وأيضا كانت ألمانيا ما زالت دولتين، الشرقية والغربية، وقبل اكتشاف اختراع القرن «الانترنت»، وما تبعه من ثورة في عالم الاتصالات والأجهزة المحمولة بعد عام 1993، حيث كانت تقتصر التهنئات على مكالمات الهاتف المنزلي أو إعلانات الجرائد والمجلات، بالطريقة الكلاسيكية القديمة قبل عصر «السوشيال ميديا»، لكن هذه المرة، تسابق عشاق النادي في تقديم التهاني لبعضهم بعضا عبر مواقع التواصل الاجتماعي، احتفاء بأول لقب بريميرليغ في عصر التكنولوجيا. أشياء أخرى تغيرت وحدثت في سنوات المعاناة، كهبوط وكالة «ناسا» على سطح المريخ عام 1996، وعندما فاز باللقب في بداية التسعينات، كانت بريطانيا عضوا في الاتحاد الأوروبي، قبل انتهاء هذه العضوية العام الماضي بعد ثلاث سنوات من استفتاء 2016، وهو اللقب الأول بعد تدشين «ياهو» و«غوغل» عامي 1994 و1998، وكذلك بعد وصول أول رئيس من أصول أفريقية لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية باراك أوباما، الذي قضى فترتين، من دون أن تنتهي عقدة أحمر الميرسيسايد.

وعلى صعيد كرة القدم وقواعدها، فهذه تعتبر المرة الأولى التي يفوز فيها ليفربول باللقب بعد إلغاء قانون إعادة الكرة للحارس ومسكها باليد، بعد مهزلة المنتخب المصري في مونديال 1990، وبين المرتين، أوفى فيرغسون بوعده، بمعادلة عدد مرات فوز العدو الشمالي باللقب، بالوصول للقب رقم 18 في نسخة 2008–2009، ثم أضاف اللقبين التاسع عشر والعشرين في موسمي 2010–2011 و2012–2013، إضافة إلى ما سبق، يحدث للمرة الأولى أن يفوز بالدوري في زمن لعبة «فيفا» التي ظهرت للنور في النصف الأول من حقبة التسعينات، وأيضا للمرة الأولى بعد تحطم الرقم القياسي لأغلى لاعب في العالم 16 مرة، بزيادة 190 مليون جنيه إسترليني، في فارق السعر بين الأغلى آنذاك باجيو والحالي نيمار جونيور، والطريف أن اللقب جاء بأقدام لاعبين وُلدوا بعد عام 1990، في مقدمتهم صلاح وساديو ماني وفيرجيل فان دايك وأليسون، بينما كلوب كان في ريعان شبابه كلاعب في ماينز الألماني، لهذا كان لسان حال عشاق النادي بعد إطلاق صافرة قمة البلوز والسيتي «هرمنا من أجل هذه اللحظة التاريخية»... بصوت الثائر التونسي المسن في ثورة الياسمين.

المدربون التونسيون وسر التألق اللافت عربياً

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

يحظى المدرب التونسي بالثقة في بلاده، وعادة ما يتم الإستنجاد به عند الكوارث والأزمات التي يتسبب فيها عادة المدرب الأجنبي، بالنظر إلى النتائج المهمة التي تحققت للأندية والمنتخبات التونسية على يد مدربين من أبناء البلد على مدى تاريخ الكرة التونسية.

فتألق نسور قرطاج كممثل وحيد للقارة الإفريقية، في كأس العالم بالأرجنتين 1978 والذي دفع بالفيفا إلى منح مقعد ثان للقارة السمراء في المونديال، كان على يد المدرب التونسي عبدالمجيد الشتالي، ناهيك عن أن مختلف الكؤوس والبطولات الإفريقية التي فاز بها الترجي كانت على يد مدربين تونسيين على غرار فوزي البنزرتي ويوسف الزواوي ونبيل معلول ومعين الشعباني. وساهمت النجاحات المحلية في ارتفاع أسهم المدربين التونسيين على المستوى العربي، ما جعل منتخبات عربية تستنجد بهم لتدريبها على غرار عمان التي أشرف سابقا على منتخبها، التونسي المنصف المليتي، ومنتخب ليبيا الذي دربه في وقت ما فوزي البنزرتي. أما مؤخرا فدرب نبيل معلول منتخب الكويت مباشرة بعد انتهاء تجربته مع نسور قرطاج، قبل أن يحط الرحال إلى دمشق لتدريب المنتخب السوري.

وعلى مستوى شمال إفريقيا فرض المدربون التونسيون أنفسهم أيضا، فقد درب فوزي البنزرتي الرجاء البيضاوي المغربي وذهب معه بعيدا في كأس العالم للأندية قبل أن يتم انتدابه من غريم الرجاء، الوداد البيضاوي. ودرب نبيل الكوكي المريخ السوداني قبل أن يستقر في وفاق سطيف الجزائري، فيما استقر المدرب يامن الزلفاني في شبيبة القبائل الجزائري وقبلهما حط المدرب طارق ثابت الرحال في ليبيا ودرب أهلي طرابلس قبل أن يعود إلى تونس، وسبقه إلى بلد عمر المختار مدربون تونسيون كثر على غرار خالد حسني والمختار التليلي.

وكان المدرب التونسي أحمد العجلاني الذي تألق في الخليج العربي أنقذ في وقت سابق أولمبيك خريبكة المغربي من النزول، ثم تألق معه في الموسم الموالي وأبهر كل المتابعين للدوري المغربي. فقد أصبح هذا النادي المغمور ينافس على لقب الدوري، ووقف ندا مع الوداد البيضاوي الذي تمكن في النهاية من حصد اللقب، واحتل خريبكة المركز الثاني بفضل مجهود لاعبيه ودهاء التونسي أحمد العجلاني الذي ضمن للنادي المشاركة في دوري أبطال إفريقيا.

أما على مستوى منطقة الخليج العربي فاستقر المدرب التونسي سامي الطرابلسي في قطر وتحديدا بنادي السيلية منذ 2013، وحقق معه نتائج جيدة منذ الموسم الأول. ويتميز الطرابلسي القائد السابق لنسور قرطاج والذي نشأ بنادي سكك الحديد الصفاقسي بأخلاق عالية وبكفاءة في التدريب جعلته يفوز مع المنتخب التونسي للمحليين كمدرب بكأس أمم إفريقيا. ويستقطب الدوري السعودي العدد الأكبر من المدربين التونسيين، حيث ضم في بدايته هذا الموسم أربعة مدربين تونسيين، وهو ربع عدد المدربين الأجانب. ويبدو أن العدد سيرتفع بالتحاق المدرب الحالي للصفاقسي فتحي جبال بهذا الدوري مع الاتفاق السعودي. وكان جبال توج سابقا كمدرب بالدوري السعودي مع نادي الفتح، وقاده للمشاركة لأول مرة في تاريخه في دوري أبطال آسيا قبل أن يعود إلى تونس ويدرب الصفاقسي.

وتألق أيضا في الدوري السعودي في السنوات الأخيرة المدرب التونسي ناصيف البياوي الذي خاض تجربة التدريب مع أندية عدة، على غرار الرائد والقادسية والفتح والتي شهدت نقلة نوعية في مستواها مع البياوي. وجعل هذا التألق المدرب التونسي محل متابعة من أندية خليجية عدة قصدت التعاقد معه لتدريبها ومن ذلك ناديه الحالي، العدالة، الذي يرغب في المواصلة معه وقطع الطريق على ناديين من قطر والإمارات. لقد كان التألق يقتصر في السابق على المدربين التونسيين الذين يلعبون مع أنديتهم الأدوار الأولى في الدوريات الخليجية، لكن في السنوات الأخيرة أصبح هناك مدربون ينقذون أنديتهم من النزول أو يصعدون بهم ويثبتونهم ويتفوقون بهم على الكبار. ومن المدربين التونسيين الذين تألقوا في السعودية وطوروا أداء أندية كانت مغمورة وصعدوا بها، المدرب جميل قاسم الذي حقق الصعود مع نادي الوحدة إلى دوري المحترفين في 2018. وأيضا عبدالرزاق الشابي مدرب أبها الذي يرغب ناديه في تجديد التعاقد معه، والذي تسلم الفريق في 2018 وحقق معه الصعود في 2019 بعد غياب لأكثر من عقد من الزمان.

ودرب الشابي المدافع الأسبق للنجم الساحلي والمنتخب التونسي، والذي يلقب في السعودية بالأخطبوط، العديد من الأندية السعودية، منها القادسية والتعاون والوحدة وغيرها. ويكاد الشابي يصبح مواطنا سعوديا بامتياز بعدما طال به المقام في أرض الحرمين، واختص في تدريب الأندية السعودية وأصبحت شهرته واسعة هناك، خلافا لما هو الحال في تونس التي ابتعد عن ساحتها الرياضية مدافع النجم الساحلي الأسبق الذي عرف بانضباطه ودماثة أخلاقه.

وللإشارة فإن هذه السمعة الطيبة للمدربين التونسيين في العالم العربي وخصوصا في منطقة الخليج مهد لها مدربون كبار تألقوا في السابق، بداية في تونس ثم في بلدان الخليج، وحققوا أروع النتائج. ومن بين هؤلاء عبدالمجيد الشتالي وتوفيق بن عثمان والحارس العملاق الصادق ساسي والمعروف باسم «عتوقة» ويوسف الزواوي ولطفي البنزرتي والقائمة طويلة، ويمكن معها القول أن للمدربين التونسيين تقاليد في الدوريات العربية والخليجية على وجه الخصوص، وهناك تفوق حقيقي للمدرب التونسي على نظرائه من مختلف البلدان العربية.

ويبدو أن الملاعب الأوروبية أيضا بدأت تستهوي المدربين التونسيين، خاصة بعد تألق الأسعد جردة مع نادي أستريا النمساوي الذي يشارك في الكؤوس الأوروبية. وعاد جردة اللاعب السابق للترجي إلى أرض الوطن وأشرف على الإتحاد المنستيري الذي تحول معه إلى منافس جدي للترجي على لقب الدوري وقدم موسما استثنائيا.

ولا يقتصر تألق المدربين التونسيين عربيا في كرة القدم، بل تجاوزوها إلى مختلف الرياضات وخصوصا الجماعية على غرار كرة اليد والكرة الطائرة وكرة السلة التي تعتبر تونس من أهم المدارس الإفريقية فيها. فالخضراء على سبيل المثال هي صاحبة الرقم القياسي في الفوز بالبطولات الإفريقية في كرة اليد بعشر بطولات، بالإضافة إلى مشاركتها بانتظام في كأس العالم ووصولها إلى المربع الذهبي في إحدى الدورات، ولديها مدربون كبار في هذه اللعبة، تألقوا محليا وفي منطقة الخليج على غرار سعيد عمارة والسيد العياري ورياض الصانع وعدنان بلحارث وحافظ الزوابي وغيرهم.

نبيل معلول من أشهر المدربين التوانسة في الوطن العربي

خلدون الشيخ

صلاح محظوظ بكلوب مدرباً لليفربول!

أخيراً فعلها ليفربول، رسمياً، بتتويجه بطلاً لأشرس دوري في العالم، بعد غياب 30 عاماً عن رفع كأس الدوري الانكليزي، لتنتفض المدينة المكلومة بكارثتي «هيسيل» و«هيلزبره»، بفرحة عارمة في المدينة وحول استاد «انفيلد» من دون حساب لفيروس قد يضرب مجدداً في موجته الثانية.

رغم ان الجميع كان يعلم انها مسألة وقت قبل تتويج ليفربول، الا ان حصول هذا الأمر حسابياً وتأكيده رسمياً، كان له صدى غريب ولذيذ، واكثر من شعر بحرارة اللحظة كان المدرب الألماني يورغن كلوب، الذي انهالت دموعه فرحاً ولم يتمالك نفسه أمام كاميرات التليفزيون واعتذر عن تكملة اللقاء، فهو في هذه اللحظة فقط، استوعب حقيقة مع فعل مع رجاله على مدى عام كامل من معجزات كروية وأرقام قياسية وعروض خيالية وأهداف لا تنسى، ورأى في أجواء المدينة غمامة الخيبات تنقشع، لتحل محلها نفحات التفاؤل والابتسامات والاحتفالات رغم أزمة كورونا.

عندما قدم النجم المصري محمد صلاح موسماً خرافياً، في 2017–2018، وكان الاول له مع الفريق، وسجل 44 هدفاً كاسراً كل الأرقام القياسية، طالبه الجميع بالرحيل إلى ريال مدريد، أقول الجميع وانا أقصد هؤلاء أصحاب النظرات الضيقة والقصيرة المدى والمغيبين، رغم انه في ذلك الموسم لم يحرز أي لقب مع ليفربول، بل خسر نهائي دوري الأبطال أمام الريال بالتحديد، وقبلها خسر الفريق نهائيين مع كلوب (كأس الاتحاد الأوروبي وكأس المحترفين)، لكن ما كان يملكه في ليفربول، لن يتكرر له في ناد آخر، خصوصاً بوجود مدرب بعقلية يورغن كلوب، صاحب الشخصية الودودة والبشوشة والمبتسمة دائماً، لكنه حازم وصارم في ملعب التدريبات وصاحب نهج كروي مختلف، ومن الصعب على لاعب ألا يتمنى ان يكون جزءاً من فريق يدربه هذا الداهية الألماني، بل سيندم في حال طلب الرحيل.

وهذا بالضبط ما حدث مع النجم البرازيلي كوتينيو، فبعدما كان ملكاً في «انفيلد» ومركز الأضواء والانتباه في الفريق، أصر على الرحيل إلى برشلونة، ورغم محاولات النادي باقناعه بالبقاء، الا انه أصر وفعل في شتاء 2018، وبعدها مباشرة انفجرت مواهب ليفربول، وحقق بعدها ألقاب أبطال أوروبا وكأس العالم للاندية والآن الدوري الانكليزي، وكوتينيو غير مرغوب به في برشلونة ويتنقل معارا من ناد إلى آخر، من دون جدوى.

عقلية كلوب بلعب دور الأب والأخ والصديق مع نجوم الفريق ليست فريدة، لكنها مثمرة وأساسية في تحقيق النجاح، وهو ما تذوقه المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو في مطلع مسيرته مع تشلسي والانتر، ولكن فجأة فقد هذه الميزة في السنوات الأخيرة، اما بسبب تعنت اللاعبين او بسبب كبر «رأس» المدرب البرتغالي، ليفقد سحره وبريقه. لكن كلوب لعب دوراً مهماً في اطفاء النيران في صراع صلاح وماني، على الزعامة الافريقية وعلى زعامة الهدافين، مثلما وقف إلى جانب الحارس «الكارثي» لوريس كاريوس الذي تسبب في هزيمة الفريق امام الريال في نهائي أبطال 2018، وظل على تواصل معه مشجعاً حتى برحيله معاراً إلى أندية أخرى.

هذا الجانب الانساني من كلوب قربه جداً إلى أبناء المدينة، بل أصبح شخصية محبوبة من الجميع، وبينهم أنصار الفرق الاخرى، رغم ان الاشادة على انجاز السنوات الأخيرة ينسحب على كل موظفي واداري النادي، وبينهم المدير التنفيذي مايكل ادواردز، مهندس صفقات ضم اللاعبين، والذي أقنع كلوب بصلاح، وهي ربما معلومة لا يعرفها كثيرون، ان كلوب وكشافوه كانوا يبحثون عن لاعب مهاري صاحب سرعة عالية، واقترح ادواردز اسم صلاح، لكن كلوب تردد، معتبراً ان جسم صلاح النحيل قد لا يلائم شراسة وخشونة الدوري الانكليزي، لكنه في النهاية اقتنع، مثلما اقتنع بضم قلب الدفاع فان دايك والحارس أليسون بعد اقتراح ادواردز بأن خط الدفاع لا يتماشى مع القوة الهجومية الخارقة في الفريق، فمثلما شبه البعض الفريق قبل عامين بان «خط هجومه فيراري وخطه الدفاعي تويوتا كورولا»، الا أن روح كلوب هي الفارق، ومثلما قال للاعبيه عند تعيينه مدرباً لليفربول في اكتوبر 2015: «علينا خلق قصصنا وتاريخنا ولا نقارن أنفسنا بأي أحد على الاطلاق وبأي من النجوم الرائعين الذين لعبوا للفريق على مر العصور... أنتم نجوم اليوم والمستقبل»، فان صلاح يدرك أنه أصبح أيقونة عالمية بوجوده في المكان الصحيح والزمان الصحيح تحت ادارة رجل خارق.

@khaldounElcheik

مجتمع

الشيف البريطانية الفلسطينية جودي القلا: طُلب مني تغيير اسم كتابي «فلسطين على طبق» وقولي «لا» جزء من مقاومتي

لميس أنس

بدأ عشق الشيف البريطانية من أصل فلسطيني جودي القلا للطبخ منذ الصغر، إذ كانت تراقب والدتها أثناء تحضيرها الأكلات التي بقيت في ذاكرتها من فلسطين بعد الهجرة والترحيل. ساعدها ذلك في اكتشاف هويتها ومعرفة المزيد عن تاريخ أجدادها وثقافتهم التي يحاول الإسرائيليون الاستيلاء عليها.

في حوار خاص مع «القدس العربي» تتحدث مؤلفة كتاب «فلسطين على طبق» عن شغفها بالمطبخ الفلسطيني وعلاقته بهويتها والرسالة التي تحاول إيصالها.

○ من أين جاء هذا الشغف بالمطبخ الفلسطيني والرغبة في مشاركته مع العالم؟

● عندما كنت أدخل إلى المطبخ مع أمي وأنا صغيرة، لم أكن أعي ماذا كنا نفعل، كنت فقط أساعدها ولكن تدريجيا بدأت أتعلم من نحن ومن أين أتينا. كنت أستمع لقصص جدتي وعماتي اللواتي كن يزرنا في لندن، وكنا نزورهم في سوريا والأردن ومصر حيث هُجروا. بدأ كل ذلك يؤثر فيّ، كم رائع المطبخ الفلسطيني وكم من قصة وراء كل شيء، كل طبق لديه ذكرى عند أحد. وكنت مهتمة جدا بمعرفة هذه القصص. كان ذلك أكثر من مجرد طعام. كان وسيلة تواصل معهم. لم أكن أفهم تماما كل شيء، فالنشأة في لندن تجعل لديك منظورا مختلفا عن الحياة، وهم عانوا من التهجير من وطنهم فلسطين ليصبحوا لاجئين في سوريا، لذا كنت مهتمة جدا في هذه الجزئية من حياتهم. وعندما أصبحت في العشرينيات من عمري زاد اهتمامي بشدة في هوية الأكل ومن هنا بدأت أتعلم في مدارس الطهو والعمل في المطاعم، وبعد مرور عشر سنوات تقريبا أسست مشروعي الخاص مطعم «بيتي».

أصبحت من خلال هذا المشروع قادرة على التعبير عن نفسي، فكنت أغير قائمة الطعام كل يوم، وأثقف الناس حول المنتجات الفلسطينية التي يشترونها مثل الزيتون والزعتر والطحينة. كان هذا أمرا غير اعتيادي بالنسبة لهم لأنه في ذلك الوقت الأكل الشرق أوسطي كان عبارة عن الطعام الذي يأكلونه في المطاعم اللبنانية مثلا، لم تكن هناك هوية مطبخ محدد وإنما فكرة عامة عن طعام هذه المجموعة من الناس. وهنا فعلا بدأت أفكر أنني أريد أن أضع أفكاري على ورقة. وجاءت فكرة أن أكتب «فلسطين على طبق» فأنا أحب الكتابة وليس فقط وصفات الطعام وإنما قصص الناس. إنها طريقة رائعة للتعبير عن نفسي.

○ لكل إنسان رسالة، وربما الفلسطيني تحديدا دائما ما تكون لديه رسالة يحاول إيصالها للعالم، ما هي رسالتك؟

● لدي الكثير من الرسائل، لكن رسالتي الأساسية هي أنني لا أريد أن يتم الاستيلاء على أكلاتنا وتصنيفها على أنها إسرائيلية بعد الآن، أريد أن يتم الاعتراف بها كما هي تاريخيا. أتفهم أن فلسطين قبل الاحتلال كان يعيش فيها اليهود والفلسطينيون بسلام وكانوا يأكلون الطعام نفسه لكن هذا الطعام عربي فلسطيني وهذا هو جزء من القصة التي أريد مشاركتها مع الناس. علينا الاعتراف من أين جاءت هذه الأشياء. أسعى للمحافظة على تاريخنا وقصصنا وعاداتنا وذكرياتنا، ووصفاتنا، وأن أضفي الطابع الإنساني على قصتنا، وإسماع صوتنا نحن بدلا من أن يتحدث باسمنا غيرنا وهو ما أراه كثيرا هنا في بريطانيا خصوصا في الإعلام، حيث يطلبون من شيف إيراني أو تركي أو إسرائيلي التحدث عن مطبخنا وليس أنا. إنه أمر محبط لأننا نعرف أكثر عنا، لذا أمل أن يُسمع صوتنا بشكل أعلى من خلال الأكل، الأزياء، الموسيقى والفن. نظهر بأننا فلسطينيون أولا ثم طباخين أو فنانين أو مصممي أزياء. حان الوقت لتغيير طريقة سرد قصتنا كما في الإعلام منذ سنوات. علينا إظهار الحقيقة على الأرض. نحن الفلسطينيون الذين يعيشون خارج فلسطين، كيف هي حياتنا وما رأيناه في عائلاتنا والأذى الذي لحق بآبائنا وأجدادنا، أمور كثيرة لم يتم إخبارها، علينا تقديم قصتنا بطرق مختلفة.

○ واجهت صعوبات عندما أردت نشر كتابك الأول «فلسطين على طبق» وخصوصا فيما يتعلق بالعنوان، أخبرينا عن ذلك.

● أحبت دور النشر كتابي لكن بعضهم طلبوا تغيير العنوان «فلسطين على طبق» أصريت على موقفي بأنني لن أغير اسم الكتاب. وأخبرت وكيلة أعمالي بأن هذا ليس مجرد عمل بالنسبة لي إنه شغف. أنا هنا لأسجل موقفي، وإذا طلب مني الناشر تغيير الكتاب فأنا لن أختاره. قالت لي إن لديهم وجهة نظر، فاين فلسطين على الخريطة؟ كيف يمكننا الحديث عن فلسطين من دون الحديث عن إسرائيل؟ إنه موضوع صعب، ومجرد طرح هذه الأسئلة يؤكد أهمية طرح هذا الكتاب تحت هذا الاسم. وهو ما جعلني أكثر تصميما. وهنا رتبت وكيلتي لقاء مع ناشرة جديدة، أحبت الكتاب لكنها أيضا كانت مترددة بعض الشيء بخصوص العنوان إلا أنها وقمت بإرسال مقاطع فيديو لها لم يسبق أن شاهدتها من قبل بسبب الصورة التي يظهرها الإعلام عن الفلسطينيين. قرأت عن جدتي وعن أمي والأكلات والقصص التي كان بعضها طريفا. مر أكثر من عام وبدأت أشعر بالإحباط بأن لا أحد يريد أن ينشر كتاب طبخ فلسطيني. بعد ذلك اتصلت بي وقالت لي لننشر الكتاب. وحقق نجاحا مذهلا.

كنت فخورة جدا بهذا الكتاب، فخورة بتقديمه لوالدي ووالدتي، أن يريا اسميهما في الكتاب، أسماء جداتي وعماتي. أعاد الكتاب الكل إلى الحياة فهو لا يتحدث فقط عن عائلتي أنا، فعائلتي هي عائلة كل شخص.

○ هل تعتبرين ما تقومين به نوعا من المقاومة؟

● نعم، بقولي لا يعني أنني قاومت، يعني أنني فوّتُ عليهم هذه الفرصة لقمع شيء مهم جدا بالنسبة لي، فهذا لم يكن مجرد كتاب طبخ، هو عن وصفات جدتيّ واحدة منهما من صفد والأخرى من اللد، هو ليس عن الأكل الشرق أوسطي، هو من مكان محدد جدا وأنا أردت أن أكرّم ذلك. ألمني جدا كم كان صعبا موضوع العنوان ولكنني سعيدة للغاية أنني تمسكت بموقفي.

○ بعد النجاح الكبير الذي حققه الكتاب جاء الكتاب الثاني «بلدي» ما الذي يميزه؟

● بعد عام من نشر «فلسطين على طبق» اتصلت بي ناشرتي جاكي وقالت لي أريد أن أنشر كتابا آخر لك قبل أن أتقاعد، أثر ذلك في كثيرا لأنها شخصية مرموقة في هذا المجال وأرادت أن يكون اسمها على الكتاب. وهنا جاء «بلدي» الذي يحتوي على 80 وصفة. في هذا الكتاب استخدمت انستغرام حيث راسلت بعض الأشخاص وقلت لهم إنني بصدد إصدار كتاب جديد، «أرسلوا لي مقترحاتكم بخصوص وصفات». ومن خلال الاقتراحات التي وصلتني تمكنت من إكمال كتابة القائمة التي أطلعت والدتي عليها وبدأنا العمل. احتوى الكتاب على وصفات مثل «القدرة» من غزة، من أم صديقي خالد، ووصفة التبولة من عائلة صديقتي هند من الخليل، وهكذا من خلال رسائل الجميع واقتراحاتهم تمكنا من إتمام الكتاب الذي تضمن صورا من فلسطين، وقلت لماذا علينا أن نرسل مصورا إنكليزيا إلى فلسطين لالتقاط الصور من منظور شخص غربي بدلا من أن يصورها فلسطينيون بأنفسهم؟ وبالفعل طلبت من أشخاص أن يرسلوا لي صورا من فلسطين. كانوا أناسا عاديين وليسوا مصورين محترفين، وصلتني أكثر من 10 آلاف صورة وكان علينا اختيار 100. وهكذا أبصر كتاب «بلدي» النور من خلال المجتمع، انستغرام، من فلسطينيين يعيشون في فلسطين. أردته أن يكون كذلك مع أنه كان صعبا ولكن النتيجة كانت رائعة، وهذا ما يجعله مختلفا.

○ كيف ساهمت التكنولوجيا ومواقع التواصل الاجتماعي في وصولك إلى شريحة أوسع من الناس؟

● كان استخدام هذه الوسائل رائعا حقا بالنسبة لي، فمن خلالها جلبت الكثير لنوادي العشاء والاستشارات، ودروس الطبخ، ومقاطع الفيديو. الآن من خلال تطبيق زووم أعطي دروسا في الطبخ لمجموعة من المشتركين. إنها أداة رائعة في الوصول إلى الناس خاصة مع قيود التباعد الاجتماعي بسبب جائحة فيروس كورونا. علينا أن نغير طريقة العمل. لقد كان صعبا جدا الانتقال من حالة الانشغال الدائم إلى الفراغ، فمنذ بدء الجائحة توقف كل شيء، نادي العشاء الذي كنت أقيمه بشكل شهري، اللقاءات، كل شيء. الوسائل التكنولوجية ساعدتني في التغلب على ذلك والإحباط الذي تبعه. قلت لنفسي كيف لم أفكر بهذا الأمر من قبل!

○ ماذا بعد؟ هل تحاول جودي تطوير الوصفات الخاصة وعمل منتجات لطرحها في السوق؟

● نعم، لكن أخطو خطواتي بثبات وبطء نوعا ما، لأنني أريد أن أفعل ذلك بالشكل الصحيح وأن أقدم شيئا وفق المستوى. أتخيل لو تذوقته جدتي ستقول نعم! لدي الفكرة والاسم والتصميم وكل شيء تقريبا، إلا أن هناك حاجة لبعض الوقت أمام الخطوة التالية من حيث المواد اللازمة، أريد أن أحضرها من فلسطين، زعتر، زيت، سماق، مفتول، تمر، ملح من البحر الميت. أصدقائي في لندن لديهم شركة «زيتون» وهي شركة صغيرة غير ربحية تديرها نساء ويجلبون كل شيء من فلسطين. وهو أمر صعب جدا إذ من بعد إنتاجها في فلسطين عليها المرور من خلال إسرائيل ومن ثم إلى مكان آخر. الإسرائيليون يجعلون الأمر صعبا جدا. لكن هذه الشركة الصغيرة مستمرة في عملها وأتعامل معهم في كل شيء وتحدثنا عن التعاون معا إلا أنني أريد أن أقوم بشيء مختلف تماما. سيبصر مشروعي النور عندما يصبح جاهزا.

طريقة إعداد حراق إصبعه

من كتاب طبخ جودي القلا «بلدي»

هذا الطبق مشهور في سوريا، المكان الذي هاجرت إليه عائلة جودي بعد نكبة فلسطين عام 1948، وهو شبيه بطبق السماقية المشهور في قطاع غزة لكن إضافة الكزبرة والتمر الهندي تُكسبه طعما خاصا.

المكونات:

760 غرام من العدس البني الحب.
ست بصلات متوسطة الحجم مقطعة إلى شرائح.
زيت للقلي.
3 أرغفة خبز مقطعة إلى مربعات صغيرة.
6 فصوص من الثوم ـ مهروس.
100 غم من التمر الهندي المنقوع ب 250 ملليتر من الماء الدافئ.
ملعقتان كبيرتان من دبس الرمان.
ملعقة من الملح.
معكرونة رفيعة، (تاغلياتيلي) مقطعة بطول 2.5 سنتيمتر.
عصير ليمونتين أو ثلاثة.
250 غرام كزبرة خضراء مفرومة.
حبوب حبة رمان
100 غرام من زيت الزيتون.

طريقة التحضير

يتم وضع العدس البني بعد غسله في الطنجرة، ويتم غمره بالماء (يكون الماء 5 سنتيمتر فوق العدس) ويترك على النار بعد الغليان حوالي 40ـ45 دقيقة.

يتم تشغيل الفرن لتحميص الخبز على حرارة 210 درجات أو 190 درجة إذا كان مع مروحة. يتم تسخين 400 ملليليتر من زيت القلي (زيت عباد الشمس)، ويتم قلي البصل على دفعات حتى تحمر (10ـ15 دقيقة كل دفعة).

يتم وضع الخبز المقطع بالفرن إلى أن يصبح ذهبي اللون (حوالي 10 ـ 12 دقيقة)، أو يمكن قلي الخبز بقليل من الزيت إلى أن يصبح لونه ذهبي (حوالي خمس دقائق).

أضيفي نصف كمية البصل المقلي ونصف كمية الثوم ومنقوع التمر الهندي ودبس الرمان إلى العدس. يتم خلط المكونات ويضاف إليها الملح والمعكرونة ويتم خلطها وتترك على النار لمدة ثلاث أو أربع دقائق. يتم إضافة عصير الليمون وتذوق الطبق، قد يحتاج إضافة ملح أو ليمون، تتم إضافة ثلاثة أرباع كمية الكزبرة ويحرك الخليط ثم يوضع في طبق التقديم.

يتم خلط بقية الثوم مع الكزبرة، وتزيينه بخطوط من الخبز المحمر والكزبرة المفرومة، والرمان والبصل المقلي. يوضع زيت الزيتون على وجهه، ويقدم هذا الطبق بدرجة حرارة الغرفة.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

بيض البط فوائده كثيرة لكنه لا يخلو من أضرار

يعد بيض البط من المصادر الغذائية المهمة التي تحتوي على البروتين والأحماض الأمينية، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمعادن ومركبات مختلفة، لكنه لا يخلو من أضرار لابد من معرفتها.

ومن الممكن ملاحظة بيض البط وتمييزه عن بيض الدجاج بسهولة، وذلك من خلال حجمه الكبير. كما يتواجد بيض البط في مجموعة من الألوان، مثل الأزرق والأخضر والرمادي وأحياناً الأبيض، الأمر الذي يعتمد على سلالة البط بالدرجة الأولى، غير أنه قد يختلف أيضاً حتى من نفس السلالة، بحسب ما نشره موقع «وايد اوبن بيتس» الأمريكي.

يعتبر بيض البط مصدراً غذائياً غنياً بالبروتين والأحماض الأمينية الأساسية التي يحتاجها الجسم، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمعادن ومركبات مختلفة أخرى تعزز الصحة ومفيدة لسلامة العين والدماغ، وقد يقي من الالتهابات والأمراض المرتبطة بالعمر. ومقارنة مع بيض الدجاج قد يحتوي بيض البط على عناصر غذائية أكبر نظراً لحجمه، حيث تزن البيضة في المتوسط 70 غراماً، في حين تزن بيضة الدجاج 50 غراماً.

من ناحية أخرى وعلى الرغم من الفوائد الصحية الكبيرة لبيض البط، غير أنه قد لا يكون خياراً آمناً ومناسباً للجميع، إذ أن بروتين البيض من مسببات الحساسية الشائعة، إحدى أكثر حالات الحساسية الغذائية شيوعاً عند الرضع والأطفال، وقد تتراوح أعراضها من الطفح الجلدي إلى عسر الهضم أو القيء أو الإسهال. في الحالات الشديدة، يمكن أن تسبب الحساسية الغذائية الحساسية المفرطة، والتي يمكن أن تؤثر على تنفس الشخص وتكون مهددة للحياة، لذا من الأفضل التأكد من قبل اختصاصي قبل وضعه على مائدة الطعام وبالذات إذا كان الشخص مصابا صابا بمرض السكري أو يعاني من أمراض القلب، حسب ما نشره موقع «هيلث لاين» الأمريكي.

الحمل

حماسك يدفعك للتخطيط لمستقبل أفضل

الثور

تتعلم شيئا جديدا من زملائك في العمل

الجوزاء

مشروع تجاري يواجه الفشل

السرطان

لقاءات حارة ومبادلات عاطفية مناسبة

الاسد

تطورات ايجابية في العمل لأنك شخص طموح

العذراء

تضطر للمكوث في المنزل بسبب التعب

الميزان

يمكنك تأسيس روابط مع معارف جديدة

العقرب

لا تكن ضعيفا أمام الخصوم

القوس

اقبل النصائح التي يقدمها لك الزملاء

الجدي

عليك أن تحقق النجاح اليوم

الدلو

اهتم بنوعية طعامك، فالوزن الزائد يضرّك

الحوت

تتميز اليوم بكفاءتك في العمل

جديد الطب

حصيلة فيروس كورونا المستجد في العالم

أودى فيروس كورونا المستجدّ بحياة ما لا يقل عن 494.337 شخصا في العالم منذ ظهوره في الصين في كانون الأوّل/ديسمبر، وفق تعداد لوكالة فرانس برس استناداً إلى مصادر رسميّة حتى السبت.

وسُجّلت رسميًا إصابة أكثر من 9.823.840 شخصا في 196 بلداً ومنطقة بالفيروس منذ بدء تفشيه، تعافى منهم 4.882.900 شخص على الأقل.

لا تعكس هذه الأرقام إلّا جزءا من العدد الحقيقي للإصابات، إذ إنّ دولاً عدّة لا تجري فحوصا إلّا للحالات الأكثر خطورة، فيما تعطي دول أخرى أولوية في إجراء الفحوص لتتبع مخالطي المصابين، ويملك عدد من الدول الفقيرة إمكانات فحص محدودة.

والولايات المتحدة، التي سجلت أول وفاة بكوفيد–19 مطلع شباط/فبراير، هي البلد الأكثر تضرراً من حيث عدد الوفيات والإصابات مع تسجيلها 125.039 وفاة من أصل 2.467.837 إصابة. وشفي ما لا يقل عن 670.809 أشخاص.

بعد الولايات المتحدة، الدول الأكثر تضرراً بالوباء هي البرازيل حيث سجلت 55961 وفاة من أصل 1.274.974 إصابة، تليها المملكة المتحدة بتسجيلها 43414 وفاة من أصل 309.360 إصابة، ثمّ إيطاليا مع 34708 وفاة (239.961 إصابة) وفرنسا مع 29778 وفاة (199.343 إصابة).

وحتى أمس أعلنت الصين (بدون احتساب ماكاو وهونغ كونغ) رسمياً 4634 وفاة من أصل 83438 إصابة (21 إصابة جديدة بين الجمعة والسبت) تعافى منها 78444 شخصاً.

وأحصت أوروبا السبت حتى الساعة 11.00 بتوقيت غرينتش، 195.655 وفاة من أصل 2.622.813 إصابة فيما بلغ عدد الوفيات المعلنة في الولايات المتحدة وكندا 133.592 (2.570.572 إصابة).

وفي أميركا اللاتينية والكاريبي سجلت 108.222وفاة (2.369.242 إصابة)، وآسيا 32439 وفاة (1.183.410 إصابة) والشرق الأوسط 15046 وفاة (708.759 إصابة) وأفريقيا 9250 وفاة (359.944 إصابة) وأوقيانيا 133 وفاة (9109 إصابات).

أعدّت هذه الحصيلة استناداً إلى بيانات جمعتها مكاتب وكالة فرانس برس من السلطات الوطنية المختصّة وإلى معلومات نشرتها منظمة الصحة العالمية.

كلوروكين عقار أسقط قناع مصالح متوحشة للوبيات الأدوية

فيما أعلنت بريطانيا المصادقة على استخدام دواء ديكساميثازون لعلاج المصابين بكورونا، لا تزال ارتدادات الجدل العالمي بشأن عقار كلوروكين تتواصل، جدل تحول لفضائح تداخلت فيها الاعتبارات العلمية بالمصالح السياسية والمالية.

ديكساميثازون: إعلان بريطاني

أعلنت وزارة الصحة البريطانية، في بيان أصدرته يوم 16 يونيو/حزيران الجاري اعتماداً على أبحاث واختبارات باحثين من جامعة أوكسفورد، أنها صادقت على استخدام عقار «ديكساميثازون» كـ«أول دواء في العالم ضد فيروس كورونا المستجد ثبت أنه قادر على خفض خطر الوفاة». وأوضح علماء الجامعة أن اعتماد هذا الدواء لعلاج المرض يخفض خطر الوفاة بين المصابين الذين يتلقون الأوكسجين بنسبة 20 في المئة وبين المرضى الموصولين بأجهزة التنفس الاصطناعي بنسبة 35في المئة. وجرى تجريب هذا العقار الحالي الاختبارات على 2104 مصابين بالفيروس كانوا يتلقون 6 مليغرامات من «ديكساميثازون» يومياً على مدار 10 أيام.

وأضافت الوزارة: «أظهرت اختبارات هذا الدواء، التي مولّتها الحكومة، أنه يخفض بشكل ملموس خطر الوفاة بين المصابين الذين يحتاجون إلى العلاج بالأوكسجين. تفعل الحكومة كل شيء ممكن لكي يصبح هذا الدواء فوراً متاحاً لكل مؤسسات هيئة الصحة الوطنية وفي كل أنحاء بريطانيا». وقال وزير الصحة البريطاني، مات هانكوك: «يسرني الإعلان عن أول اختبارات سريرية ناجحة في عقار الملاريا لعلاج مرضى كوفيد–19 هذه الطفرة الذهلة دليل على العمل الرائع الذي يقوم به علماؤنا وراء الكواليس». ويذكر أن ديكساميثازون دواء رخيص مضاد للالتهابات يستخدم منذ أكثر من ستين عاما. غير أنه لا يزال من السابق لأوانه الحسم في نجاعة هذا الدواء وكيف سيتكون ردود فعل الباحثين والخبراء عبر العالم، خصوصاً وأن الجدل بشأن عقار كلوروكينيلا يزال حاضراً في الأذهان.

كلوروكين: العقار الأكثر شهرة

منذ بداية اشتداد جائحة كورونا والجدل محتدم بشأن فعالية عقار هيدروكسيكلوروكين أو رديفه كلوروكين (في هذا المقال سنستعمل الاسمين كمرادفين) لدى مرضى كوفيد–19. لقي هذا العقار شهرة عالمية منذ بداية العام الجاري، حينما نشر باحثون صينيون دراسة أولية تؤكد أنه يمكن أن يكون فعالاً ليس فقط ضد الملاريا ولكن أيضا ضد كوفيد–19. ومنذ ذلك الحين، لم يتمكن العالم في الحسم بشكل قاطع بشأن فعالية العقار، خصوصا وأن الجدل زاغ عن منحاه العلمي وأصبح سياسياً وأحياناً أيديولوجيا. وبهذا الصدد كتبت بيرغيت هولتسر، محررة الشؤون الصحية في صحيفة «برلينه تسايتونغ» 26 مارس/آذار الماضي، مقالا أكدت أنه رغم ما توصل إليه الباحثون الصينيون في دراسات سريرية، إلا أن العديد من الأطباء والخبراء لا يزالون يحذرون من مخاطر التسمم والأعراض الجانبية لهذا العقار. كما أن منظمة الصحة العالمية لا تنصح به رسمياً إلى اليوم. وسنرى كيف أن المصدر الصيني للدراسة الأولى كان مشكلاً بالنسبة للعديد من الباحثين الغربيين وساهم في تعقيد الجدل بشأن كلوروكين.

الجدل تحول إلى حرب بالوكالة بين مؤيدي إجراءات الحظر الصحي ضد الوباء ومعارضيه. وقد يكون هذا الدافع الرئيسي الذي جعل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ونظيره البرازيلي بير بولسونارو يدافعان بحماس عن كلوروكين. بل إن ترامب تباهى بأخذ الدواء على سبيل الوقاية من كورونا، قبل أن يعلن توقفه. أنصار نظريات المؤامرة اعتبروا تكاثر الدراسات غير الدقيقة التي تسعى لإثبات عدم فعالية كلوروكين، مؤامرة كونية من قبل ما يسمى بـ«بيغ فارما» أي الشركات العملاقة لصناعة الأدوية التي تفضل إنتاج عقاقير جديدة مكلفة ومجدية من الناحية المالية، بدلا من استعمال أدوية رخيصة موجودة في السوق منذ عشرات السنين.

هيدروكسيكلوروكين: من الملاريا إلى كورونا

هيدروكسيكلوروكين هو دواء رديف ومماثل لكلوروكوين مُتداول في الصيدليات منذ 75 عاماً، يُأخذ عن طريق الفم لعلاج التهاب المفاصل الروماتويدي وأمراض الكولاجين وكذلك الوقاية من الملاريا المدارية. ومنذ اندلاع جائحة كورونا ظهر اتجاه لدى العديد من الأطباء لاستعمال عقار الملاريا لعلاج مرضى كوفيد–19 اعتقادهم بأن المكونات النشطة في كلوروكين لها خصائص قد تساعد في القضاء على الفيروس، رغم أن سبب الملاريا ليس فيروساً، وإنما طفيليات تهاجم خلايا الدم الحمراء وتدمرها.

ولكلوروكين ورديفه الأقل سمية هيدروكسيكلوروكوين فعالية أيضا ضد بعض الفيروسات، كفيروس التهاب الكبد من نوع «ب». وتُعطل المكونات النشطة في الدواء عملية نمو البروتينات في الجسم وهو ما يُعطل بدوره قدرة الفيروس على الارتباط بالخلايا. هذا ما جعل الكثير من الأطباء يعتقدون أن العقار قادر على مهاجمة كوفيد–19 أيضا، اعتمادا على دراسات أولية نشرتها الصين بعد تفشي الجائحة فيها.

نجم بلا منازع

ارتبط الجدل العالمي بشأن عقار كلوروكين باسم البروفيسور الفرنسي ديدييه راوولت (78 عاما) الخبير ذو السمعة العالمية، المتخصص في الأمراض المعدية المدارية وأستاذ علم الأحياء الدقيقة في مدرسة الطب بمرسيليا ومعهد الأمراض المعدية بمستشفى جامعة مرسيليا. اكتسب سمعة عالمية بعدما أكد هو وفريقه العثور على علاج فيروس كورونا. وصفته صحيفة «نيويورك تايمز» بالرجل الواثق من نفسه الذي يحب كسر الأنماط القائمة، ولم يتردد في مقارنة نفسه بمباهي، نجم منتخب فرنسا لكرة القدم. ففي بضعة أشهر، تحول من باحث يحظى بالتقدير إلى نجم عالمي، خصوصاً بعدما أعلن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب استعماله لكلوروكين اعتماداً على وصفة راوولت.

كتبت عنه صحيفة «لوموند» الفرنسية 24 مايو/أيار الماضي، أنه معارضٌ لسياسية إيمانويل ماكرون، رغم أن الرئيس الفرنسي زاره في معقله بالمستشفى الجامعي بمرسيليا. راوولت تحول، ربما بالرغم منه، إلى متحدث باسم الطبقات السفلى في المجتمع ضد النخبة الحاكمة في باريس، وأصبح خلال أسابيع إحدى الشخصيات الفرنسية الأكثر شعبية. بيرغيت هولتسر وصفت كيف يواجه «البروفيسور المتمرد» منتقديه، بإشهار أعداد المرضى الذين عالجهم وكذلك نسبة الوفيات الضئيلة في مرسيليا بالمقارنة مع المناطق الفرنسية الأخرى. أما ميخائيلا فايفل فكتبت في «فرنكفورته الغمانيتسايتونغ» 23 مارس/آذار الماضي، أن الكثيرين يعتبرون راوولت أحمقاً ومثيراً للمشاكل، فيما يرى آخرون أنه باحث طلائعي يزعج السلطات الطبية في بلاده.

فضيحة عالمية

الفضيحة دوّت يوم الخامس من يونيو/حزيران الجاري، حين أصدرت مجلة «ذي لانسيت» البريطانية، إحدى المرجعيات الكبرى في عالم الطب، بيانا أعلنت فيه سحبها لدراسة نشرتها يوم 22 مايو/ أيار الماضي كشفت فيها عن أعراض جانبية محتملة خطيرة لاستعمال عقار هيدروكسيكلوروكين على مرضى القلب. كما أكدت أن العقار غير فعال نهائيا ضد كوفيد–19. الدراسة أحدثت حين صدورها ضجة عالمية، دفعت الحكومة الفرنسية على سبيل المثال لا الحصر، إلى منع استعمال العقار ضد فيروس كورونا المستجد.

الدراسة اعتمدت على شركة خدمات تسمى «سورنسيفير» التي جمعت معلومات وقامت بتحليلها باستخدام «البيانات الضخمة». وسرعان ما انتشرت غيوم من الشكوك حول صدقية الدراسة التي ادعت أنها شملت 15.000 مريض، إضافة إلى ما لا يقل عن 80 ألف ضمن ما يسمى «المجموعة الضابطة». ادعى مؤلفو الدراسة أنه تم تجميع البيانات من 671 مستشفى في ست قارات. بعدها وجهت 146 شخصية علمية، من بينها أطباء وباحثون وخبراء إخصائيون عشرة انتقادات رئيسية لمؤلفي الدراسة ما دفع «ذي لانسيت» إلى سحبها على الفور.

انتكاسة

بيانات الدراسة غابت عنها الدقة العلمية، فعلى سبيل المثال، تم الاعتماد على حالات وفاة في المستشفيات الأسترالية بشكل يخالف الحقيقة، أكثر من الحالات المبلغ عنها رسمياً. وبالنسبة لأفريقيا، تم وصف تفاصيل من سجلات طبية إلكترونية لآلاف المرضى بشكل لا يمكن تصوره، بالنظر إلى البنية التحتية هناك. فيرنر بارانترس، محرر الشؤون العلمية في «زودديتشه تسايتونغ» استشهد بما قاله غيرد آنتيس، مدير مركز كوركين في مدينة فرايبورغ الألمانية، الذي يُقيم جودة الدراسات الطبية يوم السابع من يونيو/حزيران الماضي، الذي أكد أن «الدراما بشأن لانسيت كارثة بكل المقاييس بالنسبة للمجتمع العلمي، باضرار لا يمكن التنبؤ بها».

في حوار مع صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية 15 يونيو/ حزيران الماضي، دعا ريتشارد هورتون، رئيس تحرير مجلة «لانسيت» بعد سحب المقال بشأن هيدروكسيكلوروكين، العالم إلى تعلم الدروس من كارثة كوفيد–19. كما ندد بما أسماه بـ«غطرسة الغرب» تجاه الباحثين والعلماء الصينيين. موقف سأهم، من وجهة نظره في تأخير اتخاذ القرار، ما فاقم حصيلة القتلى في العديد من البلدان. وانتقد بكلمات قاسية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب متهما إياه بارتكاب «جرائم ضد الإنسانية». وكذلك رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون الذي وصف تأخر رد فعله بالعمل «الإجرامي». الموقع العلمي الألماني «فيسنشافت. دي.إي» أكد في السابع من يونيو/ حزيران الماضي، أن «المشكلة الرئيسية في الدراسات التي تعتمد البيانات الضخمة هي أن تحليلاتها تقوم على سجلات طبية بأثر رجعي وهي غير موثوقة. وبالتالي، فإن نتائجها تُصنف على أنها مدنية الوثوقية».

المال والسياسة

انفلت الجدل بشأن كلوروكين من الدوائر الأكاديمية والمختبرات العلمية إلى كواليس السياسة. وتباينت المواقف بين من يرى في العقار، دواء سحرياً ضد جائحة كورونا ومن يعتبره سماً قاتلاً، رغم أن أعراضه الجانبية معروفة تماماً لأنه متاح في صيدليات العالم منذ أكثر من سبعين عاما. وفي خضم هذا الجدل المتناقض، سارعت بعض الدول إلى وضع قيود حول استعماله، فيما استمرت دول أخرى في إعطائه لمرضى كوفيد–19 خصوصاً في المراحل الأولى من الإصابة.

لقد انطلق سباق عالمي من أجل تطوير لقاح ضد فيروس كورونا المستجد، والشركة التي ستحقق هذا الإنجاز ستحصد الكثير من الأموال. وهناك حاليا ما لا يقل عن 120 مشروعاً بحثياً حول العالم لتطوير لقاح ملائم، من بينها شركات ألمانية كـ«بيونتك» من مدينة ماينز أو «كوريفاك» في توبنغن إلى شركة سانوفي الفرنسية وغلاكسوسميثكلين البريطانية. فالأمر لا يتعلق بإنقاذ حياة ملايين الناس عبر العالم فقط، ولكن أيضا برهانات مالية واقتصادية ضخمة.

(Dw)

تنظر بخوف إلى الذاكرة التي تذبل وتزول مع كبار السن وترى ذلك خطرا

سناء موسى: دخلنا مرحلة حرجة وعلينا إنقاذ الممكن من تراثنا الشفوي

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

انقطع التواصل مع سناء موسى منذ غادرت بيروت بعد زيارة مثمرة جمعتها بمحبيها من فلسطينيين ولبنانيين سنة 2017. مؤخرا حمل يوتيوب تسجيلاً بالصوت والصورة لموسى تؤدي «ترويدة بدوية» من تراث الجليل. في هذه الترويدة غنت في حارة فلسطينية لم يشوهها المعمار الحديث. كانت كلمات قليلة، رفدتها المغنية بآهات نقية ونغمات صوت رددتها جنبات المكان.

كما أن بحثا عبر المواقع أفضى إلى جديد لسناء موسى في السينما الوثائقية فيلم «على قيد الحب» أبطاله هم كبار سن غادروا منازلهم بفعل جرائم العصابات الصهيونية سنة 1948 ومخضرمون وأطفال. فيلم ينضم إلى أرشيف الذاكرة الفلسطينية الحية أبداً وفيه الكثير من البوح والشوق والعهد.

إذاً سناء موسى مصورة ومخرجة أيضاً. مهارات تضمها إلى تخصصها الأساس فهي تحمل دكتوراه في علم الدماغ.

مع سناء موسى فتحت «القدس العربي» حوارا لمعرفة تفاصيل نشاطها المتنوع:

○ عرفتك بيروت في زيارة يتيمة سنة 2017 زمن مرّ كنت خلاله نشيطة. لنبدأ من «ترويدة بدوية» وما هي حكايتها؟

● تنتمي هذه الترويدة لشمال فلسطين. في إطار اهتمامي بالبحث عن التراث الشفوي الفلسطيني تعرّفت إلى السيدة لطفية سمعان من سمحاتا في الجليل. بعد تدمير منزلها لجأت مع إخوتها إلى حيفا. طرحت عليها أسئلة للتعرّف إلى أغاني النساء تحديداً، فتذكرت هذه الترويدة التي كانت تغنى للعروس لدى خروجها من منزلها. لدى اللقاء بها كانت لطيفة في أواخر سبعينيات العمر ولم يبق في ذاكرتها سوى هذه الكلمات. بدوري ولسنوات سألت أخريات عن كلمات هذه الترويدة من دون تحقيق النجاح. للأسف الذاكرة تذوي وتذبل كما الصوت الذي يبدأ قوياً ويبدأ بالاختفاء ليبقى الصدى الذي لا يدوم حتى. وما غنيته هو صدى ما تبقى من ذاكرة لطيفة سمعان التي توفيت قبل سنوات وأخذت معها هذا اللحن إلى الغيب.

○ كم آلمك هذا؟

● أن تذبل الذاكرة وتزول إشارة مخيفة بالنسبة لي. نحن كفلسطينيين نشهد رحيل الجيل الأول للنكبة وهو يأخذ معه الكثير من الأسرار، والألحان وغير ذلك من الحكايات. من المؤكد أن الكثير من قصصنا الشعبية سترحل مع حامليها ولن نعرفها أبداً. علينا أن نستدرك هذا الخطر وأن نجتهد لتوثيق أكبر قدر ممكن من تاريخنا الذي تمّ بتره من سياقه وجذوره، لينتقل إلى مخيمات اللجوء والشتات في فلسطين وخارجها.

○ كم لطيفة لا تزال في فلسطين أو خارجها إذاً؟

● لا شك هناك أكثر من «لطيفة» إلى جانب وجود رجال يحفظون التراث. النساء أكثر اهتماماً وإلماماً بالتراث الغنائي الفلسطيني ومنّ ينقلن الجواهر من جيل إلى جيل. وأكرر أننا دخلنا مرحلة حرجة بفعل الزمن وعلينا إنقاذ ما يمكن من تاريخنا وتراثنا الشفوي.

○ هل البحث في التراث الفلكوري مهمة أفراد؟ أم هناك دعم رسمي فلسطيني؟

● بصراحة حتى الآن لا يزال العمل مهمة أفراد في أكثر من مكان، وكذلك عمل مؤسسات كمركز الفن الشعبي، الذي قام بجهد توثيقي في مناطق عدة في فلسطين خلال الثمانينيات. ما جُمع رائع، إنما ثمة محاور تحتاج للسؤال. للأسف وعلى المستوى الرسمي ليس هناك أي عمل مقنع أو جاد في هذا المجال. وإن حصل أي جهد رسمي فسيأتي متأخراً جداً وبدون جدوى. فالحكايات التي ينقلها الأبناء عن الجدات تختلف حين نسمعها منهن مباشرة.

○ هل من أولويات في نبش أو تجميع التراث الشعبي لديك؟

● البوصلة التي تحركني نبش التراث الفلسطيني، ومحاولة تقديمه من محاوره المختلفة، وما أقدمه على المسرح يشكل جزءاً منه. قدمت على المسرح أغنيات لأول مرة «طلت البارودي». ونجمة الصبح. وما جاني نوم. وسفر برلك». جزء كبير من هذه الأغنيات لم يكن معروفاً وبات متداولا ويرددها عدد من الفنانين والفنانات، ومن الشباب والكبار والصغار. وفي أسطواناتي أتعمد تقديم ما هو غير مألوف من التراث. إذا المختلف وغير المعروف هو هدفي من تقديم غناء التراث بحيث يشكل جزءاً من الذاكرة السمعية لشعبنا. وهذا ما قلته في أسطوانة «اشراق». مشاريع متعددة أقوم بها في الوقت عينه، إنما التراث هو الأول والأهم. وكل مشروع آخر يكون مرافقاً.

○ كثيرات وكثيرون من الفنانين في فلسطين يبحثون عن التراث فهل هي مهمة تتكامل؟

● بل في رأيي من يعملون لحفظ التراث لا يزالون قلة. محاور لا تحصى تحتاج للسؤال والبحث. التراث الفلسطيني السمّعي يحتاج للكثير من الجهود والباحثين. وهذا العمل يحتاج لمؤازرة ومساعدة. وعندما يكبر الجهد تكون امكانية تركيب جزء من هذه الفسيفساء السمّعية أكبر.

○ تحدثت عن مشروع وضعته نصب عينيك هو الدمج بين الموروث الشعبي الفلسطيني والعربي. كم هذا متاح؟

● لا أقول جديداً حين أعلن أني أسيرة سحر تراثنا الغني والجميل والمتنوع الفلسطيني والعربي. طبعاً أرغب بالدمج بين مكونات هذا التراث حيث توجد الكثير من المحاور المشتركة. هناك مسافات جغرافية إنما نحن متصلون بفضاء واحد. ولا أنفي صعوبة هذا الدمج وضرورة أن نكون حذرين في تلك المهمة. بداية يفترض بأي دمج توضيح شخصية كافة العناصر المشاركة فيه. وليس كل دمج محكوم بالنجاح. المهمة معقدة إنما ممتعة، وقد تكون نتائجها الإبداعية رائعة جداً. ومن شأنها تشكيل صورة جميلة جداً من الألوان الغنائية، حيث يجب احترام وضوح كافة العناصر في تركيبه ومواصفاته.

○ قبل النكبة تواجد تبادل اجتماعي وثقافي بين جنوب لبنان وشمال فلسطين. فهل من تشابه في الموروث الفلكوري؟

● وهذا ليس بغريب والسبب أن الحدود الطبيعية لا ترسمها الحدود السياسية. التواصل كان دائماً بين جنوب لبنان وشمال فلسطين. وهناك تشابه في الطعام وتكوينه، والموسيقى أكثر تعبيراً عن هذا التبادل مع الدول العربية المحيطة. فشمال فلسطين يتشابه مع جنوب لبنان. وجنوب فلسطين أي غزّة تتشابه في موروثها مع مصر. لهذا يأتي الدمج جميلاً وسلساً وطبيعياً. وهذا الحال ينطبق على باقي البلدان العربية حيث تتشابه الشعوب المتجاورة في الموروث الثقافي والفني ولهجة الكلام. إذا الجغرافيا قوة تفوق الحدود السياسية التي وضعها سايكس بيكو.

○ اكتشفت وحسن حظي في أرشيفك فيلما تسجيليا من إخراجك وتصويرك «على قيد الحب». أخبريني عن مشاعرك حين قابلت كبار السن يتحدثون عن أمكنتهم المنوعة عنهم؟

● الفيلم من تصويري وهو توثيقي قصير ولم أتدخل في أقوال شخصياته. إذاً هو فيلم عن اعمدة وتقديمي وتصويري وأتى من ضمن رؤيتي الفنية. نفذته خصيصاً مع مئوية وعد بلفور ومن خلاله رغبت بإيصال صوت اللاجئين في مخيمات الشتات. أخترت مخيم الدهيشة في الضفة الغربية كونه يضم لاجئين من عشرات القرى مثل «مغلس، ودير عطاب وغيرها». هُجّر السكّان ودُمرت القرى سنة 1948. بحثت عن مواطنين يعرفون تماماً ما حدث خلال النكبة، وهكذا وجدت شخصيات في ثمانينيات العمر، «أبو شريف» كان في السادسة والتسعين وهو من دير عطاب. السؤال المحوري كان حول الرابط في رغبتهم الجامحة بالعودة إلى قراهم ومسقط رأسهم. وعنه أجاب من شاهد وعاش النكبة، ومن ثم الجيل الثاني والجيل الثالث أي الأطفال. المفارقة أن الإجابة القطعية نعم سنعود ونريد أن نعود إلى قرانا وأرضنا. هذا التمسك بالحق يشكل بوصلة وقبلة لكافة اللاجئين رغم كل الظروف الصعبة والقهر الذي يعيشون فيه. السؤال الآخر كان عن غرض ما يرغبون بجلبه معهم من قريتهم إن أتيح لهم زيارتها؟ وماذا سيفعلون إن أتيح لهم في هذه اللحظة التواجد في قراهم؟ والمقابلات كانت منفردة كي لا يتأثر أحدهم بجواب الآخر. جاءت الإجابات غاية في الصدق والعمق.

○ وماذا عن جيل الشباب تحديداً؟

● أتت اجاباتهم ساحرة وجميلة وفيها ألم وحزن، وكذلك أمل وإصرار. هذا ما حصلت عليه في هذا الفيلم القصير ولست بمصورة ولا مخرجة. بكل صراحة ناداني الفيلم فنفذته ثمة شعور يعيشه المغني هو التكامل بين الحالة النفسية والجسدية والموسيقية معاً. وهذا ما يجب أن يعيشه المغني ليتمكن من غناء الموروث الصوفي بالعمق المطلوب. يمكن وصف هذه التجربة بأنها خاصة جداً من شأنها أن تُدخل الفرد إلى أعماق نفسه، فينظر إلى الكون بطريقة مختلفة حيث كل شيء يبدو صغيراً أمام قوة الخالق. وفي يد الإله الكبير. جميعنا عبارة عن ومضات وظلال. تشعرنا الموسيقى الصوفية وكأننا نرى الصورة «زووم إن». وبالتالي نمتلك الإمكانية بالنظر إلى هذا الكون من مكان بعيد، والـ«زووم أوت» يدفعنا للنظر إلى هذا الكون كشيء بسيط، وأنه ظل في يد الخالق. إنها تجربة غريبة وأظنني في بداياتها.

الإنترنت وفن الرسم: أحاسيس جديدة وتحولات في عالم المعارض وتسويق اللوحات

مروان ياسين الدليمي

الاقتراب من عالم الرسامين، يعني أننا سنقف عند نزعتهم الدائمة إلى الحرية للتعبير عندما يتفاعلون في مساحاتهم اللونية مع موضوعات تتعلق بالحياة أو الطبيعة أو عوالم داخلية يعيشها الرسام نفسه، وفي مجمل هذا السياق يتوق الفنان إلى الخروج عن الأطر، سواء في ما يخص رؤاه الفنية والتعبير عنها بمعالجات تخرج عن حدود ما هو معروف من أساليب ومدارس، أو ما يتعلق بجوانب مرتبطة بحلقات أخرى يبدأ دورها بعد الانتهاء من اللوحة، منها مثلا المتاحف، أماكن العرض، الجانب التسويقي، الوسطاء الذين يمارسون دورا بالغ الأهمية في تقييم اللوحات. ورغبة الفنانين في التحرر من المنظومات القديمة تنسحب أيضا على ما أشرنا إليه من آليات للترويج عن أعمالهم ووصولها إلى المتذوقين الحريصين على اقتناء اللوحات، والمجتمع الفني الخاص بالرسامين يمثل استقطابا لفعاليات أخرى ليست ذات طابع ثقافي فقط، بقدر ما هي تشكل رصيدا اقتصاديا مرتبطا بحركة سوق بيع اللوحات وشراءها، وترقى أهمية هذا النشاط التجاري لأهمية الفعل الفني والثقافي، للرسم وبقية الفعاليات المرتبطة به.

وأبرز ما يعززه سوق الأعمال الفنية أنه يمثل تجمعا غير متجانس من حيث الاختصاصات، بينهم رسامون وجامعو ورجال أعمال وساسة، إلا انهم يلتقون عند أهمية الفن باعتباره سلعة ثقافية، تخضع قيمتها النقدية لقانون العرض والطلب، لكن السلعة الفنية تتميز في كونها غير متاحة لعامة الناس، ولا تشكل مقصدا أساسيا في حياتهم، طالما لا توجد مفاضلة بينها وبين مستلزمات العيش لديهم، إضافة إلى ارتفاع أسعارها مقارنة بمستوى مرتباتهم.

وعلى ذلك فإن نموذج المجتمع الذي ينخرط في سوق اقتناء اللوحات الفنية يبدو مترابطا من الناحية الاقتصادية إلى جانب علاقات اجتماعية تحكمها روابط وثيقة، بغض النظر عن مستويات ثائقتهم وثقافتهم وتقييمهم الفني. وأعضاؤه يبدون على درجة مهمة من التماسك في ما بينهم، وكأنهم يقيمون ستارا حديديا حولهم، يقيم من تسلل الدخلاء الذين لا يملكون مقومات اقتصادية تمكنهم من الانخراط في بيئتهم الاجتماعية.

الفنانون أيضا ليس أي واحد منهم يملك فرصة النفاذ إلى هذا النادي الطبقي، إذا لم يكن جزءا منه، ولأجل ان تكون منه، ينبغي عليك ان تبذل جهدا كبيرا حتى تلفت الأنظار، ومن ثم تعرف كيف تخاطب عالمهم، لأنك إن لم تكن تملك موهبة التواصل معهم، ولربما لن تسنح لك الظروف للدخول إلى صالات العرض الراقية التي يرعونها ويتعاملون معها عبر أنشطة مؤسساتهم، وقد يفرضون عليك وضعا خاصا، لا يتناسب مع مستوى أعمالك الفنية، بالشكل الذي تنحرف فيه لبيع نتاجك في محلات تبدو شعبية بالقياس إلى الأماكن التي يتعاملون فيها عملية البيع والشراء.

عالم افتراضي

ازاء هذا الحال برز عنصر تنافسي شديد لم يكن متوقعا تمثل بسوق بيع اللوحات عبر الإنترنت، فبعد ان اكتسح عالم الاتصالات الرقمية حياة الناس في كل مكان، أصبح بالإمكان إقامة المعارض الفنية في هذا الوسط الافتراضي، ويمكن للجميع ان يستمتعوا بالاطلاع على الأعمال الفنية. كما ان الرسام بامكانه ان يسوق أعماله إلى جميع أنحاء العالم، وما من قدرة لذاك الحرس القديم ان يحول دون ذلك، ومن السهولة ان يصل ويتواصل الفنان مع أعرق صالات العرض، بدون وسطاء وتجار يفرضون عليه مزاجهم ويحددون ما ينبغي عليه أن يرسم.

حدود المعرفة مع الآخر انفتحت على سعتها، ولم يعد أصحاب الصالات الفنية يتعاملون مع أناس يعرفونهم وجها لوجه، وبات بإمكانهم ان يوطدوا الصلات مع فنانين من جنسيات مختلفة. بمعنى ان التعاطي في سوق بيع وشراء الأعمال الفنية لم يعد خاضعا لقوة الوسطاء / التجار الذين لا صلة لهم بالفن بقدر ما يهمهم أن يملأوا جيوبهم بالأموال، بعد ان يكونوا قد استثمروا جهد الفنان في نشاطهم التجاري.

اليوم تتفنن صالات العرض في تقديم خدمات استشارية مجانية الهدف منها تقديم مستوى من المعارف لكل محبي الفنون، أسماء وتجارب وأساليب ومدارس، ولكي يطلعوا على كل ما هو جديد في الفنون، فالتسويق المعلوماتي الثقافي يساهم في رفع مستوى الذائقة، وكسب مساحات أوسع من المتلقين والمقتنين للأعمال الفنية. هذا التجلي الثقافي في العمل الذي تمخض عن شيوع الإنترنت في عالم تسويق وترويج اللوحات، بات من غير الممكن ألا يعد قوة مهمة في تطوير النشاط الإنتاجي في عالم الرسم، حتى أصبح معدل ما يتم إنتاجه من لوحات في العالم مرتفعا بشكل متصاعد. وهذا يعني ان الحواجز التي كانت تقف أمام نمو الحركة الفنية في إطار الرسم قد انهارت، وجرفت معها القوى التقليدية التي كانت قد أقامتها، ولم يعد سوق اللوحات حكرا على فنانين معينين نالوا رضا هذه القوى ولا حكرا على متلقين ينتمون إلى طبقات اجتماعية مرفهة فقط ، فقد انفتحت الأبواب أمام الثقافة والفنون لتؤطر حياة الناس جميعا، بدون استثناء، طالما هناك شبكة إنترنت، فالديمقراطية يبدو وكأنها تحققت في الفنون بشكل جيد، ووفرت مناخا ممتازا للرسامين بشكل خاص حتى يشعروا بانهم غير مقيدين في الوصول بأعمالهم إلى ما يبتغونه من آفاق، بعد ان زالت الحواجز بينهم وبين مجموعات جديدة من المجتمع الإنساني فسمحت لها ان تدخل إلى معاقل الفنون التشكيلية وعوالمها. بينما لم تستطع الديمقراطية ان تثبت نجاحها في ميدان السياسة.

خيارات أوسع

وتشير ربيكا ويلسون، كبير أمناء غاليري Saatchi Art ونائب الرئيس إلى ان السبب الوحيد الذي جعلها تعمل على تقديم خدمات ثقافية حول الأعمال الفنية والأساليب والمدارس هو الترويج لثقافة فرعية تم تجاهلها، وتضيف «لأننا كنا قد وصلنا إلى المرحلة التي لم يعد فيها في عالم المعارض سوى القيمة النقدية، ولا يمكننا العمل وفقًا لهذه الشروط بعد الآن. وهذا يعني ان الطبقة الخاصة في المجتمع التقليدي ما قبل الإنترنت كانت تتعامل مع الفن ليس لقيمته الجوهرية، بل أن غالبيتهم ينظرون إليه باعتباره استثمارا اقتصاديا لا أكثر يقتصر تداوله بين أفراد هذه الطبقة».

يمكن القول إن نمطية هذا العالم القديم قد آلت إلى التراجع، ومن البساطة ملاحظة انحسار دور وأهمية صالات العرض والمزادات التقليدية في تلبية حاجة الفنانين والمقتنين للأعمال الفنية، وبات لعروض المنصات الفنية والتسويقية على شبكة الإنترنت مساحة مريحة للناس بينما لا يشعرون بهذه الحرية في صالات العرض التقليدية، وهكذا الحال بالنسبة للفنانين أنفسهم لأن سوق الإنترنت وفر لهم عروضا أفضل وخيارات اوسع لعرض أعمالهم وتسويقها ولفت انتباه المتلقين إليها.

وعلينا أن نأخذ بنظر الاعتبار نتائج هذا التحول، من ناحية القيمة الترويجية التي ربحها الفن التشكيلي على المستوى الجماهيري من خلال طرق التسويق الواسعة الانتشار عبر الإنترنت، والنقطة الأبرز التي تبدو جلية هنا تتمثل في التواصل الاجتماعي الذي بات قائما بين الفنان والجمهور، وهذا ما ساهم في ترويج أعمالهم، ومنحهم قدرا كبيرا من الاستقلالية الفنية والاقتصادية، والتوغل إلى مناطق نوعية جديدة من المتلقين ينتمون إلى ثقافات مختلفة. وفي ما يتعلق بمن يرغبون في اقتناء الأعمال الفنية، غالبا ما كانوا يفتقرون إلى الخبرات بهذا المجال، فإن ما يتم تقديمه من خدمات استشارية ومعارف ومعلومات تضطلع بها المواقع الفنية والمزادات في العالم الافتراضي تساهم في تقديم المشورة، وفي توسيع نطاق الأسماء الفنية التي يتم الاهتمام بنتاجها، وبذلك يتم كسر احتكار الأسماء التي كرستها وتكرسها الطبقة التقليدية التي كانت تتحكم بسوق ترويج الأسماء والأعمال الفنية.

كورونا والمعارض

تجربة جائحة كورونا التي فرضت حجرا على أنشطة المعارض، ساهمت في ازدهارها عبر الإنترنت وشاهدنا إقامة العديد من المعارض الشخصية والجماعية، أدت بالتالي إلى أن يحصل تحول في حركة بيع وشراء اللوحات، بعيدا عن الآليات القديمة التي كان فيها تجار اللوحات يهيمنون عليها، فنحن أمام عالم جديد ومثير، أمست فيه معارض وأسواق تداول اللوحات كلها تتم عبر الإنترنت مع اتساع دائرة المتداولين لهذا النشاط.

ومنذ وقت مبكر من العام 2007 كانت على سبيل المثال ربيكا ويلسون المديرة الأسبق لـSaatchi Gallery بلندن قد مارست نشاطا فعالا في إطلاق المعارض على شبكة الإنترنت، كما أنشأت فعالية «أحاسيس جديدة» وكانت عبارة عن جائزة لطلاب الفن تحدد أكثر الفنانين الشباب جدية في المملكة المتحدة.

بناء على ذلك نستطيع ان نؤكد على ان الفن التشكيلي مع ما حصل من تغييرات في العالم الذي كان سائدا قبل شيوع الإنترنت، قد دخل مرحلة من الازدهار الكبير، لم يشهده من قبل، وأخذ يمارس حضورا قويا ومؤثرا في الثقافة العالمية، لأن الحدود التي كانت تفصل بينه وبين تمدده اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا قد اضمحلت إن لم تكن قد انهارت.

العنصرية عار تبرأت منه الإبداعات المصرية والعربية

كمال القاضي

طرحت الفنون المصرية والعربية بشكل مباشر وغير مباشر قضية العنصرية كواحدة من القضايا الرئيسية، وشددت الفنون جميعها على رفض التمييز العنصري بوصفة عملاً عدائياً ضد الإنسانية. وإزاء تصاعد وتيرة العنف ضد الملونين في الولايات المتحدة الأمريكية تزايدت الأعمال الإبداعية المناهضة للأفكار والممارسات العنيفة، غير أن دعاوى الرفض للتفرقة بدأت مبكراً وتمثلت في كثير من أوجه الفن المختلفة التي تنوعت ما بين السينما والمسرح والفن التشكيلي والباليه فكانت بمثابة صرخات مدوية كأنها أجراس إنذار تحذر من مغبة الانقياد وراء المتعصبين الذين يضعون اللون والعرق والعقيدة كمقاييس للتعامل والتقييم.

وهناك نماذج متعددة قُدمت لتبرئة الإبداع المصري والعربي من عار العنصرية، حيث قدم المخرج السوري مصطفى العقاد قبل أربعين عاماً على الأقل الفيلمين الشهيرين «أسد الصحراء» و«الرسالة» والاثنان تعرضا للقضية ذاتها من منظورين مختلفين، فالفيلم الأول ناقش قضية الحرية وحق الشعب الليبي في الاستقلال وتقرير المصير بعيداً عن وصاية المحتل الإيطالي، ورمز لذلك بشخصية الزعيم والمجاهد الكبير عمر المختار الذي عانى مرارة الاضطهاد هو وأتباعه جراء التمسك بحقهم في الحرية والاستقلال.

كذلك قدم العقاد مثالاً حياً لرفض الإسلام للتمييز العنصري في فيلم «الرسالة» المذكور سلفاً، ولفت النظر بشكل قوي لشخصية بلال مؤذن الرسول كونه كان في الجاهلية عبداً حبشياً ونال ما ناله من أذى لولا أنه أعلن إسلامه فاستراح من ميراث العبودية الذي أذاقه سوء العذاب، ولم يكن بلال سوى عينة من البشر المتشابهين في ظروف الاضطهاد والقمع كالذين قدمهم المخرج الكبير أيضاً في سياقات مختلفة ليدلل على الفكرة نفسها.

وعلى جانب آخر وفي إطار المواجهة، عمد مصطفى العقاد إلى المشاركة في تقديم العديد من أفلام الكاوبوي «رعاة البقر» لفضح الهمجية الأمريكية والتنديد بالممارسات غير الأخلاقية للمجتمع القائم على القوة والهيمنة وسياسة فرض الأمر الواقع بالحديد والنار، وقد اعتبر المخرج العربي هذه النوعية من الأفلام مجرد بضاعة تجارية هادفة للربح، لكنها بقيت برغم ذلك أدلة إدانة تُثبت تهافت وضعف شعار الحرية الذي ترفعه أمريكا في وجه العالم للمتاجرة بالديمقراطية.

أما الفنون المسرحية المختلفة فقد اعتنت بتقديم إسهامات لنبذ الفكرة العنصرية متمثلة في مسرحية «الأميرة والصعلوك» للكاتب الفرنسي فرج وبطولة نور الشريف، وبعض الاستعراضات الشهيرة كحكاية سندريلا التي عرضت صوراً إنسانية لأوجه التمييز ضد المرأة بالاتكاء على قصة الفتاة الجميلة التي قاست مرارة التعصب والغيرة من زوجة الأب المستبدة، وهي حاله فردية وقعت في محيط أسرة يعاني بعض أفرادها من تشوهات نفسية ولدت بداخلهم نوازع الحقد تجاه سندريلا الفتاة الطيبة الجميلة والرقيقة فصارت القصة المتخيلة حالة إبداعية متميزة ضد العنف والقسوة.

وبالعودة إلى السينما نجد أن من أهم ما قدمته السينما المصرية في هذا الصدد سلسلة أفلام «عنتر ابن شداد» التي قام ببطولتها فريد شوقي واستهدفت السخرية من المجتمع البدائي قبل رسوخ الحضارات الإنسانية، حيث كان معيار البطولة والسيادة والقيمة هو الانتماء العرقي واللوني، إلى أن جاءت أسطورة عنتر ابن شداد بتفاصيلها التاريخية فغيرت المفاهيم البائدة واتجهت بالثقافة العربية البدوية إلى المعنى الإيجابي السوي القائم على العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات. ولا شك في أن شعار المساواة انبثقت منه عشرات التجارب الإبداعية التي صبت جُل أفكارها في خانة الانتصار للحرية كمقوم أساسي للحياة الاجتماعية وقد لامست بعض الفنون الاستثنائية الفكرة كما في أوبرا «عايدة» على سبيل المثال فجاءت مُتسقة مع الجمال الإبداعي كمحتوى راقي ومناهض لنوازع الشر والتعصب والكراهية.

ومن دواعي التذكير بدور السينما المصرية أيضاً في تكريس مبدأ المساواة بين البشر، أن معظم التجارب التاريخية التي قُدمت على الشاشة خلال القرن الماضي كانت معنية بمقاومة العنصرية والتبصير بتعاليم الدين الإسلامي التي تأسست عليها قاعدة التنوير، ومن بين الأفلام المهمة المتصلة بهذا الشأن فيلم «وإسلاماه» الذي عرض في جانب مهم منه تجارة الرقيق وبيع البطلين الصغيرين جهاد ومحمود في سوق العبيد وهما ورثة الحكم، هذا بخلاف أفلام أخرى مثل «فجر الإسلام» و«ظهور الإسلام» و«الشيماء» وغيرها.

ويضاف إلى كل ذلك الإبداع الغنائي الذي قام على مبدأ المساواة بين الأبيض والأسمر في ترجمة حرفية مُختزلة في أغاني خالدة مثل «أسمر يا اسمراني» و«البيض الأمارة والسمر العذارى» و«اسمر ملك روحي» و«بحبك يا أسمر» وكلها تعبر عن ثقافة التناغم والتواصل والانسجام في نسيج إبداعي واحد لا يقبل الشك أو الطعن في صدقه وعمقه وجوهره.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 9948 الأحد 28 حزيران (يونيو) 2020 – 7 ذو القعدة 1441 هـ
Volume 32 - Issue 9948 Sunday 28 June 2020

مسنو فرنسا: من حجر كورونا إلى حجر الطقس

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

بالكاد انتهت فترة الحجر الصحي بسبب وباء كورونا وعاد المسنون إلى حياتهم الطبيعية، بما في ذلك المشي والتنزه في الخارج، وها هم كبار السن في فرنسا يجدون أنفسهم مجدداً في مواجهة موجة حر قاسية من شأنها إجبارهم إلى العدوة إلى حجر جديد، يؤثر على معنوياتهم.

فلم تمر سوى بضعة أيام على رفع الحجر الصحي المنزلي الذي فرض عليهم لنحو شهرين ونصف الشهر بسبب تفشي فيروس كورونا؛ لتأتي موجة ارتفاع درجات الحرارة التي تضرب فرنسا هذه الأيام كخبر محزن بالنسبة لكبار السن الذين يوصفون بأنهم «معرضون للخطر» والذين قد يضطرون إلى إعادة حجز أنفسهم جزئيًا للهروب من أشعة الشمس الحارة، مع درجات حرارة تتجاوز 35 درجة مئوية في بعض المناطق منها العاصمة باريس ومدن الجنوب، والتي تضاعفت معها حملات الوقاية والتوصيات لكبار السّن.

فالنسبة لهؤلاء المسنين، والذين يشكلون نسبة كبيرة من الفرنسيين، فإن الإعلان عن موجة الحر هذه التي ستشهدها فرنسا هذه الأيام لا يعد خبراً ساراً، إذ يعيدهم مجددا إلى الظلام، أي البقاء بين جدران البيوت، التي سمح لهم للتو بالخروج منها بعد أن مكثوا فيها لمدة ثمانية أسابيع على وقع حجر منزلي مشدد فرض عليهم للوقاية من وباء فيروس كورونا.

ويعبر عدد من هؤلاء المسنين عن حزنهم لعدم القدرة على المشي والتنزه متى ما أرادوا، في ظل الارتفاع الكبير لدرجات الحرارة. وهو ما يمثل بالنسبة لهم نوعا من «الحجر الثاني». وما يزعج بعضهم أيضا أن البقاء في البيوت هذه المرة، بسبب موجة الحر، يخنقهم أكثر من ما كان عليه الحال في فترة الحجر، بحيث إنه يحتم عليهم إغلاق النوافذ والبلكونات، التي كانت على الأقل متنفساً لهم خلال أسابيع الحجر الثمانية.

وأيضا، يرى بعض هؤلاء كبار السن أن المزعج أيضا في الأمر هو نظرة وتعليقات الآخرين؛ الذين لا يتوقفون عن تحذيرهم وتذكيرهم بأنهم معرضون أكثر من غيرهم للخطر (العدوى بفيروس كورونا أو أشعة الشمس الحارة). وهي مخاوف وإن كانت لمصلحتهم، لكنها على ما يبدو تؤثر على نفسيات البعض منهم وتجعلهم يشعرون «بالذنب فقط لكونهم كبار في السن!».

حمراء وزرقاء الفراشات
رونق الطبيعة في قارص التركية

تضفي الفراشات الحمراء والزرقاء رونقًا رائعًا على قضاء صاري قامش بريف ولاية قارص شمال شرقي تركيا.

ويتمتع صاري قامش بموقع مرتفع يعد من أعلى الأماكن المأهولة في تركيا، ويحتضن أنواعًا كثيرة من الحيوانات البرية بفضل غطائه النباتي.

وتعكس الفراشات ذات اللون الأحمر والأزرق جمال الطبيعة الخلاب وهي تطير من زهرة إلى أخرى، وسط حقول وبساتين صاري قامش.

وقال إمراه جوبان، المسؤول في جمعية «كوزاي دوغا» لحماية الطبيعة، إن الفراشات تنتشر بالمنطقة ضمن مجموعات وتتغذى على النباتات.

وأوضح أن صاري قامش يحتضن أنواعا مختلفة من الفراشات، أشهرها «أبولو» كبير الحجم، وهي تضفي جمالًا على الطبيعة في المنطقة.

ولفت جوبان إلى أن الفراشات الحمراء والزرقاء تنتشر بكثرة على أطراف الجداول المائية حاليًا لأنها دخلت موسم التكاثر وتحتاج إلى نباتات غنية بالأغذية.

(الأناضول)

«عائلة سيمبسون» يتوقف عن الاستعانة بممثلين بيض لأداء أصوات شخصياته الملونة

يتوقف مسلسل الرسوم المتحركة الفكاهي «ذا سيمبسونز– عائلة سيمبسون» عن الاستعانة بممثلين بيض لأداء أصوات الشخصيات الملونة في المسلسل التلفزيوني الشهير.

وقالت شركة فوكس للإنتاج في بيان مقتضب أمس «من الآن فصاعدا، لن تعتمد عائلة سيمبسون على ممثلين بيض لأداء أصوات الشخصيات الملونة». ولم يخض البيان في التفاصيل، لكن الخطوة تأتي بعد ضغط شعبي على مدى عام فيما يتعلق بقيام الممثل الأبيض هانك أزاريا بأداء صوت شخصية أبو، الهندي صاحب متجر السلع الغذائية في المسلسل.

وقال أزاريا في وقت سابق من العام إنه لن يؤدي بعد الآن صوت هذه الشخصية التي انتقدها البعض باعتبار أنها تقدم صورة سلبية للأمريكيين الهنود. وأدى أزاريا أيضا صوت رجل الشرطة الأسود (لو) وكذلك صوت الأمريكي المكسيكي الأصل (بامبلبي مان).

كما أدى الممثل الأبيض هاري شيرر صوت شخصية الطبيب الأسود (دكتور هيبرت). لكن بيان شركة فوكس لم يبين إن كان المسلسل سيحتفظ بشخصية أبو أو بالشخصيات الأخرى.

ويأتي البيان في وقت يشهد وقفة واسعة النطاق للثقافة الأمريكية المتعلقة بالعنصرية في أعقاب احتجاجات حاشدة اندلعت هذا الشهر بسبب مقتل أمريكيين سود على يد الشرطة. (رويترز)